

صَوْرٌ

مِزَانُ الصَّالِحِينَ

تأليف

الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

دار ابن خزيمة

صُورٌ

مِنْ سِيرَةِ الصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

تَأَلَّفَ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ مَحْمُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّجَّيْدَانِي

بَدَلُ بْنُ خَرِيفَةَ

ح دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

السحبياني، عبدالحميد عبدالرحمن

صور من سير الصحابة . / عبدالحميد عبدالرحمن السحبياني -

الرياض، ١٤٣٣ هـ

٣٦٠ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٣١-٢٢-٣

أ- العنوان

١- الصحابة والتابعون

١٤٣٣/٢٣.

ديوي ٢٣٩،٩

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٣٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٣١-٢٢-٣

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة السادسة

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

الكلب - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ السَّادِسَةِ

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على أشرف خلقه محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن سلك نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

هذا هو كتاب صور من سير الصحابة في طبعته الجديدة، الطبعة السادسة وقد حرصت فيها بعد مضي خمسة عشر عاماً على الطبعة الأولى على أن يكون مختصراً، وبعيداً عن الحشو والتطويل الممل، وبذلت غاية جهدي في توثيق مادته العلمية من المصادر العلمية، والمراجع القديمة التي هي العمدة في مثل هذا الموضوع المهم، موضوع صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم آملاً أن نتخذ من هذه السيرة الطيبة نبراساً يضيء حياتنا، وينور قلوبنا، ويشرح صدورنا، ويجب لنا العمل الصالح الذي يقودنا بإذن الله تعالى إلى اللحاق بركب القوم، والاجتماع بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأود في الختام أن أنبه الإخوة والأخوات إلى أن الطبعة الشرعية لهذا الكتاب هي طبعة دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع بالرياض، وأن ما صدر من دار عالم الكتب لما أعادت نشر الكتاب هي طبعة غير شرعية، ولا يجوز بيعها ولا تداولها بين مؤسسات التوزيع والمكتبات لأنها كانت بغير إذن مني، ولأن في عملهم هذا إضراراً عظيماً بالناشر الشرعي والوحيد لهذا الكتاب: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع بالرياض، وقد كتبت ذلك إبراءً لذمتي أمام الله تعالى يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكتبه

الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني



## مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْخَامِسَةِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد، فهذه طبعة جديدة لكتاب: «صور من سير الصحابة»، وقمت فيها بتوثيق النصوص التي فاتتني الإشارة إلى مصدرها في الطبعات السابقة، وحذفت العبارة الإنشائية التي ليست بذات أهمية، ثم رتبت سير الصحابة حسب وفياتهم ما عدا من ذكرتُ من العشرة، وأودُّ من القارئ الكريم إن وجد في الكتاب تقصيراً ألا يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه.

وأشكر كل أخٍ أسدى إليّ تجاه هذا الكتاب أو غيره نصيحة أو توجيهاً، والله تعالى أسأل أن يشبهه على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص والاستقامة إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

البريد الإلكتروني

Abdul7meed99@gmail.com

ص.ب. ١٧٩٩٩ الرمز البريدي: ١١٤٩٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، فصلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الصحابة الأبرار رضي الله عنهم هم حملة الإسلام، وأمنته، وحفظته بعد رسول الله ﷺ، اختارهم الله تعالى واصطفاهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام والجهاد معه، ونشر رسالته من بعده، فقاموا بذلك خير قيام، وأكرمهم الله تعالى فعدهم، وزكاهم، ووصفهم بقوله سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية.

إنهم نوع فريد من الرجال، لم تعرف البشرية لهم نظيراً في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن.

لقد حاز أصحاب محمد ﷺ قصب السبق في كل شيء، فهم قمة في التقوى

والورع، وآية في التجرد والإخلاص، ومشعل في العلم والعمل، ونبراس في الدعوة والحركة.

«فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟! وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟! تالله لقد وردوا رأس المال من عين الحياة عذباً صافياً زلالاً، وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحدٍ بعدهم مقالاً، فتحوا القلوب بعدهم بالقرآن والإيمان، والقرى بالجهاد والسنان...»<sup>(١)</sup>.

إنهم أنصار الدين في مبتدأ نشأته، قد خلصوا من كل رواسب الجاهلية لما دخلوا في هذا الدين، وتوجهوا إلى الله تعالى بكليتهم، ولذا فإنه لا سبيل لمتهم أن ينال منهم في جانب الإخلاص والتجرد للحق.

إن الكتابة عن هؤلاء العظماء، وكشف الستار عن الصفحات الناصعة التي سطرها لهي من الواجب الذي يحتمه علينا هذا العصر الذي نعيش فيه في معمة الأفكار، واضطراب الموازين، وموالة الكافرين.

وهذا الكتاب الميسر يقدم بين دفتيه نماذج من الصحب الكرام الذين تربوا على يد محمد بن عبدالله ﷺ، وشادوا بالقرآن العظيم عالماً جديداً يهتز نضرة.. ويتألق عظمة.. ويتفوق اقتداراً.. نرى فيه إيمانهم، وثباتهم، وبطولتهم، وولاءهم لدينهم.

نرى البذل الذي بذلوا.. والهول الذي احتملوا.. والنصر الذي أحرزوا.. ونرى الدور الجليل الذي نهضوا به لتحرير البشرية كلها من وثنية الضمير، وضياغ المصير.

(١) عن «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم رحمه الله (١/٦٠٥).

ونرى العمل الذي عملوه ليخرج الله تعالى بهم من يشاء من عبادة العباد إلى عبادته وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.  
 وإني لأرجو الله عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده يوم الدين، نافعاً لعباده الصالحين، وأدعوه سبحانه أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر عيوبنا، إنه أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.  
 وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وآله الأطهار، وأصحابه البررة الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

الدكتور عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

البريد الإلكتروني

Abdul7meed99@gmail.com

ص.ب. ١٧٩٩٩ الرمز البريدي: ١١٤٩٤





## أبوبكر الصديق

### أول خلفاء الإسلام

هو السابق إلى التصديق، المؤيد من الله تعالى بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه في جميع الأطوار. وُلد بعد مولد النبي ﷺ بستين وأشهر، وكان أبيض، نحيفاً، خفيف العارضين، أحياناً يسترخي إزاره عن حَقْوَيْهِ. نشأ عبد الله في كنف والده أبي قحافة - الذي أسلم يوم الفتح - وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، ابنة عم أبي قحافة التي أسلمت وصحبت مع ابنها رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ونأى الشاب الطاهر عن رجس الجاهلية وذنسها، وتحلّى بالأخلاق العربية

(١) انظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٣٠/٢) والإصابة (١٦٩/٤)، و (٨/٢٠٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» لأحمد الطبري ت ٦٩٤ (١/٣٩٥).

الأصيلة، فكان ذا خُلُقٍ ومعروف، محبباً سهلاً، صادق الحديث، طيب العشرة، حسن المجالسة، حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، ولما سئل: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال: أعوذ بالله! فقيل له: ولم؟ قال: كنتُ أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته<sup>(١)</sup>.

وكان أنسب العرب، وأنسب قريش لقريش، وأعلمهم بما كان منها من خير أو شر، وبلغ الغاية في علم تعبير الرؤيا<sup>(٢)</sup>، فكان المقدم فيه، وتوّج ذلك بأنه تاجر مجرّب، ذو حنكة ودربة، فأحبّه قومه، ووثقوا به وعرفوا له منزلته، فأصبح من رؤسائهم في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، وأحد عشرة رجال من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام، وأسندوا إليه أمر الديات، فإذا حمل منها شيئاً صدّقوه وأمضوا ذلك، وإن احتملها غيره خذلوه.

وحين دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام آمن لساعته ولم يطل التفكير لما كان يعلمه من صدق النبي ﷺ وأمانته، وحُسن سجيّته وكرم أخلاقه مما يمنعه أن يكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله تعالى؟!

وهو قد صحب رسول الله ﷺ زهاء أربعين سنة لم يُخُنْ فيها أمانة، ولم يَخْتَلِقْ كلمة، ولم يكذب قط حتى ولو كان مازحاً، لم تأخذه عن الطهر نزوة، ولم يرَ إلا عظيماً، ولم تكن قريش مجاملة له، ولا هازلة ولا متفضّلة عندما لقّبتَه بـ «الأمين»، واشتهر ذلك فيها.

أبعد هذا كله يكذب محمد ﷺ على ربه؟! الآن تتحول حياة الصادق الأمين، الطاهر النقي، الأواه الأواب، الضارع الخاضع، الموحد المتبتل. أتتحول حياته إلى أن

(١) «تاريخ الخلفاء» (٢/٣٢).

(٢) المرجع السابق (٢/١٠٥).

يكذب على الله في الرسالة؟! أبدأ لا يكون هذا، وليس الأمر كما تزعم قريش. فبادر وسابق، وكان أول الناس إسلاماً، وأشهرهم تصديقاً برسول الله ﷺ ودعوته<sup>(١)</sup>.

وسأل الشعبيُّ ابن عباس: أيُّ الناس كان أول إسلاماً؟ قال: أبو بكر الصديق، ألم تسمع قول حسان:

إذا تذكَّرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا  
خير البرية أتقاها وأعد لها إلا النبيَّ وأفاهابا حملا  
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرُّسلا  
عاش حميداً لأمر الله متبعاً بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا<sup>(٢)</sup>

فكان رسول الله ﷺ إذا أخبر بشيء سابق أبو بكر إلى تصديقه والإيمان به، لأنه يصدر عن نبي لا ينطق عن الهوى، فلُقِّب بالصديق، واشتهر ذلك بعد حادثة الإسراء والمعراج، حيث جاء المشركون إلى أبي بكر، فقالوا:

هل لك في صاحبك؟! يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟  
قال: أوقال ذلك؟

قالوا: نعم.

فقال: لقد صدق، إني لأصدِّقه بأبعد من ذلك؛ بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سُمِّي بالصديق.

وحسب رسول الله ﷺ أن تنفرج شفتاه عن شيء يقول أبو بكر: صدق. فمن شاء فليبحث، ولينظر، وليتشكك، وليتحرر.. أما أبو بكر، فلا، فلقد أصبح شعاره

(١) أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام للأستاذ عبد الستار الشيخ.

(٢) البداية والنهاية (٣/٢٨).

منذ أسلم: (إن كان قال لقد صدق).

ولقد أعلن رسول الله ﷺ ذلك بين الناس عندما صعد جبل أُحُد مع أبي بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل فقال النبي ﷺ: «أُنْبُتُ أُحُد، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته يذكر على المنبر ويكرّر مراراً: (إن الله سمّى أبا بكر على لسانه نبياً صدِّيقاً)<sup>(٢)</sup>

وهذا ما حدا بأبي محجن الثقفي أن يقول:

وسمّيت صدِّيقاً وكل مهاجر      سواك يسمّى باسمه غير منكر  
سبقت إلى الإسلام والله شاهد      وكنت جليساً في العريش المشهّر  
وبالغار إذا سميت بالغار صاحباً      وكنت رفيقاً للنبي المطهّر  
آثر أبو بكر الإسلام على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول، ولم يزل مترقياً في معارفه، متزايداً في محاسنه حتى توفي.

ولم يكتف أبو بكر بأن دخل في الإسلام بل استخدم جاهه ومكانته في قريش لصالح دعوته، فقام يدعو من يثق بهم إلى الإسلام، يشرح لهم حقائقه وأصوله، ويُرغبهم بطاعة رسول الله ﷺ، متحريراً في ذلك من يكون إسلامه عوناً لنشر الدعوة وحماتها، فأسلم على يديه عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، ثم جاء من الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا جميعاً رضي الله عنهم.

(١) البخاري (مع الفتوح) (٧/٢٢)، رقم (٣٦٧٥).

(٢) «الإصابة» (٤/١٧٢)، و«تاريخ الخلفاء» (٢/٣٠).

ازداد بذلك ركبُ الإسلام، وقويت كتيبة الإيمان، ووضع أبو بكر ماله لنصرة دين الله سبحانه، فلقد كان له أربعون ألفاً أنفقها كلها في سبيل الله حتى قال فيه النبي ﷺ: «وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»<sup>(١)</sup>.

وكان يمرُّ على العبيد وهم يُعذَّبون فيؤرقه حالهم فبذل لتحريرهم حُر ماله، فأعتق منهم سبعة، هم: عامر بن فهيرة، وأم عُبَيْس، وزئيرة، والنهدية وابنتها، وجارية لبني مؤمل، واشترى بلال بن رباح - مؤذن النبي ﷺ - بخمس أواق ذهباً، فقالوا له: لو أبيت إلا أوقيه لبعناك. قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته<sup>(٢)</sup>.

وكان (رضي الله عنه) رجلاً بكاءً، لا يملك دمه حين يأتي داع إلى البكاء من خشية الله تعالى، فعن زيد بن أرقم (رضي الله عنه) أن أبا بكر استسقى فأتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا. ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدرُوا على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول: «إليك عني، إليك عني»، ولم أر معه أحداً، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً؟ قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بها فيها، فقلت لها: إليك عني، فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلتت مني فلن ينفلت مني من بعدك»، فخشيت أن تكون قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني<sup>(٣)</sup>.

وحين عزم رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة، كان أبو بكر رفيقه في هجرته،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢٥٣)، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى ورجاله رجال

الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل، وهو ثقة مأمون. «مجمع الزوائد» (٩/٣٦).

(٢) حلية الأولياء (١/٣٨).

(٣) المرجع السابق (١/٣٠، ٣١).

فلما وصل الركب الميمون إلى المدينة، حيث كانت الأنصار في انتظار رسول الله ﷺ بعد رحلة مضية حفتها المخاطر من كل جهة، وكان حفظه الله تعالى، انضمَّ إلى ذلك أخذه بالأسباب، والتخطيط الدقيق والتعمية على قريش بكل وسيلة يمتلكها البشر، وكان أبو بكر وآل بيته الحراس الأمناء، والليوث الأقوياء لإنجاح الهجرة المباركة التي كانت أساس قيام الدولة الإسلامية الراشدة بعد أن ألفت ناقة رسول الله ﷺ بجرانها في ديار أنصار الله وأنصار رسوله.

وكان (رضي الله عنه) رأس الصديقين من الصحب الكرام وأسبق السابقين إلى الإسلام، وأشجع الناس، وأكثرهم إنفاقاً في سبيل الله، وأعظمهم حباً وتعظيماً لرسول الله ﷺ أوأها أوأباً، يخشى الله في السر والعلن، وكان أيضاً أعلم الناس وأفقههم، وكان يفتي في زمن رسول الله ﷺ، ولما سُئِلَ ابن عمر: (من كان يفتي في زمن رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما أعلم غيرهما)<sup>(١)</sup>. وذلك لما مرض النبي ﷺ قدم أبا بكر على من سواه ليصلي بالناس، ولا يصلي بهم إلا من كان أقرأهم وأعلمهم.

وقد تجلَّى ذلك في مواقف عديدة، كان بعضها في حياة النبي ﷺ وبعضها بُعيد وفاته وفي خلافة أبي بكر.

وقف النبي ﷺ في أواخر أيامه فخطب الناس وقال: «إن الله تعالى خيرَ عبداً بين الدنيا وما عنده، فاختر ما عنده». فبكى أبو بكر. قال أبو سعيد راوي الحديث: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خبّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من آمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخذت أبا بكر خليلاً،

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣٥).

ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا باب أبي بكر<sup>(١)</sup>. ولم يكن أبو بكر رجل الملحمة وفارس الحرب - والقاضي العادل والمجتهد المبدع والأواه المنيب، القوام على أمور رعيته بالقسطاس المستقيم فحسب - بل جمع إلى ذلك كله أنه كان خطيباً قوياً، إذا تكلم كانت للمنابر هزة وللقلوب بكاء.. ينصح الناس في أخراهم ودنياهم، ويكشف لهم ما فيه سعادتهم في الدارين، فمن واجبه، لكونه خليفة، أن لا يجد خيراً للناس إلا طار بهم إليه. ولا شراً إلا نأى بهم عنه.

وقد ألقى في الناس خطباً جليلة ومواعظ مؤثرة، من فوق منبر رسول الله ﷺ، وقف بهم ذات يوم فقال: «أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم اعلّموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك موثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم، لا يُطفأ نوره، ولا تنقضي عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحووا كتابه، واستضيئوا منه ليوم الظلمة، فإنه إنما خلقكم لعبادته، ووكّل بكم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلّموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيَّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، وتردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن قوماً جعلوا

(١) البخاري (مع الفتحة) (١٢/٧)، رقم (٣٦٥٤)، ومسلم (بشرح النووي) (١٥/١٥٠٠)

آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحي الوحي ثم النجاء النجاء، فإن وراءكم طالباً حثيثاً، مرّه سريع!!»<sup>(١)</sup>.

ومن مناقبه (رضي الله عنه) ثبات قلبه وشدة بأسه وحصانة عقله في المواقف الصعبة التي تشترك فيها عقول الرجال وتدهش فيها الأبطال، من ذلك: يوم بدر، وأحد، والحديبية، ويوم وفاة رسول الله ﷺ وبعده حين ارتدت العرب ومنعت الزكاة، واختلقت آراء الصحابة في قتالهم مع تكلمهم بالتوحيد، قال أبو بكر: الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها!!<sup>(٢)</sup>.

ونصب أبو بكر الصديق وجهه وقام وحده حاسراً مشمراً حتى رجع الكل إلى رأيه، ولم يمت حتى استقام الدين ومرج أمر المرتدين!! ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها<sup>(٣)</sup>!! وذلك في كلام كثير تكلمت به ردأ على من تعرّض لسب أبيها<sup>(٤)</sup>.

وحين اقترب الموت من أبي بكر، وحان الأجل المحتوم، دعا ابنته عائشة رضي الله عنها فأوصاها قائلاً: (يا بنية، إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً، ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرده هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بها إلى عمر).

(١) «مختصر تاريخ ابن عساکر» (١٣/١٠٧).

(٢) البداية والنهاية (٦/٣١١)، و«تاريخ الخلفاء» (٢/٤١)، و(٢/٧٥).

(٣) أي كسرهما.

(٤) «موسوعة عظماء حول الرسول» للشيخ خالد عبدالرحمن العك (١/٢٦٧).

(وانظري اللقحة<sup>(١)</sup>) التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبغ فيها، والقטיפه التي كنا نلبسها، فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين، فإذا مت فاردد به إلى عمر).

«هذا هو الرجل الباهر الشاهق، الذي أسلم في أوج ترائه، وأنفق ماله في سبيل الله، يحرر الأرقاء ويطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.. والخليفة الذي بدأت تتثال في أيامه خيرات الشام والعراق، فينأى بنفسه عن ذلك، وتردد روحه الطاهرة تلك الكلمات لرد الأمانة إلى بيت مال المسلمين!! وفور وفاة الصديق نفذت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصية أبيها، وأرسلت ما عندهم من مال المسلمين إلى عمر، وما إن رآه حتى انفجر باكياً وقال: رحمك الله يا أبا بكر، لقد أتعبت من جاء بعدك»<sup>(٢)</sup>.

ولما كان اليوم الذي قبض فيه أبو بكر رجّت المدينة بالبكاء، ودُهِش الناس كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) باكياً مسرعاً وهو يقول: (اليوم انتطعت خلافة النبوة، حتى وقف على البيت الذي فيه أبو بكر مسجى فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأخوفهم لله، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحوطهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صُحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً)<sup>(٣)</sup>.

(١) هي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(٢) «أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام» لعبد الستار الشيخ (ص ١٥٨، ١٥٩).

(٣) «مختصر تاريخ ابن عساکر» (١٣/١٢٦).

فرحم الله أبا بكر في الأولين، ورضي عنه في الآخرين، ولتهنأه الصحبة في الغار، والذود عن المختار ﷺ والنصرة في العريش، والاستخلاف بإجماع المسلمين، وصموده لجيوش المرتدين، وجمعه للذكر الحكيم. وليهنأه المنزل في القبر بجوار رسول رب العالمين. ورضي الله عنه، وحشرنا في زمرة، وأمانتنا على محبته.





## عمر بن الخطاب

### الفاروق العادل

في رحاب مكة وجوّها القائظ وريحها اللافحة وصحرائها القاحلة، وقبل حرب الفجار بسنين أربع وُلد عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح بن عبدالله بن قُرط بن رزاح بن عدي القرشي.

وأبوه الخطاب بن نفيل العدوي، شديد البأس، قوي الشكيمة، وأمه حتممة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ابنة عم أبي جهل!<sup>(١)</sup>.

نشأ في كنف والده، وورث عنه طباعه الصارمة التي لا تعرف الوهن، والحزم الذي لا يدانيه التردد، والتصميم الذي لا يقبل أنصاف الحلول.

وكان من أشرف قريش وأعيانها، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، فكانت

(١) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (٢/٥٦٢)، و«الأحاديث والمثنوي» (١/٩٥)، و«الإصابة» (٤/٥٨٨) و«طبقات خليفة بن خياط» (ص ٢٢).

قريش إذا وقعت الحرب بين أهلها أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً - أي رسولاً - وإذا فاخرهم مفاخر أو نافرهم منافر رضوا به وبعثوه مفاخرًا ومنافراً<sup>(١)</sup>. ذلك هو عمر بن الخطاب في الجاهلية: رجل قوي البنيان، رابط الجأش، ثابت الجنان، صارم حازم، لا يعرف التردد والأرجحة، ينأى عن الذبذبة والمراوغة، لا تتناوبه أهواء متنازعة، ولا آراء مشتتة، بل نفسه كل واحد، إذا تحرك تحركت قدراته، واحتشدت في شخصية واحدة متكاملة متسقة، فحيثما وجد عمر وجدت شخصيته وإرادته ومنهجه، في دقة واتساق، كأنه جيش لجب يتحرك بخطى قوية إلى اتجاه واحد محدد، بشخصية فذة ليس لذرة في كيانه عن إرادته شذوذ أو عن وجهته مهرب!

فكان من كل ذلك هو الرجل الشامخ العملاق، الصارم الحازم، الصلب الصلد، الواضح وضوح الشمس، الذي إذا رأيته قرأت دخيلة نفسه، وقد ارتسمت على ملامح وجهه، لا مخبوء فيها ولا مستور<sup>(٢)</sup>.

وقد روي في سبب إسلامه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: خرج عمر متقلداً السيف فلقبه رجل من بني زهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟! إن ختنك وأختك قد صبوا وتركوا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له:

(١) تنافر الرجلان: إذا تفاخر ثم حكماً بينهما واحداً. والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة.

(٢) «عمر بن الخطاب الفاروق العادل» عبد الستار الشيخ.

خباب. قال: فلما سمع خبابٌ حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهنيمة التي سمعتها عنكم؟ قال: وكانوا يقرؤون سورة طه، فقال: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما؟ قال: فقال له ختته: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ قال: فوثب عمر على ختته فوطئه ووطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، ففحها بيده نفحة فدُمى وجهها، فقالت وهي غضبية: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!!

فلما يش عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرأه!! قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ: (طه) حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، فقال: عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام! قال: رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار، وقال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وَجَلَ القوم من عمر، قال: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يُسلم ويتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً.

قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: «أما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله

بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب». قال فقال عمر : أشهد أنك رسول الله!! فأسلم، وقال: أخرج يا رسول الله!!<sup>(١)</sup>.

وقد كان إسلامه (رضي الله عنه) عزاً للإسلام والمسلمين، ولهذا قال ابن مسعود (رضي الله عنه): ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر!! وقال: لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي.

وقال أيضاً: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة. لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا<sup>(٢)</sup>.

انضمَّ عمر إلى ركب الإيمان في مكة المكرمة، ينافح عن رسول الله ﷺ في دعوته، ويصك بصوته الجّهوري أسماع قريش بكلمات التوحيد، ويشارك إخوانه بعض ما يناهم، حتى أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة.

وهاجر من هاجر مستخفياً، أما عمر الذي كان مميزاً بين لداته حتى في بنيانه الجسمي وطوله الذي علا به الناس، أبت عليه طبيعته المتفوقة إلا أن يجهر بهجرته ليكون أنكى لقريش، وأقسى على قلبها، ويحدثنا عن ذلك علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فيقول: (ما علمت أحداً من المهاجرين إلا هاجر مختفياً إلا عمر

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٢٦٨-٢٦٩). ورواه بنحوه الطبراني كما في المجمع

(٥٧/٩) وقال: وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا

بأس به، وبقية رجاله ثقات.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/٢٧٠)، و«تاريخ الخلفاء» (٢/١١٥).

ابن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكَّب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قِبَل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلَّى متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال لهم: شأهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، ويئتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي - قال عليّ: فما تبعه أحد<sup>(١)</sup>.

وقدم المدينة المنورة في عشرين ركباً، وقد سبقه إليها مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وتوالت جماعات المهاجرين بالقدوم إلى المدينة، حتى تم انتظام العقد بهجرة رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق (رضي الله عنه). وقام رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ببناء الدولة الجديدة على أسس راسخة قوية، ووقعت معارك فاصلة، وأيام حاسمة بين نور الحق وظلمات الباطل، وصارع الإسلام الشرك فصرعه، وقاتله فقتله.

وكان لعمر في كل معركة رأي بارز وموقف مشهود. وقد أمره رسول الله ﷺ على بعض السرايا، وشهد بدرأً وأُحُدًا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحينئذٍ والطائف وتبوك. وسائر المشاهد، وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ في غزوة أُحُد<sup>(٢)</sup>.

وفي كل ذلك كان عمر كما هو، بكل حزمه وعزمه، وتصميمه الذي لا يعرف التلجج، وإصراره الذي لا يقبل التردد، ووضوحه الذي يرفض المراوغة والغموض، وقوته التي لا ترضى أنصاف الحلول، فلقد كان كذلك في جاهليته، فكيف وهو في الإسلام، الدين الأبلج الواضح كالشمس؟! فلن يزيده ذلك إلا

(١) «تاريخ الخلفاء» (٢/١١٦).

(٢) المرجع السابق.

تماسكاً وقوة وحزماً وصلابة ووضوحاً.

ورجل هذه صفاته، وتلك إمكاناته وطاقاته، نراه يدافع عن رسول الله ﷺ كلما وجد شيئاً قد ينال من قداسة الرسالة ومقام النبوة، لا للذّب عن مكانة النبي ﷺ السامقة الشاهقة وحسب، بل لأنه يعتقد تمام الاعتقاد أنّ أيّ تطاول أو تعدّد على شخص رسول الله ﷺ هو خدش لحرمت الشريعة وجرأة على قدسيتها<sup>(١)</sup>.  
فهذا حبر يهود زيد بن سعنة يأتي رسول الله ﷺ يتقاضاه ديناً، وكان قد عرف فيه كل علامات النبوة إلا اثنتين: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حليماً.

يقول زيد: (فلما حلّ الأجل أتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: يا محمد، ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمُطل. قال: فنظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير! ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر من لومه لضربت بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، وتبسّم ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمّره بحسن التباعة، اذهب يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر» فأسلم زيد<sup>(٢)</sup>.

ولقد بلغ عمر (رضي الله عنه) أوجاً شاهقاً في محراب الإيمان والتقوى، والتبتّل والخشوع، وعمر الذي كان بين الصحابة متفرداً بالصرامة والصرامة والقوة في الحق والشدة في دين الله، هو نفسه عمر الأواه الأواب، الخاشع الضارع،

(١) «عمر بن الخطاب الفاروق العادل».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٦٠٤، ٦٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.

المخبت المنيب، الذي ذلّت له نفسه في الله، بل ذلّ له شيطانه الذي لم يجرؤ أن يسير في طريق يسلكه عمر، بل إذا رآه ولى مدبراً ولم يعقّب، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «إيهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»<sup>(١)</sup>.

وكان في صلاته شديد الإنابة والتبتّل، واسع الخشية، يقف بين يدي الله تعالى كأنه ثوب ملقى لفرط خشوعه وخضوعه، فقد كان يصلي بالمسلمين أيام خلافته ويقرأ في صلاة العشاء، وصلاة الفجر سورة يوسف، فكان إذا قرأ هذه السورة يسمع الناس نشيجه من وراء الصفوف، وكان يُكثر من قراءة هذه السورة في صلاتي العشاء والفجر<sup>(٢)</sup>.

وعمر (رضي الله عنه) في تحمل المسؤولية نمط فذ، وقدوة صالحة بدليل موقفه عام الرمادة حيث أعطى حكام الدنيا بخاصة، والبشرية بعامة درساً في الأمانة أي درس، ومثلاً في السهر على أمور الناس أي مثل!! وكانت له آنذ مواقف مترعة بالجلال والإكبار، تعالت على الوصف، وتناهت في الكمال.

فقد عمّ أرض الحجاز قحط ومحل، فأصاب الناس جهد شديد، وأجدبت البلاد، وهلكت الماشية وجاع الناس حتى كانوا يرون يستقون الرمة ويحفرون نفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها، وجعلت الوحوش تأوي إلى الإنس لأنها لا تجد ما تأكله.

واسودت الأرض من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة.

(١) البخاري (مع الفتح) (٧/٤١)، ومسلم (بشرح النووي) (١٥/١٦٥).

(٢) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص ١١٣).

فاغتم عمر لذلك غماً شديداً، وكان يجأر إلى الله تعالى بالدعاء في الليل حتى رفع الله تعالى البلاء حين أرسل إليه عمرو بن العاص واليه على مصر ما يحتاجه الناس من الطعام، وقال لعمر: (فقد أتاك الغوث فلبث لبث، لأبعثن إليك ببيعير أو لها عندك وآخرها عندي) (١).

واستسقى عمر والمسلمون، فما بلغوا المنازل راجعين خاضوا الغدران، وأطبقت السماء عليهم أياماً.

وقد جرت على لسانه (رضي الله عنه) ينابيع الحكمة، وفاضت قريحته بمواعظ وعبر، وهي نعمة من لدن الفتاح العليم.

قال للناس ناصحاً ومرشداً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَ يَدْعُرُصُونُ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] (٢).

ونهى عن كثرة الضحك والكلام، فقال للأحنف: (يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثرت سقطه، ومن كثرت سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه. (٣)

وقال مادحاً أولئك العباد العارفين المخلصين، الذين استقامت بهم طريقتهم، فوصلوا إلى دار السلام بسلام: (إن لله عبداً يميئون الباطل بهجره، ويميئون الحق بذكره، رغبوا فرغبوا، ورهبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٣١٠).

(٢) «حلية الأولياء» (١/٥٢).

(٣) «تذكرة الحفاظ للذهبي» (٤/١٤١٦).

يعاينوا، فخلطوا بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدن) (١).

والعجيب فيه ﷺ أنه كان على درجة من التواضع لا يطمع بالوصول إليها، وليس شيء يميز الطبائع السوية المستقيمة أعظم من نأيها عن الغرور. ولو كان في الدنيا رجل لنفسه أسوار منيعة يصرع الغرور إذا أراد اقتحامها أو تسلق أسوارها لكان عمر؛ لكثرة مزاياه، وتفوق خصائصه، وروعة أمجاده، وتزاحم انتصاراته، وكثرة فتوحاته المظفرة.

فهو الرجل الذي دخل الإسلام بقوة، وجهر به كالشمس لا يعبأ بظلام الشرك، واستعلن به، ونعته النبي ﷺ بالفاروق، وهاجر جهاراً نهاراً، وخاض تحت لواء النبي عليه الصلاة والسلام المعارك، وحضر المشاهد، وتنزل الوحي بتأييد آرائه في غير ما موضع، ولذلك قال ابنه عبدالله عند قرب وفاة أبيه: (كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعت على الأرض، فقال: ويلى ويلى أمي إن لم يرحمني ربي) (٢).

مثل هذا الرجل العظيم والخليفة المنقطع النظير، الذي زلزل عروش الظالمين، ودك قلاع الأكاسرة والقياصرة، وتعجبت من عدله العرب والعجم، وهوت عناكب الظلم والطغيان أمام رايات عدله الخفاقة، وفتوحاته المظفرة، فأرغم أنوف الروم، وحطم كبرياء الفرس، وأخرج اليهود من جزيرة العرب، لغدرهم ونقضهم العهود.

(١) «حلية الأولياء» (١/٥٥).

(٢) «حلية الأولياء» (١/٥٢).

مثل هذا الخليفة لم تكن قوى الشر والظلم والتجبر في الأرض لتسكت عنه، أو ترضى بأعماله التي عصفت بتيجانهم، وأنزلتهم من قصورهم صاغرين، لقد كانت المؤامرة الخبيثة الماكرة الشائنة الحاقدة الحانقة تحاك في الظلام لتأخذ هذا الإمام العادل على غِرَّةٍ. وما كان لجيش لجب أن يجرؤ على الوقوف أمام هبة الفاروق في وضح النهار، فلقد كانت درته أهيب في نفوسهم من السيوف الباترة<sup>(١)</sup>.

فلتنفذ الجريمة السوداء في الليل البهيم، فإن الخفافيش لا ترى في النور!! ودنا الأجل المحتوم وتحركت يد المكر والكيد ميممة الخليفة العادل والإمام الراشد؛ حيث تقدم أبو لؤلؤة المجوسي الأصل، والرومي الدار، غلام المغيرة بن شعبة، إلى زاوية من زوايا المسجد ينتظر خروج أمير المؤمنين لصلاة الصبح، حيث أضمر قتله، واتخذ خنجراً ذا رأسين، نصابه في وسطه، وشحذه وسمّه.

وكان عمر إذا مرَّ بين الصفيين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهم خلاً، تقدّم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى انقضَّ عليه أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق، وهي التي قتلته (رضي الله عنه) فقال عمر: دونكم الكلب قد قتلني. وطار العليج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المهاجرين يقال له حطان التميمي طرح عليه بُرنساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه!!<sup>(٢)</sup>.

(١) «عمر بن الخطاب الفاروق العادل».

(٢) انظر بالتفصيل قصة استشهاد عمر - رضي الله عنه - والدروس والعبر المستفادة منها في «سير الشهداء» للمؤلف، ط. دار الوطن بالرياض.

ولقد صدق ابن عباس عندما قال: «رحم الله أبا حفص كان- والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحل الإيمان، ومنتهى الإحسان، ومعاذ الضعفاء، ومعقل الحنفاء، للخلق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً، حتى أظهر الله الدين وفتح الديار، وذكر الله في الأقطار والمناهل وعلى الفلال، وفي الضواحي والبقاع، وقوراً لله، وفي الشدة والرخاء شكوراً في كل وقت، والله في كل وقت وأوان ذكوراً، فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

فهذا هو عمر بن الخطاب مفخرة الناس، ومالىء الدنيا، وشاغل الناس، ومشيد الدولة الإسلامية السامقة الباهرة.

وتلك ومضات من ذلك النور المشرق، والنجم المتوهج المتحرك السيّار، الذي لا يفتر في ليل أو نهار!!<sup>(٢)</sup>.

حيّا الله أبا حفص أمير المؤمنين، ورحمه الله في الأولين، ورضي عنه في الآخرين، وحشرنا في زمرته يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.



(١) «الرياض النضرة» (١/٢٦٢).

(٢) «عمر بن الخطاب الفاروق العادل».



## عثمان بن عفان

### الخليفة الشاكر الصابر

في مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة كانت قريش تحتل مكان الصدارة والاحترام في الجزيرة العربية؛ لقيامها على شؤون البيت العتيق الذي يفد إليه الناس من كل حذب وصوب.

وكانت قريش تضم في تكوينها الاجتماعي تبايناً عجبياً، ففيها السيد المطاع، المتربع على ذرا المجد من عشيرته، المتألق في جبين قومه، والغني ذو الثراء العريض، والسرر المرفوعة، والفرش الموضوعة، والشديد القوي الذي يصرع الأشداء في موسم (عكاظ)، والعبقري الأملعي الذي ينبع منه الذكاء والحيلة والاعتدار.

وإلى جانب ذلك الجمع كان العبيد الأرقاء الذين يُباعون ويُشترىون والفقراء المعدمون الذين لا يملكون من دنياهم سوى الحاجة والمسغبة، والضعفاء المهزولون الذين لا يقوون على الوقوف أمام نسائم الهواء الوداعة، والأغرار البسطاء الذين لا تجرّبه لهم ولا حيلة<sup>(١)</sup>.

(١) «عثمان بن عفان الخليفة الصابر الشكور» عبد الستار الشيخ.

في ذلك التكوين الاجتماعي المتفاوت المتباين وُلد عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، وُلد بعد حادثة الفيل بست سنوات<sup>(١)</sup>. وأبوه عفان بن أبي العاص توفي في الجاهلية، ولم يدرك الإسلام، وأمه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

أسلمت أروى بنت كُرَيْز - أم عثمان - وهاجرت وبايعت رسول الله ﷺ ولم تزل بالمدينة المنورة حتى ماتت في خلافة ابنها (رضي الله عنها)<sup>(٣)</sup>.

زوّجه النبي ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجته أم كلثوم، كان (رضي الله عنه) من السابقين إلى الإسلام، ممن صلّى إلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، وقد قام بنفسه وماله في واجب النصرة، ثم جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بغيراً وخمسين فرساً، كما اشترى بئر رومة بعشرين ألفاً، وتصدق بها، وجعل دلوها فيها لدلاء المسلمين، كان اتباع توسعه المسجد النبوي الشريف بخمسة وعشرين ألفاً<sup>(٤)</sup>.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، كان أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وهو أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأول من شيد المسجد، وأول من خط المِفْصَل،

(١) «تاريخ الخلفاء» (١٤٧/٢) و«الإصابة» (٤٥٦/٤).

(٢) المرجع السابق (١٤٩/٢).

(٣) انظر: «الإصابة» (٤٨٢/٧).

(٤) انظر البداية والنهاية (١٧٧/٧، ١٧٨).

وأول من ختم القرآن في ركعته عند الحجر الأسود أيام الحج<sup>(١)</sup>.

وعثمان الذي أسلم راغباً طائعاً في أخرج ساعات الدعوة وسلك طريقاً قلَّ طارقوه، وألقى بنفسه وماله في خدمة الدعوة ونصرة الحق، عثمان هذا هو الذي أحبَّ رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وبذل له طاعته دونها حدود، وتابعه في السر والجهر، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، ما تلكأ لحظة، وما تأخر في موقف، ولا تلجلج إذا دعاه الداعي.

وكان من أبرز أخلاقه وأشدّها تمكناً من نفسه خلق الحياء، الذي تأصل في كيانه، لذا فقد أشاد الرسول ﷺ بهذا الحياء الواسع العميم، فقال: «أشدّ أمتي حياءً عثمان»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا المعنى الرّحب تربي عثمان وعاش، وبمثل تلك الأبعاد ذهبت روحه الطاهرة تؤدي أعمالها على أوسع نطاق، فلقد كان الحياء في نفسه طاقة هائلة تسيطر على شخصيته كلها وتقود فضائلها في بوتقتها.

وكان في العبادة واحداً من أفذاذها المعدودين، وبطلاً من أبطالها المبرزين، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويديم النظر في المصحف الشريف.

وقد ثابر على هذا النمط الفذّ طوال حياته وعمره المديد الذي نيف على الثمانين، فكان أواهاً أو اباً خاشعاً ضارعاً، تقياً نقياً، طاهراً عفيفاً، دائم الصلة بالله، موصول القلب بمولاه، عظيم الوفاء لماضيه الذي ما عرف غير الطهر والعفاف والصفاء والنقاء، فكان يحدث بنعمة الله التي أفاءها عليه فيقول: (ما زنت ولا

(١) انظر: المرجع السابق (٧/٢١٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٦١٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٨٧).

سرت في جاهلية ولا إسلام) (١).

فكان ممن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، غالب أحواله الكرم والحياء، والحذر والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام.

وكان هديه في حياته ومعاشه ومطعمه ومشربه بعد تولي الخلافة هو نفسه الذي كان قبل ذلك، ولما سُئِلَ الحسن البصري رحمه الله عن القائلين في المسجد قال: (رأيت عثمان بن عفان يقبل في المسجد، وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، فنقول: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين!) (٢).

وقال: (رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه ثم يجيء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم).

وكانت خطبته يوم استخلافه بعد أن أثنى على الله عز وجل: (أما بعد، فإن الله بعث محمداً بالحق، فكننت ممن استجاب لله ورسوله، وهاجرت الهجرتين، وبايعت رسول الله ﷺ، والله ما غششته ولا عصيته حتى توفاه الله، ثم أبا بكر مثله، ثم عمر كذلك، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟! (٣).

وعنه (رضي الله عنه) قال: (ما تغنيت، وما تمنيت، ولا وضعت يدي اليمنى في فرجي منذ بايعت بهار رسول الله ﷺ، وما مرت بي جمعة إلا وأعتق فيها رقبة) (٤). وفتح الله تعالى في أيام خلافته الإسكندرية، ثم سابور، ثم إفريقية، ثم

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٧٩).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٦٠).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٨).

(٤) تاريخ الخلفاء (٢/ ١٦١).

قبرص، ثم إصطخر الآخرة، وفارس الأولى، ثم خو وفارس الآخرة، ثم طبرستان، ودربجرد، وكرمان، وسجستان، ثم الأساورة في البحر، ثم ساحل الأردن، وانبسطت الأموال في زمنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بيائة ألف، ونخلة بألف درهم، وحج الناس عشر حجج متوالية<sup>(١)</sup>.

### حصاره وقتله والخروج عليه:

كان قد ولى على أهل مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح فشكوه إليه، فولى عليهم محمد بن أبي بكر الصديق باختيارهم له، وكتب لهم العهد، وخرج معهم مدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي السرح، فلما كانوا على ثلاثة أيام من المدينة، إذ هم بغلام عثمان على راحلته ومعه كتاب مفترى، وعليه خاتم عثمان، إلى ابن أبي السرح يخرضه ويحثه على قتالهم إذا قدموا عليه، فرجعوا به إلى عثمان، فحلف لهم أنه لم يأمره ولم يعلم من أرسله، وصدق (رضي الله عنه) فهو أجل قدراً وأنبأ ذكراً وأروع وأرفع من أن يجري مثل ذلك على لسانه أو يده أو يكون له خائنة الأعين أو الألسن<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل إن مروان هو الكاتب والمرسل، ولما حلف لهم عثمان طلبوا منه أن يسلم إليهم مروان، فأبى عليهم، فطلبوا منه أن يخلع نفسه، فأبى لأن النبي ﷺ كان قد قال له: «يا عثمان إن الله تعالى مقمصك قميصاً، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الرياض المستطابة ليحيى بن أبي بكر العامري اليميني (ص ١٥٨-١٥٩).

(٢) انظر بالتفصيل «سير الشهداء» للمؤلف.

(٣) «مسند الإمام أحمد (٦/٧٥)، و«المستدرک» للحاكم (٣/١٠٠)، وسنن ابن ماجه (١/٤١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥/١٩٢) وقال الهيثمي في المجمع (٩/٥٢) =

ولما أشرف عثمان على الذين حاصروه قال: «يا قوم لا تقتلوني، فإني وال وأخ مسلم، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تغزوا جميعاً أبداً، ولا يقسم فيؤكم بينكم»، فلما أبوا، قال: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تبق منهم أحداً»، قال مجاهد: فقتل الله منهم من قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى أهل المدينة عشرين ألفاً، فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمداختهم<sup>(١)</sup>.

وقد كان مع عثمان (رضي الله عنه) في الدار نحو ستمائة رجل، فطلبوا منه الخروج للقتال، فكره وقال: إنما المراد نفسي، وسأقي المسلمين بها!! فدخلوا عليه من دار أبي حزم الأنصاري فقتلوه، والمصحف بين يديه، فوقع شيء من دمه<sup>(٢)</sup> على قوله سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ووقع بقتل عثمان (رضي الله عنه) ما أخبر به النبي ﷺ أبا موسى الأشعري (رضي الله عنه) عندما حرك عثمان باب النبي ﷺ مستأذناً وهو عند بئر أريس ذات يوم - وكان أبو موسى بوابه ذلك اليوم - فقال: من هذا؟ فقال: عثمان بن

= من ذكره رواية الطبراني وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وقد ضعفه الجمهور، ووثق في رواية عن يحيى بن معين، والمشهور عنه تضعيفه.

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٦٧-٦٨).

(٢) انظر «الرياض المستطابة» (ص ١٦٢)، و «البداية والنهاية» (٧/١٨٨) والطبقات الكبرى (٣/٧٤) و «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/٤٧٢)، و (١/٥٠١) و «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان البستي ص ٥، و «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» لمحمد بن يحيى عاقي الأندلسي ص / ١٤٢ و ٢٣٢.

عُفَان، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: عَلَى رَسَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَصِيْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَتَلَ عَثْمَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَمَضَى إِلَى رَبِّهِ شَهِيداً سَعِيداً، مُضْرَجاً بِدَمِهِ، قَدْ قَتَلَتْهُ الطَّغْمَةُ الْمَفْسُودَةُ الَّتِي ضَاقَتْ ذُرْعاً بَعْدَ لِهْ وَرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ وَتَوَاضَعَهُ وَكْرَمِهِ وَسَخَائِهِ وَفَتْوحَاتِهِ.

حَقّاً لَقَدْ كَانَتْ خَسَارَةَ الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِهِ عَظِيمَةً وَجَلِيلَةً، وَفَتْحَ الْقَاتِلُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَاباً مِنَ الشَّرِّ عَرِيضاً، يَصُورُهُ أَيْمَنُ بْنُ حُزَيْمٍ بِنِ فَاتِكٍ فَيَقُولُ:

ضَحُّوا بِعَثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ضَحَى      وَأَيُّ ذَبْحٍ حَرَامٍ وَيْلَهُمْ ذَبَحُوا  
وَأَيُّ سَنَةٍ كَفَرٍ سَنَ أَوْلَهُمْ      وَبَابٌ شَرٌّ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا  
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيْبَهُمْ      بِسَفْكِ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا<sup>(٢)</sup>

وَلَقَدْ كَانَ وَقَعُ الْمَصِيبَةِ عَلَى نَفُوسِ الصَّحَابَةِ عَظِيْماً. فَجَلَّلَهُمُ الْحُزْنَ وَفَاضَتْ مَآقِيْبُهُمُ بِالدَّمِوعِ، وَهَجَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالثَّنَاءِ عَلَى عَثْمَانَ وَالتَّرْحَمِ عَلَيْهِ.  
وَقَامَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَرِثِي عَثْمَانَ وَيَكْثُرُ الْبَكَاءُ وَالتَّفْجِيعُ لِمَقْتَلِهِ، وَهَجَاءُ قَاتِلِيْهِ، وَقَرَعَهُمْ بِهَا كَسَبَتْ أَيْدِيَهُمْ، فَقَالَ:

(١) البخاري (مع الفتح) (٧/ ٢١)، رقم (٣٦٧٤). قال ابن حجر: (وأشار ﷺ بالبلى المذكورة ما أصاب عثمان في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار، وقد ورد عنه ﷺ أصرح من هذا، فروى أحمد من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمرَّ رجل فقال: يُقتل فيها هذا يومئذ ظلمًا، قال: فنظرت، فإذا هو عثمان). انظر: فتح الباري (٧/ ٣٨).

(٢) «تهذيب الكمال» للمزي (١٩/ ٤٥٩) و«الاستيعاب» (٣/ ١٠٥١).

وغزوتونا عند قبر محمد  
ولبئس أمر الفاجر المتعمد  
حول المدينة كل ليس مذود  
ولمثل أمر أميركم لم يرشد  
بدن تنحر عند باب المسجد  
أمسى مقبياً في بقيع الغرقد<sup>(١)</sup>

أتركتم غزو الدروب وراكم  
فلبئس هدي المسلمين هديتم  
إن تقدموا نجعل قوى سرواتكم  
أو تدبروا فلبئس ما سافرتم  
وكان أصحاب النبي عشية  
أبكي أبا عمرو لحسن بلائه  
وقال أيضاً:

فليات مأسدة في دار عثمانا  
يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا  
قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً  
وبالأمير وبالإخوان إخواننا  
ما دمت حيا وما سُميت حسانا  
الله أكبر يا ثارات عثمانا  
ما كان شأن علي وابن عفانا<sup>(٢)</sup>

من سره الموت صرفاً لا مزاج له  
ضحوا بأشمط عنوان السجود به  
صبراً فدى لكم أمي وما ولدت  
فقد رضينا بأهل الشام نافرة  
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا  
لتسمعن وشيكاً في ديارهم  
يا ليت شعري وليت العبر تخبرني

لقد تعب عثمان طويلاً وهو يحمل أعباء الخلافة ولواءها طيلة اثنتي عشرة سنة. رافعاً الراية بيمينه، وكل همه ألا تسقط ما دام حياً، وأن يلقي الله تعالى وليس في عنقه قطرة دم لامرئ مسلم.

ذهب عثمان السباق إلى الإسلام.. ذهب ذو النورين وصاحب الهجرتين..

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/٦٩٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٩٦).

ورحل الذي جهّز جيش العسرة، واشترى بئر رومة، ووسع المسجد النبوي.. ومضى إلى الله تعالى ذاك الرجل الذي حرر الأرقاء، ووقف طويلاً عند مقام إبراهيم يقيم الليل بركة يختم فيها القرآن<sup>(١)</sup>.  
 ذهب الذي جمع الأمة على المصحف، ودوخت جيوشه جحافل المجوس والرومان، فهنيئاً له الشهادة.  
 ورحمه الله ورضي عنه، وجمعنا به في مستقر رحمته.



(١) تقدم قريباً بيان ذلك، والمرجع الذي استفدنا ذلك منه.



## علي بن أبي طالب

### التقي الباكي من خشية الله

كان عبدالمطلب بن هاشم كبير قريش وعظيمها، والسيد المطاع فيها، ذكره قد ملأ صحراء العرب من شمالها إلى جنوبها شذى وعبيراً، فهو الذي حفر بئر زمزم، وعلى يديه تفجرت مياهها المباركة، وسيظل الحجيج يذكرون له ذلك كلما نهلوا من معينها. ولما جاء أبرهة لهدم الكعبة المعظمة توجه عبدالمطلب إلى الله تعالى وجأر إليه يدعوه أن يمنع بيته الحرام ويحميه، وأخذ يقول:

لا هُمَّ إن العبد يَمُّ — نَعُّ رحلته فامنع حلالك  
لا يغلبن صليبهم — ومحالهم غدواً محالك  
إن كنت تاركهم وقين — لتنا فأمر ما بدالك<sup>(١)</sup>  
ولم يلتفت إلى ذلك الزحام الهائل من الأصنام التي تقبع حول الكعبة في

(١) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (٤٤٢/١)، و«الطبقات الكبرى» (٩٢/١).

تجمع كبير، بل لجأ إلى الله الأحد الذي يسمعُ ويحيبُ، ويحمي بيته العتيق.  
وبلغ من كرمه وسخائه وجوده درجة وصفوه بأنه الرجل الذي يطعم الناس  
في السهل والوحوش في الجبال!

وعندما بُشر بمولد حفيده محمد بن عبد الله ﷺ حمله بين ذراعيه. وضمّه إلى  
صدره وأسرع به إلى الكعبة، وأخذ يدعو الله ويشكره ويقول:  
الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان  
قد ساد في المهدي على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان<sup>(١)</sup>  
وسمّاه محمداً، وأوصى به ابنه أبا طالب، فحفظ العهد، ووفى بالوعد، ورعى  
رسول الله ﷺ صغيراً، وذاد عنه وعن دعوته لما بُعث نبياً.

وورث أبو طالب من أبيه - مع المكانة والسيادة - الخصال الحميدة  
والصفات المجيدة، واحتشدت فضائل العرب في شخصيته، فساد في قریش سيادة  
عظيمة، وكان من الخطباء العقلاء الأباة.

ومن هذه الأسرة الماجدة العريقة في السيادة والريادة جاء علي بن أبي طالب  
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فهو علي بن أبي طالب، وحفيد عبد  
المطلب، فورث المكارم كائناً عن كائناً، واجتمعت له صفات الأسرة الكريمة: من  
الشجاعة والمروءة والعقل والذكاء والطهارة والحزم والعزم والكرم والسخاء،  
يتوّج ذلك كله ماضٍ عريق في السيادة والقيادة<sup>(٢)</sup>.

وقد ورث علي (رضي الله عنه) من أبيه أبي طالب ذلك المضاء والحزم والعزم،

(١) «البداية والنهاية» (٢/٢٦٤)، و«الطبقات الكبرى» (١/١٠٣).

(٢) علي بن أبي طالب، للشيخ عبد الستار الشيخ.

ودخلت تلك الموروثات في بوتقة الإسلام فصهرتها، وأخرجتها صافية نقية، فكان ولاؤه للإسلام باكراً صادقاً بريئاً شامخاً.

ومن إكرام الله تعالى لعلّي أن أصبح ختناً لرسول الله ﷺ حيث زوجته الرسول ﷺ ابنته فاطمة الزهراء، سيدة نساء أهل الجنة، فكوّنا أسرة طيبة كان منها نسل رسول الله ﷺ الحسن، والحسين، ومحسن مات وهو صغير، وأم كلثوم، وتزوج بها عمر (رضي الله عنه)، وزينب<sup>(١)</sup>.

وكانت حياة الزوجين يسيرة متواضعة، وكأنها انعكاس لما في بيت النبوة، صبرت فيها فاطمة على لأواء الحياة والفقر، وجهد العيش وضيقه، فكانت تقوم بشؤون زوجها، وتربية أشبالها، وأمور بيتها، وتطحن بالرّحى حتى تقرّحت يداها، وتعجن عجينها بنفسها، وليس لها من خدام تخدمها حتى لقيت من ذلك شدة.

أفهلكذا بنات الأنبياء وزوجات الأصفياء؟! نعم، فهم قدوة الناس، وحياتهم فيها الأسوة للفقير، والموعظة للغني، ومن عندهم تخرج أنوار القرآن، وعلى أيديهم يتلقى الناس فن الصبر والفداء والقناعة والرضاء.

وعليّ الذي كانت له المواقف المشهورة في حياة النبي ﷺ وغزواته وفتوحاته، وكان ابن عم رسول الله ﷺ، لم يتكل على تلك البطولات، ولم تقعد به قرابته للنبي ﷺ عن العمل، بل كان على عمل صالح عظيم، وخلق رفيق قويم.

وكانت أخلاقه قبساً من خلق النبي ﷺ الذي تربّى في حجره، وعاش على مائدة مكارم النبوة، حتى شبّ عن الطوق، واكتملت رجولته، وزاد من ذلك مصاهرته للنبي ﷺ حيث كان يتولاه وفاطمة الزهراء بالمواعظ والآداب العظيمة،

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٢).

فتنامت أخلاقه شموخاً وسجاياه علواً ورفعة<sup>(١)</sup>.

ولقد أجاد ضرار بن ضمرة الكناني في وصف تلك الأخلاق الباهرة، والمكارم النادرة، وأبان عن جوهرها ومكنوناتها عندما سأله معاوية (رضي الله عنه) أن يصف علياً، فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك.

قال: «أما إذ لا بد فإنه كان - والله - بعيد المدى - شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشِب، وكان - والله - كأحدنا يدنينا إذا أتينا، ويحيننا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد الله لقد رأيتَه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنني أسمعُه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا: إليّ تغررت؟ إليّ تشوفت؟ هيهات هيهات غُري غيري، قد بتت ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق».

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء...<sup>(٢)</sup>.

(١) علي بن أبي طالب تأليف الأستاذ عبد الستار الشيخ.

(٢) «حلية الأولياء» (١/٨٤-٨٥).

وكان (رضي الله عنه) من أزهد الناس في الدنيا، فكانت بالنسبة له قد أدبرت وأذنت بوداع، يكتفي منها بالقليل الذي يبلغه مقاصده، ويلبس خشن الثياب، ويأكل الغليظ من الطعام.

وعليٌّ - هذا الصحابي الجليل - كان في إسلامه نموذجاً باهراً للإسلام في أبهى صورته، وأرقى مثله، تكاملت في شخصيته مبادئ الدين في شكلها وجوهرها، فتمثل الإسلام عبادة وطاعة، وبذلاً وجهاداً، وزهداً وورعاً، وتقوى واستقامة، وتواضعاً وسيادة، وقوة ورحمة، وعلماً وعملاً، وعدالة وفضلاً، وولاءً، ونصرةً واستبسالاً.

وعليٌّ الذي سبق الناس إلى الإسلام فاقهم كذلك.. فاقهم بعلمه الغزير الذي تلقاه عن المصطفى ﷺ. فقام بهذا العلم يسير فوق صراط الحق بخطى ثابتة راسخة أكيدة، في شموخ واقتدار، فكان تلميذاً للقرآن، معلماً للناس.

وعليٌّ الذي تبوأ من العلم مكاناً علياً، قد علم أن من أكبر واجباته توقيف صاحب الرسالة، وتبجيله وتعظيمه، لأنه تربى في حجره، فكان ﷺ مصدر علمه، والقيّم على هدايته، وبه أنقذ الله تعالى البشرية من الظلمات إلى النور. ومثل علي لا يخفى عليه فضل رسول الله ﷺ على الأمة، ورفعة منزلته عند ربه سبحانه وتعالى وعند الناس أجمعين، فأحبه عليٌّ حباً لا يدانيه حب.

وقد تبوأ علي عند النبي ﷺ مكانة سامقة لكثرة مناقبه وعظمة أعماله وجليب خصاله ومزايده، مع قرابته له ﷺ ومصاهرته إليه، وجاءت في ذلك أحاديث كثيرة، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: (لم يُرَوَ في فضائل الصحابة بالأسانيد الحسان ما رُوي في فضائل علي (رضي الله عنه)). وذلك لأنه تأخرت وفاته عن سابقيه من الخلفاء، ووقع الاختلاف في زمانه، وخرج من خرج عليه، فقام

الصحابة بنشر فضائله والرد على من خالفه، وسعى الناس في طلب تلك المناقب حتى ذاعت وانتشرت بين الناس<sup>(١)</sup>.

كان (رضي الله عنه) من كُتَّاب الوحي الأمين، ويكتب بين يدي رسول الله ﷺ الكتب والعهود والمواثيق، وهو الذي كتب بنود صلح الحديبية. وفي غزوة خيبر نال من النبي ﷺ تلك البشرى الغالية، والشهادة العظيمة، والوسام الخالد، عندما قال: « لأعطين الراية - أو ليأخذنَّ الراية - غداً رجل يحب الله ورسوله - أو قال : يحب الله ورسوله - يفتح الله عليه »<sup>(٢)</sup>.

وعندما توجه النبي ﷺ إلى تبوك، وخلف علياً على المدينة، وطعن المرجفون على عليّ (رضي الله عنه) قال النبي ﷺ ذلك القول الخالد لعلي: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى »<sup>(٣)</sup>.

وقد كان (رضي الله عنه) فصيحاً بليغاً وخطيباً مفوهاً، وواعظاً وبارعاً. إذا تكلم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، وإذا خطب أخذ بالألباب فحلَّتْ بها في الآفاق، وبهر العقول بمنطقه الفذِّ وحجته الدامغة، وإذا جلس للوعظ ملك القلوب وحرَّك الجوارح بكلمات كأنهنَّ جواهر نظمن في عقد بديع، فتذرف لكلامه العيون، وتضطرب بمواعظه الأفئدة، وتتسامى عن الدنيا وتشتاق للآخرة.

وفي بطون الكتب نفائس من نصائحه البليغة وخطبه المطولة الأخاذة في شتى مجالات الحياة وأمور الناس وقضايا الإسلام.

قال (رضي الله عنه): (احفظوا عني خمساً، فلو ركبتم الإبل في طلبهم

(١) « علي بن أبي طالب » تأليف عبد الستار الشيخ (ص ٩١).

(٢) البخاري (مع الفتح) (٧٠ / ٧) رقم (٣٧٠٢)، ومسلم بشرح النووي (١٧٧ / ١٥).

(٣) البخاري (مع الفتح) (٧١ / ٧) رقم (٣٧٠٦)، ومسلم بشرح النووي (١٧٤ / ١٥).

لأنضيتموهم قبل أن تدركوهم؛ لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له<sup>(١)</sup>.

وصلَّى الغداة ذات يوم، ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأنَّ عليه كآبة، ثم قال: (لقد رأيتُ أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعناً غبراً صفرأً بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذُكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل - والله - ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين)<sup>(٢)</sup>.

ولقد ابتلي علي (رضي الله عنه) في أيام خلافته بمحب غالٍ، ومبغض قالٍ، وتمادى أمر الخوارج حتى ضللوا علياً (رضي الله عنه) وأتباعه، ومعاوية وأتباعه، وكفروا الجميع، وخرجوا عليهم مستحلين لقتالهم، فقال علي لأصحابه، يُقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. ثم نهز إلى قتال الخوارج، فجرى له معهم وقعات، ولما أفنأهم قتلاً ولم يبقَ لهم شوكة ولا جماعة، اجتمع نفرٌ من بقاياهم وتعاقدوا على قتله، وقتل معاوية وعمرو بن العاص.

وكان الذي التزم لهم قتل علي (رضي الله عنه) أشقى الأخوين عبدالرحمن بن ملجم الحميري ثم المرادي، قدم الكوفة قاصداً لذلك، وخرج إلى السُدَّة التي يخرج منها عليٌّ إلى المسجد، فكمُن فيها ومعه شبيب بن بحرة. فلما خرج علي بدره شبيب فضربه فأخطأ، ثم ضربه ابن ملجم على رأسه، وقال: الحكم لله يا علي، لا لك ولا

(١) «حلية الأولياء» (١/٧٥، ٧٦).

(٢) «حلية الأولياء» (١/٧٦).

لأصحابك، فقال عليّ: لا يفوتكم الكلب، فشدّ الناس عليه من كل جانب حتى أمسكوه. وخرج شبيب هارباً من باب كندة، ثم قال علي (رضي الله عنه): احبسوه، فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إليّ في العفو والقصاص<sup>(١)</sup>.

فلما مات تقدم أبناؤه فقتلوا ابن ملجم، وذهب إلى ربه ليحاسبه على فعله الأثيم. ورحل علي (رضي الله عنه) إلى الدار الآخرة، وقد طعن غدراً في السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة<sup>(٢)</sup>، في مثل اليوم الذي كان يطاعن فيه الكفار وينازل الطواغيت في غزوة بدر الكبرى.

رحل ابن أبي طالب بعدما سطر في كل لحظة من حياته الأجداد والبطولات. ونشر العلم النافع، وتخرج به الأئمة العلماء، فكانت حياته بعد رحيله كالشمس المتألقة أخذت مكانها العالي في حياة البشرية، وراحت تجذب إلى مدارها كل قيم البطولة والبراعة، والحق والإيمان، والصدق والإخلاص، والشرف والنجدة.

فهنيئاً له تلك الصحبة، وبوركت تلك الأعمال الجليلة التي سطرها، ونعم الحاتمة التي نالها، ولتهنأه المنزلة من الجنان في جوار ابن عمه وأبي زوجه رسول الله

ﷺ



(١) «الرياض المستطابة» (ص ١٧٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣١).



## سعد بن أبي وقاص

«ارم .. فداك أبي وأمي» رسول الله ﷺ يحرضُ سعداً يوم أُحُد

سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين،  
وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى<sup>(١)</sup>.  
والده مالك بن أهيب من بني عبد مناف. وأمه حمثة بنت سفيان بن أمية،  
بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية<sup>(٢)</sup>.

كان يربش النبل ويصنعه في الجاهلية، فلما جاء الإسلام صار من أبرع الرماة  
وأقدر الفرسان، وهو القائد المحنك، والفارس المجرب. إنه بطل القادسية،  
ومدائن كسرى، وفتح العراق. وهو كذلك أول من رمى بسهم في سبيل الله  
عندما انضم إلى كتيبة عبيدة بن الحارث حين بعثه رسول الله ﷺ إلى رافع - مكان

(١) انظر «البداية والنهاية» (٨ / ٧٢).

(٢) «الإصابة» (٣ / ٧٣).

قرب مكة - ليلقى عير قريش، فتراموا بالنبل، وكان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله، وقال فيما ذكره عنه بعضهم:

ألا هل أتى رسول الله أني  
أذود بها أوائلهم ذياداً  
فما يعتد رام في عدو  
وذلك أن دينك دين صدق  
ينجي المؤمنون به ويخزي  
فمهلاً قد غويت فلا يعبنى  
وفي معركة بدر أبلى سعد بلاءً حسناً، ودافع دفاع الراغبين في الشهادة، الطالبين لها.

وفي غزوة أُحد ظهرت قوة إيمان سعد وصلابة جنانه في الدفاع عن الرسول ﷺ فقد وقف شامخاً كالجبل، يدافع وينافح ويصدّ تلك الهجمات الحاقدة، ونقل له رسول الله ﷺ كنيته وقال: «ارم فداك أبي وأمي»<sup>(١)</sup>. وعن ابن المسيب قال: قال عليّ: «ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد»<sup>(٢)</sup>.

ولم يتوقف عطاء سعد عند هذا الحد، فقد شهد غزوة الخندق، وباع تحت شجرة الرضوان.. واخترق حصن خيبر مع عليّ (رضي الله عنه). وحمل إحدى رايات المهاجرين الثلاث في فتح مكة، وتمّ النصر، وحقّق الله وعده للمؤمنين.

(١) «البداية والنهاية» (٣/٢٤٤)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (١/١٠١).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/٩٢)، والبخاري (٢٩٠٥)، ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٥).

وبعد وفاة الرسول ﷺ تولى الخلافة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). فكانت حروب الردّة ومعارك الخارجين عن الصف، وترهات المفرقين بين الصلاة والزكاة، ثم جاء عمر (رضي الله عنه) لينقل هؤلاء الرجال.. إلى خارج الجزيرة العربية.. بعد أن أخذت الفتنة، وعاد الجميع إلى ساحة الإسلام. وعلى ربي الشام كانت صولات خالد وإيمان أبي عبيدة ينشران الإسلام، ويطويان الأرض طياً. وعلى مشارف العراق يجابه المثني بن حارثة مئات الألوف الزاحفة الجرّارة حاملين معهم أقوى ما وصلت إليه البشرية في ذلك الوقت من أسلحة وأساليب حربية، ويستعينون في زحفهم هذا بأعتى الحيوانات ضراوة وقوة، إنها الفيلة المدربة الفاتكة.

وجاء رسول المثني إلى عمر يطلب مدداً، ويحدثه عن أحوال جنود المسلمين على مشارف العراق. قال عمر: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب. وقرر أمراً. ودعا الناس إلى الجهاد، فلما اجتمعوا إليه خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى صراراً<sup>(١)</sup> فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبدالرحمن بن عوف، فإن لم يقدر هذان على علم شيء ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب، فسأله عثمان عن سبب حركته فأحضر الناس، فأعلمهم الخبر، واستشارهم في المسير إلى العراق.

فقال العامة: سرّ وسرّ بنا معك، فدخل معهم في رأيهم، وقال: اغدوا واستعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأيي هو أمثل من هذا، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله ﷺ وأرسل إلى علي، وكان استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة وكانت على المقدمة فرجع إليه، وإلى الزبير وعبدالرحمن، وكانا على المجنبتين،

(١) هو - بالصاد المهملة - على ثلاثة أميال من المدينة، على طريق العراق.

فحضراً، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويرميه بالجنود، وجمع الناس وقال: إني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل. قالوا: الأسد عادياً سعد بن مالك، فانتهى إلى قوهم، وأحضر سعداً وأمره على حرب العراق، ووصاه وقال: لا يغرنك من الله إن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء.. الله ربهم، وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه...<sup>(١)</sup>

وفي ريف العراق أخذ سعد يعبي جنوده ويؤمر الأمراء.. حتى وقف على مشارف القادسية، وعلم رستم بوصول سعد فزحف إليه بجيشه ومعداته وأفياله وعيونه. ولما كان قريباً منه أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا. فدعا سعد جماعة ليرسلهم إليهم، فقال له ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، متى تأتهم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل، فمأثوه جميعاً على ذلك، فأرسله وحده فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة، وأعلم رستم بمجيئه، فأظهر زيتته وجلس على سرير من ذهب، وبسط البسط والتمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد، فلما انتهى إلى البسط قيل له: انزل. فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه، وأروه التهاون وعرف ما أرادوا فأراد استخراجهم وعليه درع وأخذ عباءة بعيه فتدّرعها وشدّها على وسطه بسلب.

(١) «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (٢/٣٠٩-٣١٠).

فقالوا: ضع سلاحك. فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتوني فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه ويزج النمارق والبسط، فلم يدع لهم نمرقاً ولا بساطاً إلا أفسده وهتكه، فلما دنا من رستم جلس على الأرض، وركّز رمحه على البسط فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم؟ فقال له ترجمان رستم واسمه عبود من أهل الحيرة: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر.

فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم كم أحب إليكم أيوماً أو يومين؟ قال: بلى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، وأراد مقاربتة ومدافعتة فقال: وإن مما سنّ لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع، إلا أن تبدأنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي، قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا. ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض، يجير أديانهم على أعلاهم، فخلا رستم برؤساء قومه فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قط أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى دين هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه.

فقال: ويحكم، لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة،

إن العرب تستخفّ باللباس والمأكل، وتصون الأحساب ليس مثلكم، فلما كان الغد أرسل رستم إلى سعد أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث حذيفة بن حصن، فأقبل في نحو من ذلك الزم ولم ينزل عن فرسه، ووقف على رستم راكباً قال له: أنزل، قال: لا أفعل، فقال له: ما جاء بك ولا يجيئ الأول؟ قال له: إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأول، فقال رستم: المواعدة إلى يوم ما، قال: نعم ثلاثاً من أمس، فردّه، وأقبل على أصحابه وقال: ويحكم أما ترون ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجدنا وربطه به، وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا وهو في يمن الطائرة يقوم على أرضنا دوننا حتى أغضبهم وأغضبوه.

فلما كان الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعث المغيرة بن شعبة، فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها. فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه، وقال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسي، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد، وإني لم آتكم ولكن دعوتوني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم تغلبون، وإن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السفلة: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة. <sup>(١)</sup> وعاد المغيرة إلى سعد وقال له: «إنها الحرب».

(١) «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

وقام سعد وصلّى بالناس الظهر ثم كَبَّرَ أربعاً وحملوا على أعدائهم بعد أن أمرهم أن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأوشكت الفيلة أن تعمل عملها في صفوف المسلمين، ولكن القيادة المؤمنة أبطلت سطوة هذا السلاح الجديد الذي لم تعرفه العرب من قبل.

وناد القعقاع في أبناء عمومته: ماذا نفعل يا أتباع محمد ﷺ؟ وكأن الأمر كان معداً.. فلم تمض لحظات حتى خرجت الإبل مجللة مبرقة وعليها فرسان ملثمون، يحملون هباً ومشاعل يحيط بها رجال أقوياء.. ورأت الفيلة هذا الهول المرعب ففرّت هاربة تحطم صفوف الفرس، وتوجد الخلل بين تشكيلاتهم، وتبعهم فرسان المسلمين.

وفي الجانب الآخر صوت يقود المعركة ويوجه سيرها ويُسعل الحمية في قلوب رجالها، إنه صوت سعد الذي كان يملأ سماء المعركة دويماً وقوة.

يا أصحاب محمد ﷺ.. يا أهل بدر، يا رجال موقعة اليمامة، تقدّموا فالله معكم وناصركم. ورفع سعد أكف الضراعة إلى ربه: اللهم نصرك الذي وعدت، اللهم امنحنا أكتافهم، وهبنا النصر من عندك. وتقدّم الرجال، رجال بدر والقادسية يزيلون هذا الركام المتعفن، ويطهرون من عبدة النار، ومن أرجاس الوثنية.

وارتفع صوت يهزّ الكون بكلمة: الله أكبر، الله أكبر. إنَّ هذا الصوت يعرفه سعد. إنه صوت هلال بن علقمة.

وانداح في أرجاء المعركة لبيسّر أتباع محمد ﷺ بقتل رستم قائد الفرس، واعتلى فوق سريره قائلاً: قتلتُ رستم وربّ الكعبة، إليّ إليّ، فأطافوا به، وكبّروا فنقله سعدُ سلبه<sup>(١)</sup>. وانهزم المشركين، وانتهت المعركة، وتحققت دعوة سعد، ونصر الله

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٣٣٥).

عباده المؤمنين. ثم تأتي موقعة المدائن بعد القادسية بقرابة عامين، فيبلي فيها سعد بلاءً عظيماً.

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: أمر سعد المسلمين أن يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم اقتحم بفرسه دجلة، واقتحم الناس وراءه، لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنها يسيرون على وجه الأرض حتى ما رأوا ما بين الجانبين، ولم يعد وجه الماء يُرى من أفواج الفرسان والمشاة، وجعل الناس يتحدثون، وهم يسيرون على وجه الماء، وكأنهم يتحدثون على وجه الأرض؛ وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن والثوق بأمر الله ونصره، ووعدته وتأيدته<sup>(١)</sup>. ونزل سعد القصر الأبيض، واتخذ إيوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيه.

ولما دخل الإيوان قرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨]، وصلى ثمان ركعات.. ثم شرع في تحصيل ما هنالك من الأموال مما لا يوصف كثرة<sup>(٢)</sup>.

وقد كان سعد (رضي الله عنه) مستجاب الدعوة؛ لأن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك حدّث عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكاه أهل

(١) «البداية والنهاية» (٦٦/٧).

(٢) «البداية والنهاية» (٦٦/٧)، و«تاريخ الطبري» (٤٦٤/٢).

(٣) إسناده صحيح. وأخرجه الترمذي (٣٧٥٢)، والحاكم (٤٩٩/٣)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

الكوفة سعداً إلى عمر، فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا، فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، صلاتي العشي لا أحرَم منها، أركد في الأولين وأحذف في الآخرين. فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق فبعث رجالاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا قالوا خيراً، حتى أتوا مسجداً لبني عبس، فقال رجل يقال له أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن. قال عبدالمك: فأنا رأيتَه يتعرَّض للإماء في السكك. فإذا سُئِل كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابتنِي دعوة سعد<sup>(١)</sup>.

وتَمَرُّ الأيام ويُقتل عمر بن الخطاب ؓ ثم يُقتل عثمان ؓ وتشتعل الفتنة بين المسلمين فيعتزها سعد، ولا يحضر الجمل ولا صنين ولا التحكيم<sup>(٢)</sup>.  
ويبلغ الكتاب أجله، ويفارق سعد هذه الدنيا الفانية، وكان رأسه قُبيل وفاته في حجر ابنه مصعب، فعنه قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضى. فبكيت، فرفع رأسه إليَّ فقال: أي بُني، ما يُبيكيك؟ قلتُ: لمكانك وما أرى بك.  
قال: لا تبك فإنَّ الله لا يعذبني أبداً. وإني من أهل الجنة. قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له<sup>(٣)</sup>.

كانت وفاته سنة ست وخمسين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة<sup>(٤)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/١١٢-١١٣).

(٢) المرجع السابق (١/١٢٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/١٢٢).

(٤) المرجع السابق (١/١٢٤).

هنيئاً لك البشارة بالجنة أبا إسحاق، ورضي الله عنك يا بطل القادسية، ويا  
فاتح المدائن، وجعل الله في أمتنا من يحدو حدوك ويسير بسيرتك. آمين.




---

\* سيأتي الحديث بالتفصيل عن «عبد الرحمن بن عوف» و«سعيد بن زيد» في كتاب «دروس  
في مناقب الصحابة».



## الزبير بن العوام

### حواري رسول الله ﷺ

إنه حوارِيُّ رسول الله ﷺ، وفارس عرفته المعارك، وفرَّ من أمامه الفرسان، وأحد الرجال السابقين للإسلام. وأحد الستة من رجال الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ليختاروا من بينهم خليفة من بعده. والده العوام بن خويلد، قُتل يوم حرب «الفجار». وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عمَّة الرسول ﷺ، وشقيقه حمزة<sup>(١)</sup>. يجتمع نسب الزبير ونسب رسول الله ﷺ في قصي بن كلاب، ويُنسب إلى أسد بن عبد العزى بن قصي، فيقال: الأسدي<sup>(٢)</sup>. إنه من أسرة عريقة في النسب، كان لها دورها في الجاهلية والإسلام، تعود

(١) «البداية والنهاية» (٧/١٠٥) و(٧/٢٤٩).

(٢) المرجع السابق.

رجالها أن يجندلوا الأبطال ويلقوا مصارعهم في أتون المعارك دفاعاً عن العرض والمال وحمى الديار.

ومن أجل ذلك تربى الزبير منذ نعومة أظفاره تربية قاسية عنيفة، وأعدّ إعداداً كاملاً لمصارعة الفرسان، لقد كانت أمه صفة تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها: قتلتها، أهلكته، قالت:

إنما أضربه لكي يدبَّ ويجرّ الجيش ذا الجلب<sup>(١)</sup>

وكسر يد غلام ذات يوم فجيء بالغلام إلى صفة، فقيل لها ذلك، فقالت:

كيف وجدت وبراأ أقظاً أم تمرأ

أم مشمعلأ صقرأ<sup>(٢)</sup>

أسلم مبكراً عندما علم بدعوة الإسلام وهو ابن ست عشرة سنة، فأخذ عمه يعلقه ويُدخّن عليه وهو يقول: لا أرجع إلى الكفر أبداً<sup>(٣)</sup>. وعندما أذن مؤذن الهجرة إلى الحبشة كان الزبير بن العوام في مقدمة المهاجرين إلى هناك، حيث لقي المسلمون في جوار النجاشي كل رعاية وعناية، وعندما نازع النجاشي رجل من الحبشة، حزن المسلمون لذلك حزناً شديداً، وأخذوا يترقبون أخبار المعركة بينه وبين خصمه التي كانت تدار على الجانب الآخر من النيل، ولما لم تسعفهم رواية الأخبار اجتمع المسلمون على أرض الحبشة وقالوا: من رجل يخرج إلى أرض المعركة ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير: أنا. قالوا: فأنت، ونفخوا له قربة فجعلها في

(١) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٤٥).

(٢) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٤٥).

(٣) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٤٤).

صدره، ثم سبّح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

وانتصر النجاشي على عدوه، فعاد الزبير إلى المسلمين ليشرهم بهذا النصر قائلاً: «ألا ابشروا، فقد ظهر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكّن له في بلاده»<sup>(١)</sup>.  
ففرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً.

وعاد الزبير مرة أخرى إلى مكة مع العائدين عندما علموا بخديعة قريش وإشاعتهم الصلح بينهم وبين الرسول ﷺ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه).

وإذا كان سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أول من أراق دمًا بمكة بعد دعوة الإسلام، فإن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) كان أول من سلّ سيفه في سبيل الله، وذلك عندما أذاع المشركون أن رسول الله ﷺ قد قتل، فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب، وقال: الغلام معه السيف، حتى أتى النبي ﷺ فقال: «ما لك يا زبير؟» فأخبره، وقال: أتيت أضرب بسيفي من أخذك<sup>(٣)</sup>.

وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، ورأى الزبير أن أحبابه وأصحابه أخذوا يتفلتون الواحد تلو الآخر، في رحلات متتابعة إلى المدينة، وأحسّ إن توانى في الهجرة فلن يبقى معه أحد من الصفوة المختارة، فكلهم لا يطيقون فراق رسول الله ﷺ ولا يقبلون الحياة بعيداً عنه.

(١) «سيرة ابن هشام» (١/٣٣٨).

(٢) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (٣/١٦٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٢)، وهو في «المستدرک» (٣/٣٦٠-٣٦١)، ورجاله ثقات.

وقرر أن يلحق بالرسول ﷺ، وهاجر بمفرده حتى دخل المدينة، فنزل على المنذر بن محمد بن عقبة (رضي الله عنه)<sup>(١)</sup> وهو أنصاري خزرجي، شهد بدرًا واستشهد ببئر معونة<sup>(٢)</sup>.

وفي المدينة عاش الزبير بن العوام رضي الله عنه جندياً من جنود الإسلام، يعمل بأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام، ويأتمر بأمر القائد.. حتى كان يوماً وهو يصلي في المسجد ركعات لربه سبحانه ويقرأ آيات من القرآن، إذ سمع جلبة وضوضاء خارج المسجد، وما إن انقضى من صلاته حتى خرج مسرعاً يستطلع الخبر.. وكم كانت فرحته عندما علم بأنه رُزق بغلام من زوجته أسماء بنت أبي بكر، وكان سروره غامراً هو ومن معه من المسلمين، لأن عصابة الكفر من اليهود قبل ذلك قد أشاعوا أنهم سحرُوا المسلمين فلا يولد لهم، فكان ابنه عبدالله أول مولود في الإسلام للمهاجرين بالمدينة<sup>(٣)</sup>.

وعندما ركبت قريش رأسها وجاءت لحرب رسول الله ﷺ في موقعة بدر كان الزبير بن العوام يركب فرسه، وعليه عمامة صفراء، ويقود ميمنة الجيش<sup>(٤)</sup>، وجندل من صنديد قريش عبيدة بن سعيد بن العاص، ونوفل بن خويلد بن أسد، وجُرح جرحين غائرين، وفي هذه المعركة روي أنه نزل جبريل عليه السلام على سياء الزبير (رضي الله عنه)<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/١٠٢).

(٢) انظر «الإصابة» (٦/٢١٩).

(٣) «رجال أنزل الله فيه قرآنًا» (٣/١٦١).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٦).

(٥) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٨٤)، ونسبه إلى الطبراني، وقال: هو مرسل صحيح الإسناد.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جدي ابن عمه أحمد ووزيره      عند البلاء وفارس الشقراء  
وغداة بدر كان أول فارس      شهد الوغى في اللامة الصفراء  
نزلت بسيماء الملائكُ نصره      بالحوض يوم تألب الأعداء<sup>(١)</sup>

وفي غزوة أُحُد ثبت مع النبي ﷺ وباعه على الموت، وكانت معه إحدى رايات المهاجرين. ولما انصرف المشركون من أُحُد وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا، فقال: «من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوة؟ فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا. قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً<sup>(٢)</sup>».

وفي يوم الخندق - اليوم الذي زاغت فيه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر - قال رسول الله ﷺ: «من يأتينا بخبر بني قريظة؟»، فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حوارى، وحوارى الزبير»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبدالله بن الزبير قال: يا أبة قد رأيتك تحمل على فرسك الأشقر يوم الخندق، قال: يا بني، رأيتني؟ قال: نعم. قال: فإن رسول الله ﷺ يومئذ ليجمع

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٧/٣)، والبخاري (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥) والترمذي (٣٧٤٥)، وابن ماجه (١٢٢) في المقدمة، والحواري: الناصر، وقيل: الخالص من كل شيء، وقيل: الخليل.

لأبيك أبويه، يقول: «ارم.. فذاك أبي وأمي»<sup>(١)</sup>.

ولما توفي الرسول ﷺ كان الزبير جندياً عارفاً بالواجب الملقى على عاتقه، فهو مرة يرسل مدداً على مشارف الروم ليشارك في معركة اليرموك الفاصلة، وأخرى على أرض مصر مع عمرو بن العاص محاصراً (حصن بابليون)، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقبل للزبير: إنَّ الأرض قد وقع بها الطاعون فلا تدخلها، فقال: إنها خرجت للطعن والطاعون<sup>(٢)</sup>.

ثم يتقدم إلى عمرو بن العاص قائلاً: يا عمرو، إني أهب نفسي لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوافقه عمرو على ذلك.

فتقدم الزبير ووضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن ثم صعده، وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيراته أن يجيبوه جميعاً. وأخذ الأعداء على غرة، وأصابهم الهول والفرع عندما شاهدوا الزبير على رأس الحصن يكبّر والجنود من خلفه يتدفقون. وانتهت بفتح الحصن المعركة الحاسمة لفتح مصر.

وطلب المقوقس الصلح، فأجابته المسلمون إلى ما طلب، وكان الزبير بن العوام وأبناء عبدالله ومحمد شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين<sup>(٣)</sup>.

وصدق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قال: «لو عهدت أو تركت تركة، كان أحبهم إليَّ الزبير، إنه ركن من أركان الدين»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١/١٦٤)، والبخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٥٥).

(٣) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (٣/١٦٤).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٥٤-٥٥)، وانظر «الإصابة» (٢/٥٥٦).

ولقد أحسن حسان حين مدحه. فقال:

أقام على عهد النبي وهديه      حوارئيه والقول بالفعل يُعدُّ  
أقام على منهاجه وطريقه      يوالي ولي الحق والحق أعدل  
هو الفارس المشهور والبطل الذي      يصول إذا ما كان يوم مُحَجَّل  
وإنَّ أمراً كانت صفية أمه      ومن أسد في بيته لمرفل  
له من رسول الله قربة قريبة      ومن نصرة الإسلام مجد مؤثِّل  
فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه      عن المصطفى والله يعطي ويجزِّل  
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حشَّها      بأبيض سباق إلى الموت يُرقل<sup>(١)</sup>  
فما مثله فيهم ولا كان قبله      وليس يكون الدهر ما دام يذبل<sup>(٢)</sup>

وتمر الأيام وينصرف الزبير رضي الله عنه يوم الجمل عن علي رضي الله عنه، فيلقى الزبير ابنه  
عبدالله فيقول: جُبناً، جُبناً! قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكرني  
عليُّ شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:  
ترك الأمور التي أخشى عواقبها      في الله أحسن في الدنيا وفي الدِّين  
وقيل إنه أنشد:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعي      أن الحياة من الممات قريب<sup>(٣)</sup>  
وبعد أن عاد الزبير أدراجه، ولم يقاتل علياً لقيه النَّعْرُ المجاشعي، فقال: يا  
حواري رسول الله! أين تذهب؟ تعال، فأنت في ذمتي، فسار معه، وجاء رجل إلى

(١) يُرقل: أي يُسرع.

(٢) يذبل: جبل مشهور بنجد، والأبيات في «أسد الغابة» (٩٩/٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦٠/١).

الأحنف بن قيس، فقال: «إن الزبير بسفوان، فما تأمر إن كان جاء، فحمل بين المسلمين، حتى إذا ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيف أراد أن يلحق بيته؟». فسمعها عمير بن جرموز، وفضالة بن حابس، ورجل يقال له: نفيح، فانطلقوا حتى لقوه مقبلاً مع النعر، وهم في طلبه، فأتاه عمير من خلفه، وطعنه طعنة ضعيفة، فحمل عليه الزبير، فلما استلحمه وظن أنه قاتله قال: يا فضالة! يا نفيح! فحملوا على الزبير حتى قتلوه<sup>(١)</sup>.

وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين<sup>(٢)</sup>، ودُفن بوادي السباع، وجلس علي (رضي الله عنه) يبكي عليه هو وأصحابه<sup>(٣)</sup>. وقد حدث الفضل بن أبي الحكم، عن أبي نضرة قال: «جيء برأس الزبير إلى عليّ، فقال عليّ: تبوأ يا أعرابي مقعدك من النار، حدثني رسول الله ﷺ أن قاتل الزبير في النار»<sup>(٤)</sup>.

وبلغ مقتل الزبير زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، فقالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة<sup>(٥)</sup>      يوم اللقاء وكان غير مُعَرَّد<sup>(٦)</sup>  
يا عمرو لو نبهته لوجدته      لا طائشاً رعى البنان ولا اليد

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٦١).

(٢) «أسد الغابة» (٢/١٠٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٦١).

(٤) المرجع السابق (١/٦١). ورواه بنحوه الطيالسي، وابن سعد، ورواه الحاكم في مستدرکه وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) البهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه.

(٦) المعرَّد: اسم فاعل من عرَّد تعريداً؛ إذا فرَّ وهرب.

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله      فيما مضى مما تروح وتغتدي  
 كم غمرة<sup>(١)</sup> قد خاضها لم يشنه      عنها طرادك يا ابن فقع الفدغد  
 والله ربك إن قتلت لمسلماً      حلّت عليك عقوبة التعمّد<sup>(٢)</sup>

وهكذا قتل الرجل الورع التقي، الذي كان يخشى الله تعالى ويخاف عقابه،  
 فرضي الله عنه وأرضاه، وعامل قاتله بما يستحق<sup>(٣)</sup> إنه على كل شيء قدير.



(١) الغمرة: الشدة.

(٢) الفقع - بفتح الفاء وكسر ها وسكون القاف - : نوع أبيض من رديء الكمأة، والفدغد: الأرض المستوية، وفقع الفدغد: مثل للدليل.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٦٧).

(٤) قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/١٠٠): «كثير من الناس يقولون: إن ابن جرموز قتل نفسه لما قال له عليّ: بئس قاتل ابن صفيّة بالنار، وليس كذلك، وإنما عاش بعد ذلك حتى ولي مصعب بن الزبير فاختمى ابن جرموز، فقال مصعب: ليخرج فهو آمن، أظن أني أفيده بأبي عبدالله - يعني أباه الزبير - ليسا سواء، فظهرت المعجزة بأنه من أهل النار، لأنه قتل الزبير (رضي الله عنه) وقد فارقت المعركة، وهذه معجزة ظاهرة».



## طلحة بن عبيد الله

### عملاق من عمالقة الإسلام

إنه عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من أشجع الفرسان، ورجل من أولئك الرجال الذين كان لهم أطيب الأثر وأعظمه في الفتوحات الإسلامية الأولى. والده: عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي المكي<sup>(١)</sup>، كان من أشراف مكة وأولى الحظوة فيها. وأمّه: الصعبة بنت الحضرمي، جدّها لأمها وهب بن عبدالله، صاحب العطاء والكرم<sup>(٢)</sup>.

وبين أبيه وأمّه نمت طفولته، وترعرع شبابه، وتعلّم على أيديهما الكثير من شؤون الحياة والتخلّق بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة. حتى إذا بلغ مبلغ الرجال تزوج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٣).

(٢) «الإصابة» (٢/٢٢٩).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٣٠).

نشأ طلحة (رضي الله عنه) في مكة، فعرف سهولها ووديانها، وتنقل بين جبالها وقممها، وتعلم الرماية بالسهم، والإصابة بالرمح، ولما شبَّ عن الطوق ضاقت به جنبات مكة، فاختر طريق التجارة، ومن هنا عرفته أسواق بصرى والشام، عرفته تاجراً صدوقاً، وخبرته بائعاً سمحاً.

وسارت حياة طلحة (رضي الله عنه) بين ظعن وإقامة، وحلّ وترحال، وتوالت الأيام، وكثرت الليالي، وهي لا تخرجه عن مزاوله التجارة هذا العمل الشاق الذي رضيه لنفسه واختاره لحياته.

#### إسلامه:

حدث طلحة عن إسلامه فقال: «حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ فتقدمت وقلت: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبدالله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحره وسياخ، فأياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبدالله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة، قال: خرجت حتى دخلت على أبي بكر فقلت: أتبع هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق. فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك»<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٢١٥).

وتابع طلحة حياته، واستمر على إسلامه، يلتقي بالرسول ﷺ ويستمع إلى ما ينزل من آيات القرآن. وخرج طلحة مسافراً بتجارته إلى الشام هذه المرة، وهو يختلف اختلافاً كبيراً عن خروجه في المرات السابقة.

لقد خرج بقلب الرجل المسلم الذي يرى تأييد الله تعالى له، لأنه لم يخرج تاجراً فحسب، بل خرج تاجراً وداعياً إلى ربه، وعاد طلحة بعد ذلك مسرعاً إلى مكة حتى تكتحل عيناه برؤية سول الله ﷺ.

وبينما كان طلحة يسير في طريقه إذ أبصر عن بُعد قافلة صغيرة تسرع الخطا نحو المدينة، وما زال يتابعها ببصره حتى اقتربت منه، وإذا هي قافلة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وفرح طلحة بلقيا رسول الله ﷺ وصاحبه، وكساهما من ثياب الشام<sup>(١)</sup>، وودعهما إلى لقاء.

ثم عاد طلحة إلى مكة، فلم يجدها كما كانت من البهجة والسرور والحركة والعمل. لقد هاجر الإخوة والأحباب إلى المدينة، وتبعهم رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر (رضي الله عنه). عند ذلك أخذ طلحة يتخفف من أحماله وما عنده من عروض التجارة.. وأزمع الهجرة إلى المدينة، واحتمل معه أسرة أبي بكر (رضي الله عنه). ووصلت قافلة طلحة إلى المدينة، ونزل على الصحابي الجليل أسعد بن زرارة (رضي الله عنه).

واستمر طلحة في مدينة الرسول ﷺ جندياً من جنود الله، وداعية إلى الإسلام، ومؤتمراً مع الصحابة الكرام بأوامر المصطفى ﷺ. وفي يوم من الأيام سمع الرسول ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة، فيها أموال وتجارة، فبعث طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٢١٥).

من المدينة بعشر ليال، يتجسبان خبر العير، فخرجا حتى بلغا الحوراء، فلم يزا  
مقيمين هناك حتى مرّت بهما العير. وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة  
وسعيد إليه، فندب أصحابه وخرج يريد العير، فساحت العير وأسرعت،  
وساروا الليل والنهار فرقا من الطلب، وخرج طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد  
يريدان المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير، ولم يعلما بخروجه، فقدمتا المدينة في  
اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة  
يعترضان رسول الله ﷺ، فلقيهما بتربان فيما بين ملل والسيالة على المحجة منصرفا  
من بدر، فلم يشهد طلحة وسعيد الواقعة، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهامهما  
وأجورهما في بدر فكانا كمن شهدها<sup>(١)</sup>.

وشهد طلحة أحداً مع رسول الله ﷺ، وكان فيمن ثبت معه يومئذ حين ولى  
الناس، وباعه على الموت، ورمى مالك بن زهير يوم أُحد رسول الله ﷺ، فاتقى  
طلحة بيده وجه رسول الله ﷺ فأصاب خنصره فشلت، فقال حين أصابته الرمية:  
حَسَّ، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون»  
<sup>(٢)</sup>. ثم ردّ المشركين.

وعاد طلحة يوم أُحد بأربع وعشرين جراحة حتى قال رسول الله ﷺ:  
«أوجب طلحة»<sup>(٣)</sup>.

وعن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٢١٦-٢١٧).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/٢١٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١/٢٧)، قال الذهبي: رواه ثقات.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٣٩)، وأحمد (١/١٦٥)، والحاكم (٣/٣٧٤) وصححه، ووافقه

لأعرابي جاء يسأله عنم قضى نحبه: من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسأله ﷺ، توكيراً وهيبه، فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم إني اطلعتُ من باب المسجد - وعلي ثياب خُضر - فلما رأني رسول الله ﷺ قال: «أين السائلُ عنم قضى نحبه؟»، قال الأعرابي: أنا، قال: هذا ممن قضى نحبه»<sup>(١)</sup>.

وشهد طلحة (رضي الله عنه) الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وعاش طلحة مع رسول الله ﷺ جندياً من جنود الدعوة، وفارساً من فرسان الإسلام، واستمرَّ على ذلك حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم جاء أبو بكر فسار معه طلحة سيرته مع رسول الله ﷺ، حيث شارك في حرب الردة، وساعد خليفة رسول الله ﷺ في تدبير شؤون المسلمين، والسهر على رعايتهم حتى وافاه أجله.. ثم جاء عمر وبعده عثمان رضي الله عنهما. فكان طلحة لهما أخاً ووزيراً، وصديقاً حبيباً.

ومرَّت الأيام .. وخرج طلحة يوم موقعة الجمل، ثم اعتزل في بعض الصفوف، فرُمي بسهم في رجل، وقيل إن السهم أصاب ثغرة نحره، فمات<sup>(٢)</sup>. وانتهت المعركة ومرَّ علي (رضي الله عنه) بين القتلى، فرأى طلحة مقتولاً، فجعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيزُ عليَّ أبا محمد بأن أراك مجدلاً في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجري وبُجري<sup>(٣)</sup>.

وكان قتله (رضي الله عنه) في سنة ست وثلاثين في جمادي الآخرة، وهو ابن

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٢)، قال الأرئوط: سنده حسن.

(٢) «أسد الغابة» (٤٦٩/٢).

(٣) أي سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣٦/١).

ثنتين وستين سنة أو نحوهما، قتله مروان بن الحكم<sup>(١)</sup>.

قال الذهبي: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علي<sup>(٢)</sup>.

ويموت طلحة افتقدت مدرسة الإسلام رجلاً من أعزّ رجالها، وأكرم فرسانها.

رحم الله تعالى أبا محمد رحمة واسعة، ورضي عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام

خير ما يجزى به الأتقياء الأبرار.



---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.



## أبو عبيدة بن الجراح

### أمين هذه الأمة

إنه القائد الذي ملأ سمع الدنيا انتصاراً وفوزاً.. والإنسان الذي سخر من الدنيا وبهرجها الزائف، وألقى بنفسه في أتون المعارك يطلب الموت في سبيل الله.. والقوي الأمين الذي اختاره رسول الله ﷺ لأهل نجران معلماً وأميناً<sup>(١)</sup>.. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.. والقائد الذي طلب من ربه - عز وجل - أن تكون آخر أيامه وسط جنوده فحقق الله له مطلبه.

إنه أبو عبيدة بن الجراح. وتلك هي أهم الخطوط البارزة في شخصية أمين الأمة، وناشر كلمة (الله أكبر) في ربوع الشام وبطاحها. وكان - رحمه الله - من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، وأشدهم حياءً<sup>(٢)</sup>

(١) انظر البخاري مع «فتح الباري» (٧/٩٣).

(٢) انظر «الإصابة» (٣/٥٨٩).

كان من أولئك السابقين إلى الإسلام، حين أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعاً في ساعة واحدة، وذلك قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها<sup>(١)</sup>.

ومن هذا التاريخ تحول إنساناً جديداً يكاد يكون مبتوت الصلة عن الرجل الأول الذي عاصر جهالة قريش، وتقديسها لأصنامها وتخبطها في معتقداتها. وعندما ركبت قريش رأسها، وأعلنت الحرب على الفئة المؤمنة وسامتها صنوف العذاب، وأذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، كان أبو عبيدة في مقدمة المهاجرين إليها.

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي قابلهم بها ملك الحبشة، والتكريم لهم ولأسرهم، وإغداق الأموال عليهم، وتقريبهم له في مجلسه.. فإن ذلك كله لم يعوضهم ما كان يشنف آذانهم ويملاً قلوبهم بالإيثار والغبطة من آيات التنزيل، وهدى الرسول الكريم ﷺ، بل نراهم يعودون مسرعين إلى مكة، عندما نقلت إليهم أخبار الصلح بين محمد ﷺ وقريش، ولقد أنستهم الفرحة الغامرة التي لفتهم جميعاً من أن يتحققوا من صدق الخبر، واستقبلتهم قريش بعذاب أشد وتنكيل أكبر، وسقط البعض صرعى الحقد الأسود الذي يملأ قلوب الكفار.

ومن أول يوم وطئت فيه أقدام ابن الجراح أرض المدينة وطن نفسه وحياته لجليل التبعات وعظيم المسؤوليات، ولقد ظهر أثر ذلك في كل الغزوات التي خاضها بمفرده أو مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف أبو عبيدة عن واحدة منها. وفي غزوة أحد وقد بلغ القتال ذروة ضراوته أحاط الأعداء رسول الله ﷺ،

(١) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٧-٨).

وشاهد أبو عبيدة سهماً ينطلق من إحدى الأيدي الآثمة، ويصيب رسول الله ﷺ، فاقرب منه مع بقية الصحابة وعمل سيفه في الذين يحيطون به، وشاهد الدم الزكي وهو يسيل على وجهه الشريف ﷺ. قال أبو بكر (رضي الله عنه) مصوراً الدور الذي قام به أبو عبيدة لما كان يوم أحد: ورمى رسول الله ﷺ حتى دخلت في وجنتان حلقتان من المغفر، أقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيراناً، فقلت: اللهم اجعله طاعة، حتى إذا توافينا إلى رسول الله ﷺ إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني فقال: أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعهما من وجه رسول الله ﷺ، فتركته فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على الأرض، وسقطت ثنيته معه. ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى فسقطت فكان أبو عبيدة في الناس أثرم<sup>(١)</sup>.

وأيام اتسعت مسؤوليات الصحابة وعظمت، كان أبو عبيدة في مستواها دوماً بصدقه وأمانته.

لما أرسله النبي ﷺ في غزوة الخيبر أميراً على ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من المقاتلين، وليس معهم من زاد سوى جراب تمر.. والمهمة صعبة، والسفر بعيد، استقبل أبو عبيدة واجبه في تفانٍ وغبطة، وراح هو وجنوده يقطعون الأرض، وزاد كل واحد منهم طوال يوم حفنة تمر، حتى إذا أوشك التمر أن ينتهي، هبط نصيب كل واحد منهم إلى ثمرة في اليوم.. حتى إذا فرغ التمر جميعه راحوا يتصيدون «الخيبر»<sup>(٢)</sup> بقسيهم، فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء.. ومن أجل ذلك

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٤١٠).

(٢) أي ورق الشجر.

سُميت هذه الغزوة بغزوة الخبط<sup>(١)</sup>. لقد مضوا لا يبالون بجوع ولا بحرمان، ولا يعينهم إلا أن ينجزوا مع أميرهم القوي المهمة الجليلة التي اختارهم رسول الله ﷺ لها<sup>(٢)</sup>.

ويأتي وفد من نجران للنبي ﷺ يطلب منه أن يرسل معهم رجلاً يعلمهم أمور دينهم ويفقههم في شريعة ربهم، ويحكم بينهم فيما اقتسموا، ويعدل بالسوية إذ اختلفوا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لأبعثن أميناً حق أمين، فأشرف أصحابه<sup>(٣)</sup>، فبعث أبا عبيدة»<sup>(٤)</sup>.

وكان عمر (رضي الله عنه) يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر يمينه ويساره، فجعلت أتطاول ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه»<sup>(٥)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يقول عن أبي عبيدة: «إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/٢٧٦) و (٦/٢٨٠) و «تاريخ الأمم والملوك» (٢/١٤٧)، و (٢/٢٠٩).

(٢) «رجال حول الرسول» (ص ٢٤٠-٢٤١).

(٣) أي تطلعوا للولاية ورجبوا فيها حرصاً على تحصيل الصفة المذكورة وهي الأمانة.

(٤) «البخاري - مع الفتح» (٧/٩٣)، برقم (٣٧٤٥).

(٥) «فتح الباري» (٧/٩٤).

(٦) أخرجه أحمد (٣/١٣٣)، والبخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩)، والحاكم (٣/٢٦٧)

ويطلب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من أبي عبيدة أن يتولى قيادة جيوش المسلمين على أرض الشام بدلاً من خالد بن الوليد (رضي الله عنه).  
لم يكد أبو عبيدة يستقبل مبعوث عمر (رضي الله عنه) بهذا الأمر الجديد، حتى استكتمه الخبر، وكتمه هو في نفسه طاوياً عليه صدر زاهد فطن أمين حتى أتم خالد فتحه العظيم.. وآئذ، تقدم إليه في أدب جليل بكتاب أمير المؤمنين ويسأله خالد:

يرحمك الله أبا عبيدة.. ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب..؟؟  
فيجيبه أمين الأمة: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان، وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت المناصب لا تغرهم ولا تنال منهم، والدنيا كلها عندهم كذلك. وأرسل عمر إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم، وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: انظر ما يصنع. فقسمها أبو عبيدة. فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا.  
ولما قدم عمر الشام تلقاه أمراء الأجناد وقادة الجيوش، فسألهم: أين أخي؟ فقالوا: مَنْ؟ قال: أبو عبيدة.

قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا، وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعاً»، أو قال: «شيئاً».

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٣).

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين: إن هذا سيبلغنا المقيلاً<sup>(١)</sup>.

وفي ذات يوم، وأمير المؤمنين عمر الفاروق (رضي الله عنه) في المدينة يعالج شؤون عالمه المسلم الواسع جاءه الناعي أن قد مات أبو عبيدة في طاعون عمواس. كان عمر (رضي الله عنه) يعلم بذلك الوباء، وكأنه يضمنُ بأبي عبيدة على الموت، فأرسل إليه يطلب منه الخروج إليه، قال عمر (رضي الله عنه): «سلام عليك، أما بعد، فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل».

وقرأ أبو عبيدة خطاب عمر، وعرف منه ما أراد، فكتب إليه: «يا أمير المؤمنين، قد عرفت حاجتك إليّ، وإني في جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلستُ أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضائه فخلني من عزيمتك».

ويصل خطاب أبي عبيدة إلى عمر، فلما قرأه بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين: أ مات أبو عبيدة؟ فقال: لا، وكان قد<sup>(٢)</sup>.

ولما أصاب أبا عبيدة الطاعون قال: يا معاذ، صلِّ بالناس، فصلي، ثم مات أبو عبيدة، فخطب معاذ فقال في خطبته: وإنكم فجعتم برجل والله ما رأيت من عباد الله قط أقل حقدًا ولا أبر صدرًا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء للعاقبة، ولا أنصح للعامه منه فترحموا عليه<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة

(١) «حلية الأولياء» (١/١٠١-١٠٢)، و «الإصابة» (٣/٥٨٩) ط. دار الجبل.

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/٤٨٨)، و «سير أعلام النبلاء» (١/١٩).

(٣) «الإصابة» (٢/٢٥٤).

ثمان عشرة، وأرخه بعضهم سنة سبع عشرة، وهو شاذ<sup>(١)</sup>.  
 وبعد .. فهنيئاً لأبي عبيدة الصبر عند البلاء، وهنيئاً له البشارة بالجنة، ورضي  
 الله عنك يا بطل الأبطال، ويا مجندل الكفر وأهله، وحاطم الشرك وحزبه، يا من  
 لم تعرفك الدنيا إلا فوق فرسك فاتحاً، أو على الثرى ساجداً، ولربك شاكرأ.





## حمزة بن عبدالمطلب

أسد الله وسيد الشهداء

إنه البطل الإمام الضرغام، أبو عمارة، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي، ثم المدني البدري الشهيد، عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة، حمزة بن عبدالمطلب.. أسد الله، وأسود رسوله، وسيد الشهداء - كما قال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.  
إسلامه:

في يوم من الأيام طلبته مولاة لعبد الله بن جدعان، فاتجه نحوها فقالت له: «يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفأ من أبي الحكم بن هشام، وجدته ها هنا جالساً فأذاه وسبّه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ»<sup>(٢)</sup>.  
كان حمزة يسمع والغضب يظهر على وجهه، فانطلق إليهم، فأبصر أبا جهل

(١) أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن، انظر «السير للذهبي» بتخريج شعيب الأرنؤوط (١٧٧، ١٧٢/١).

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٣/٢١٣).

فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكّرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ علي إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً<sup>(١)</sup>.

وسارع حمزة (رضي الله عنه) بالدخول في الإسلام<sup>(٢)</sup>، فكان من السابقين، وشكر الله - عز وجل - أن يسر له ذلك، فكان يقول:

حمدتُ الله حين هدى فؤادي من الإشرار للدين الحنيف<sup>(٣)</sup>

وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كان نصيب حمزة في المؤاخاة زيد بن حارثة<sup>(٤)</sup> - رضي الله عنهما -.

وعندما استقر الرسول ﷺ بدأ بأعماله الجهادية حيث عقد الرسول ﷺ أول لواء، لواء حمزة بن عبد المطلب، حيث أرسله إلى سيف البحر من ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم (مجدي بن عمرو الجهني)، وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال، وجادت قريجة حمزة مصوراً تلك الحادثة، فيذكر أن رايته هي الأولى عقدها له رسول الله ﷺ:

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (١/٥٤٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/٣٨٨).

(٤) انظر «الإصابة» (١/٨٣).

بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبلي  
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل  
عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي<sup>(١)</sup>  
وأحب حمزة الجهاد حباً عظيماً وأخلص فيه فوفقه الله، وكتبه من الشهداء  
الأبرار وتبدأ القصة في معركة أحد عندما دعا جبير بن مطعم غلامه وحشي بن  
حرب وقال له: «اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة  
ابن عدي، فأنت عتيق»، وبعد أن فرغ جبير من كلامه دفعه إلى هند بنت عتبة  
زوج أبي سفيان التي لم تترك في صدره وقلبه مكاناً إلا وزرعت حقدتها، وزينت له  
قتل حمزة وأغرته بالحرية التي ينشدها.

ودارت معركة أحد بين الإسلام والكفر، وقام فيها حمزة ببطولة نادرة راح  
يقطع رؤوس المشركين واحداً إثر الآخر، وأحدث في صفوفهم خللاً واضطراباً،  
حيث قتل أרטأة بن شرحبيل<sup>(٢)</sup>، وقتل حامل لواء قريش، ثم مرَّ به سباع بن عبد  
العزي أحد كفار قريش، فلما التقيا ضربه حمزة فأرداه قتيلًا.

وظل حمزة يهد بسيفه صفوف المشركين حتى قُتل على يد وحشي بن حرب  
وها هو وحشي يصف ذلك فيقول: «وكنت رجلاً حبشياً، أذف بالحربة قذف  
الحبشة، فلما أخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى  
رأيت في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هداً، ما يقوم له  
شيء، فوالله إني لأتهياً له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني، إذ تقدمني

(١) السيرة النبوية (٣/١٤١).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/١٨).

إليه سباع بن عبد العزي، فلما رآه حمزة قال له: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور.  
قال: فضربه ضربة كأنها أخطأ رأسه.

قال: وهزرت حربتي، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته،  
حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوي فغلب، وتركته وإياها حتى  
مات، ثم أتيت فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى المعسكر، فقعدت فيه ولم يكن لي  
بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق...<sup>(١)</sup>.

انتهت معركة أحد، ورجع المشركون نحو مكة، وسقط عدد من شهداء  
المسلمين في أرض المعركة، استشهد حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير،  
وعبدالله بن جحش، وسعد بن الربيع وغيرهم رضي الله عنهم.

وبقي حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) رمز البطولة والشهادة في سبيل  
الله، ورثاه كثيرون، وخلدوا مآثره، فكان ممن رثاه حسان بن ثابت وكعب بن  
مالك وعبدالله بن رواحة، ومن رثاه عبدالله قوله:

بكت عيني وحق لها بكاهها      وما يغني البكاء ولا العويل  
على أسد الإله غداة قالوا      لحمزة ذاكم الرجل القليل<sup>(٢)</sup>  
ورثته صفة بنت عبد المطلب، فقالت:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوةً      إلى جنة يجيهاها وسرور  
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي      لحمزة يوم الحشر خير مصير<sup>(٣)</sup>



(١) انظر «البداية والنهاية» (٤/١٨، ١٩)، و«تاريخ الطبري» (٢/٦٦).

(٢) «الإصابة» (١/٣٥٤).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/١٢٠).



## سعد بن الربيع

### الناصح لله ورسوله

نحن الآن مع الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البدري. أبوه الربيع بن عمرو، من سادات بني الحارث الخزرجيين. وأمه هزيمة بنت عنبة من القبيلة نفسها.

لما دعا مصعب بن عمير إلى الإسلام في المدينة كان سعد بن الربيع ممن أسلم على يديه وصادفت دعوة الإسلام من سعد بن الربيع قلباً خالياً فتمكنت منه، ونفساً صافية فاستقرت في أعماقها، وسرت الطمأنينة في نفسه، فراح يستمع إلى مقرئ المدينة «مصعب بن عمير»، فأدرك بصفاء فطرته صدق ما يدعو إليه مصعب، حتى استقر الإسلام في قلبه وتعمق في وجدانه.

الهجرة إلى المدينة والمؤاخاة:

بعد أن اشتدَّ أذى قريش للمسلمين أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالخروج إلى

إخوانهم الأنصار في المدينة، فخرج المسلمون إلى المدينة، وخرج رسول الله ﷺ، فلما دخلها وعندما كانت ناقته قريباً من دار بني الحارث وقف سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج. ودعوه إلى النزول عندهم فقالوا: «يا رسول الله هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة»، فقال عليه الصلاة والسلام: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»<sup>(١)</sup>.

ولما استقر النبي ﷺ في المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وكان من ذلك مؤاخاته بين سعد وعبدالرحمن بن عوف.

روى ابن سعد عن أنس بن مالك قال: لما قدم عبدالرحمن بن عوف على رسول الله ﷺ المدينة آخى بينه وبين سعد بن الربيع قال: فانطلق به سعد إلى منزله فدعا بطعام، فأكل، وقال له: لي امرأتان وأنت أخي في الله، لا امرأة لك، فأنزل عن إحداهما فتزوجها، قال: لا والله، قال: هلم إلى حديثي أشاطركها، فقال: لا، بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلوني على السوق<sup>(٢)</sup>.. فانظر إلى هذا الإيثار العظيم عند سعد (رضي الله عنه).

وحضر سعد بديراً حيث انتهت بانتصار المسلمين، ولم يغب سعد بن الربيع عن الساحة حيث حانت ساعة الوداع في معركة أحد.

لقد كان سعد بن الربيع (رضي الله عنه) يطاعن المشركين ويقاتلهم بكل ما أوتي من قوة وصبر حتى سقط على الأرض، غير أن نفسه كانت تتوق لمعرفة أخبار الرسول ﷺ، إذ أشيع نبأ بأن الرسول ﷺ قد أصيب، ولم يكن سعد بن

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٢٢٦) وهو حديث صحيح انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص ٢٨٧.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري في كتاب البيوع والمناقب، باب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

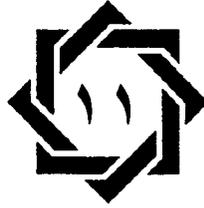
الربيع (رضي الله عنه) وهو في نزع الموت يبالي بجروحه ولا بطعنات الرماح القاتلة، بل كانت السعادة عنده أن يكون الرسول ﷺ سليماً.

انصرف المشركون عن أرض المعركة، وفرغ الناس لقتلاهم، ويسأل الرسول ﷺ عن سعد بن الربيع فيقول: «من يأتينا بخبر سعد، فقال رجل: أنا. فذهب يطوف بين القتلى فوجده وبه رمق، قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟

قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف<sup>(١)</sup>، ثم ما لبث سعد (رضي الله عنه) أن مات شهيداً متأثراً باثنتي عشرة طعنة نافذة، وصعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية بإذن الله، فأعظم به من موقف، وأعظم بها من تضحية.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣١٨، ٣٢٠) والحديث رواه البيهقي، ومالك في الموطأ، وقال ابن حجر في الإصابة ٢/٢٧، «وفي الصحيح من حديث أنس ما يشهد لبعضه».



## عبدالله بن جحش

### مجاهد من الطراز الأول

إن مما تميز به رسول الله ﷺ أنه كان يزرع الثقة والثبات في قلوب المؤمنين، ويثبت في نفوسهم انتصار الإسلام وانتشاره، حتى مضت سنتان على الجهر بالدعوة، وأذى كفار قريش للمسلمين ما يزال مستمراً، ويحزن الرسول ﷺ للمآسي التي تقع لأصحابه، وهو لا يستطيع دفع الأذى عنهم، فأوعز بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»<sup>(١)</sup>.

عندها خرج جمع من المسلمين منهم الصحابي الجليل الذي نتحدث عنه هنا وهو عبدالله بن جحش بأخوته وأخويه وأهل بيته جميعاً إلى تلك الأرض التي حددها لهم رسول الله ﷺ، إلى أرض لا يظلم فيها أحد، وإلى ملك كان يعرف

(١) «سيرة ابن هشام» (١/٣٢١، ٣٢٢).

ربه، ويتابع محمداً ﷺ على دينه، ويتابع أنباءه مع قريش، ومعاركه في سبيل نصرته هذا الدين. (١)

وعاش عبدالله وأسرته في الحبشة في جوار هذا الملك الكريم، حتى جاءتهم الأخبار أن قريشاً رجعت عن ضلالها، وتابعت الرسول ﷺ فيما يدعو إليه فعاد إلى قريش.

وفي مكة عرف أن ذلك لم يكن سوى خديعة من قريش أشاعتها حتى يعود إليها هؤلاء الفارون بدينهم لتباشر معهم صنوف التعذيب والتنكيل.

وأقام عبدالله وأسرته بمكة، حتى أذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة.

شهد عبدالله بن جحش غزوة بدر الكبرى مع رسول الله ﷺ وأبلى فيها بلاءً حسناً وقاتل قتال الأبطال، وأسر الوليد بن الوليد بن المغيرة، والذي أسلم بعد أن رأى حسن المعاملة من المسلمين، وأيد الله المؤمنين بنصره وخذل المشركين.

ثم شهد (رضي الله عنه) غزوة أحد، التي أراد الله فيها ابتلاء المسلمين واختبارهم.

ودار حوار بين عبدالله بن جحش وسعد بن أبي وقاص، فعن ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه (رضي الله عنه) قال: إن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: ألا نأتي فندعوا الله؟

فجلسا في ناحية فدعا سعد وقال: «يارب، إذا لقيت العدو غداً ألقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله وأخذ سلبه».

فأمّن عبدالله بن جحش ثم قال: «اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه، شديداً

(١) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (١٠٧/٢).

حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني. فإذا لقيتك قلت: يا عبدالله، فيم جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت»<sup>(١)</sup>.

ودارت رحى الحرب، وسارع عبدالله بن جحش إلى المعركة خلف خاله حمزة ابن عبد المطلب يصول ويجول، ويقاتل الأعداء بشدة وبأس، وهو عازم على الشهادة، وكادت قريش أن تنهزم لولا أن غادر الرماة مواقعهم في الجبل هابطين إلى الميدان ليجمعوا الأموال والأسلاب. وهناك تغير وجه المعركة، فاستشهد عدد كبير من المسلمين، وفي هذه الأثناء كان عبدالله يضرب بسيفه كل من يقابله من المشركين حتى لقيه أبو الحكم بن الأحنس بن شريق<sup>(٢)</sup>، فصوّب إلى عبدالله ضربة قاضية خرّ شهيداً بدمائه الزكية الطاهرة، وكان له من العمر حين استشهد بضع وأربعون سنة<sup>(٣)</sup>.

انتهت المعركة، وجعل سعد بن أبي وقاص يبحث بين الشهداء، عن عبدالله ابن جحش، حتى وقف عليه، وقد جُدع أنفه، وقطعت أذنه، فقال: «كانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي، فلقد رأيتُه آخر النهار وقد قتل ومثل به، وإن أنفه وأذنه لمعلقان على شجرة بخيط»<sup>(٤)</sup>.

خرج المسلمون إلى ميدان المعركة لدفن قتلاهم الذين بلغوا سبعين قتيلًا، وأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على عبدالله بن جحش، فحزن عليه حزناً شديداً

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٢/ ٢٧٤).

(٢) «الروض الأنف» للسهيلي (٣/ ١٧٩).

(٣) «صفوة الصفوة» (١/ ٣٨٦).

(٤) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٢/ ٢٧٤).

لما أصابه من التمثيل مع عمه حمزة وبعض الشهداء رضي الله عنهم أجمعين ثم صلى الرسول ﷺ على الشهداء، وأمر أن يقدم في القبر أقرؤهم للقرآن. ودفن عبدالله بن جحش مع حمزة في قبر واحد<sup>(١)</sup>.

وقد بشر رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بأن له بيتاً في الجنة، وذلك عندما استولى أبو سفيان على داره بمكة بعد الهجرة إلى المدينة، ولما بلغ عبدالله صنيع أبي سفيان بداره ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «ألا ترضى يا عبدالله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟» قال: بلى. قال: «فذلك لك»<sup>(٢)</sup>.

فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد أخو عبدالله بن جحش في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال للناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل - فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ وقال لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامة  
دار ابن عمك بعثها تقضي بها عنك الغرامة  
أذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامة<sup>(٣)</sup>  
وبقي عبدالله بن جحش (رضي الله عنه) حديث الناس، وشجاعته مضرب الأمثال، وفي تلك الغزوة - غزوة أحد - حصلت معجزة من معجزات نبينا ﷺ مع عبدالله، حيث انقطع سيفه يومئذ فأعطاه الرسول ﷺ عرجوناً فصار في يد

(١) «الإصابة» (١/٣٥٤).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٨).

(٣) «أخبار مكة» للفاكهي (٣/٢٩٤).

عبدالله سيفاً يقاتل به، ثم بيع في تركة ولده بهاتني ديناراً<sup>(١)</sup>.

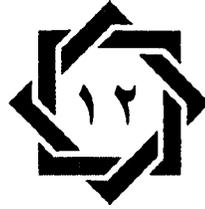
وكان سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) يتعهد زيارة أخيه الشهيد عبدالله بن جحش، ويحث أصحابه على زيارته وشهداء أحد فيقول: ألا تسلمون على الشهداء يردون عليكم؟!<sup>(٢)</sup>

وفي سفح أحد دُفن عبدالله بن جحش مثلاً فريداً للتضحية والنضال، وكان بحق من أولئك الرجال الأفاضال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.



(١) انظر «الإصابة» (٢/٢٨٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/٢٧).



## عمرو بن الجموح

### شيخ عزم على أن يطاء بعرجته في الجنة

نحن الآن مع واحد من كبار الأشراف في الجاهلية، وسيد من سادات بني سلمة، وهو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الخزرجي الأنصاري السلمى الغنمي<sup>(١)</sup>.

كان عمرو قد اتخذ في داره صنفاً صنَّع من الخشب النفيس، وكان يباليغ في العناية به، وقد عكف على رعايته حتى كبر سنه وهو ما يزال يرعى صنمه الذي اسمه «مناف» أو «مناة» كالصنم الذي يعظمه قومه في مكة<sup>(٢)</sup>.

وكان لعمرو بن الجموح أولاد: معاذ بن عمرو، ومعوذ، وخلاد، وعبدالرحمن

وعثمان وهند<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٥٣).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٣/١٦٥).

(٣) انظر «الإصابة» (٤/٦١٥) و(٦/٢٥٤)، و(٤/٣٤٠)، و(٤/٤٦٠)، و(٨/١٥٧).

وزوجته هند بنت عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم، كانت قد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وشهدت خيبر معه<sup>(١)</sup>.

ولما دعا مصعب بن عمير (رضي الله عنه) عمراً إلى الإسلام قرأ عليه صدرًا من سورة يوسف.

فقال عمرو بن الجموح: إن لنا مؤامرة في قومنا - وكان سيد بني سلمة - فخرجوا، فدخل على صنمه مناف فقال: «يا مناف، تعلم والله ما يريد القوم غيرك، فهل عندك من نكير»<sup>(٢)</sup> ثم خرج.

وفي الليل تسلل ولده معاذ بن عمرو مع معاذ بن جبل وفتية من بني سلمة، وذهبوا إلى المكان الموجود فيه مناف، فحملوه ثم طرحوه في إحدى حفر بني سلمة وكانوا يلقون فيها أقذارهم، ونكسوه على رأسه، ولما أصبح عمرو دخل إلى صنمه ليتبرك به، فلم يجده في مكانه فصاح عالياً: «ويلكم، من عدا على إلهنا هذه الليلة»!

ثم بحث عنه فوجده في إحدى الحفر القذرة منكساً على رأسه فقال: «وايم الله. لو أني أعلم من صنع بك هذا لأخزيت» ثم وضع صنمه في مكانه، وفي المساء تكرر العمل نفسه، وعاد الفتية مع ابنه معاذ بن عمرو على الصنم وألقوه في حفرة أخرى، ولما أصبح عمرو راح يبحث عن صنمه حتى ألفاه في أسوأ حال منكساً على رأسه أيضاً، وهكذا كان فتية بني سلمة يعيدون الكرة كل يوم، حتى جاء اليوم الذي أراد الله تعالى أن يُسلم فيه، حيث نهض ذات يوم، وأتى بالصنم فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم خاطبه قائلاً: «إني والله ما

(١) انظر «الإصابة» (١/١٠٤)، و«الطبقات الكبرى» (٨/٣٩٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٥٣).

أعلم من يفعل بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك، ولما أمسى عمرو بن الجموح ونام انتظره الفتيان حتى استغرق في نومه، ثم عدّوا على الصنم كالعادة، فألفوا سيفاً معلقاً في عنقه هذه المرة، فأخذوا السيف، ثم أخذوا كذلك كلباً ميتاً فقرنوه مع الصنم بحبل ثم قذفوا بهما في بئر من أبيار سلمة تتجمع فيها الأقدار، ولما أصبح غداً إلى صنمه فلم يجده، فخرج في طلبه حتى وجده في تلك البئر منكساً ومقروناً بكلب ميت، ولم يجد السيف معه، فتركه في البئر، واحتقره، ثم كلمه من أسلم من قومه فأعلن إسلامه، وأنشأ يذم صنمه ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلال وهو يقول:

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن  
أفّ لملقاك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن  
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديّان الدين  
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتهن<sup>(١)</sup>

وهكذا خلع عمرو كل جاهليته وتاب إلى الله -تعالى- توبة نصوحاً، ثم أوقف عمرو بن الجموح حياته لله، فلم يمنعه عرجه الشديد من أن يجود بنفسه في سبيل الله، فلما كانت غزوة بدر أراد عمرو أن يخرج مع من خرج لقتال المشركين، فمنعه أبناؤه، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يأمره بعدم الخروج لكبر سنه ووهن عظمه، وعرجه الشديد، وتألّم عمرو ألماً شديداً لعدم خروجه إلى الجهاد ومشاركته فيه، ولكنه امتثل لأمر الرسول ﷺ وبقي في المدينة وخرج أولاده جميعهم إلى بدر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/١٦٦).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٣/٢٨٨)، و (٣/٣٢٤)، و (٤/٣٧).

وهناك خاض المسلمون معركة بدر مع المشركين، والتحم الجيشان واختلط الناس، واندفع أولاد عمرو بن الجموح يقاتلون قتال الأبطال، فهذا معاذ بن عمرو يبدو في وسط الناس يبحث عن أحد رؤوس الكفر ليقضي عليه، وقد لقي أبا جهل وضربه بسيفه فأصاب ساقه، يقول معاذ: «جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلما أمكنتني حملت عليه، فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذنتي وضعت قدمي عليها، ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»<sup>(١)</sup>.

فهذه والله الشجاعة، لا كآخر ينقطع قلبه وتخور قواه من خدش بسهم.

وكان معاذ (رضي الله عنه) قتل يوم اليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة أيام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وله في ذلك قصة ذكرها ابن كثير<sup>(٢)</sup>.

وجاءت السنة الثانية، فخرجت قريش إلى أحد، وقد جمعت جموعها لمعركة الانتقام والثأر من المسلمين في بدر، فأعدت عدتها وسلاحها، وزحفت بذلك جميعه نحو أحد للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وخرج الأنصار وبنو سلمة قوم عمرو بن الجموح مع رسول الله ﷺ وأراد عمرو أن يخرج إلى ساحة الجهاد، فمنعه بنوه وقالوا: عذرنا الله. فأتى رسول الله ﷺ يشكوهم، فقال: «وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة»<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٥٠-٢٥١)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٧)، و(٧/ ٢٢٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٥/ ٣٤٢) حيث قال ابن كثير: «وله قصة سنورها إن شاء الله

إذا انتهينا إلى ذلك بحول الله وقوته وعونه ومعونته».

(٣) أخرجه البيهقي في السنة الكبرى (٩/ ٢٤).

وهنا فرح عمرو وفرحاً عظيماً وحمل سلاحه ثم خرج وهو يقول:  
 «والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة»<sup>(١)</sup>.  
 «اللهم ارزقني الشهادة، ولا تردني إلى أهلي خائباً»<sup>(٢)</sup>.  
 وروي أنه كان يقول: «أنا والله مشتاق إلى الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وانطلق عمرو مع أولاده إلى ساحة الجهاد، واصطحب معه مولاه أبا أيمن، وانضم إلى جموع بني سلمة، وبدأ القتال بين الفريقين، وانطلق بنو سلمة يقاتلون بصدق وثبات، وبينما عمرو يصول ويجول إذ لقيه الأسود بن جعونة - أحد فرسان المشركين - وضربه بسيفه فقتل شهيداً، ثم عاجل ابنه خلاداً بضربة أخرى ففاز بالشهادة أيضاً، وأما أبو أيمن مولى عمرو بن الجموح فقد قتله أحد المشركين، ولحق بركب الشهداء مع مولاه.<sup>(٤)</sup>

وانتهت المعركة وجاءت هند بنت عبدالله بن عمرو - زوج عمرو بن الجموح - وكانت قد حضرت غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها عبدالله بن عمرو بن حرام، واستشهد الزوج والولد<sup>(٥)</sup> والأخ، وحملتهم المجاهدة الصابرة على بغيرها، واتجهت نحو المدينة ولقيتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في طريق المدينة، فقالت لها: «عندك الخبر فما وراءك»؟

(١) «أسد الغابة» (٣/٧٠٥).

(٢) «أسد الغابة» (٣/٧٠٥).

(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/٦٦٤).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/١٢٦).

(٥) تعني ابنها خلاداً الذي قتل في أحد كذلك، انظر «الإصابة» (٢/٣٤٠).

فقلت هند: خيراً، أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جليل<sup>(١)</sup>، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]<sup>(٢)</sup>

وهكذا نال عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) شرف الشهادة، وكان من الذين باعوا أنفسهم لله منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها الإسلام، حيث كان يقول:

أتوب إلى الله مما مضى وأستنقذ الله من ناره  
وأثني عليه بنعمائه إليه الحرام وأستاره  
فسبحانه عدد الخطئين وقطر السماء ومداره  
هداني وقد كنت في ظلمة حليف مناة وأحجاره  
وأنقذني بعد شيب القذا ل<sup>(٣)</sup> من شين ذاك ومن عاره  
فقد كدت أهلك في ظلمة تدارك ذاك بمقداره  
أريد بذاك الذي قتلته مجاورة الله في داره<sup>(٤)</sup>

وقد دفن عمرو في أحد مع صاحبه عبدالله بن عمرو بن حرام الشهيد كذلك في قبر واحد، لأنهما كانا متصاحبين<sup>(٥)</sup>، وقد حدثت لهما كرامة، ذلك أن السيل كان قد خرب قبرهما، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس

(١) أي هين.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤ / ٤١).

(٣) القُدال: ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس.

(٤) «حياة الصحابة» (١ / ٢٣٢).

(٥) انظر «البداية والنهاية» (٤ / ٤٢).

وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة<sup>(١)</sup>.  
لقد كانت حياة عمرو بن الجموح في ظل الإسلام مليئة بالمواقف العظيمة، وكان يعمل للجنة ويرجوها، ونحن نسأل الله - تعالى - أن يحقق له ما يرجوه، فإن الله - عز وجل - لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وبذلك جاء الخبر في شأن عمرو نفسه فقد أخرج أحمد في مسنده<sup>(٢)</sup> من حديث أبي قتادة، قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ - وكانت رجله عرجاء - فقال رسول الله: «نعم». فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمرَّ رسول الله ﷺ فقال: «كأنني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد.



(١) «أخرجه مالك في الموطأ، وابن سعد في الطبقات الكبرى بإسناد صحيح، انظر «فتح

الباري» (٢١٦/٣).

(٢) (٢٩٩/٥).



## مالك بن سنان

### الشهيد في أحد

نحن الآن مع أحد كبار الصحابة، والذي بذل روحه وقدم كل ما يملكه لأجل هذا الدين، ذلكم هو مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، والد الصحابي الكريم سعد بن مالك، المشهور بكنية أبي سعيد الخدري<sup>(١)</sup>، الذي لازم رسول الله ﷺ وروى عنه سبعين ومائة وألف حديث<sup>(٢)</sup>.

وزوج مالك بن سنان أنيسة بنت عمرو بن قيس الأنصاري النجارية.. أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

والفريعة بنت مالك ابنته، جاء ذكرها في الحديث أنها جاءت إلى النبي ﷺ

(١) انظر «المستدرک علی الصحیحین» للحاکم (٦٤٩/٣).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٧٢/٣).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٤٢١/٨)، و «الإصابة» (٥٢٢/٧).

تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدره، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يترك لي مسكناً يملكه ولا نفقة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: نعم. قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد ناداني رسول الله ﷺ أو أمر بي فنوديت له، فقال: كيف قلت؟ قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، قال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً.. الحديث (١).

ولمالك بن سنان من البنات كذلك زينب وكبشة، ذكرهما ابن حجر (٢). وكان مالك بن سنان يسمع من اليهود عن ظهور نبي، وكانوا يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم، ويعلمون أبناءهم صفته واسمه ومهاجره إلى المدينة، فاستقرت في نفس مالك بن سنان ملامح رسول الله ﷺ، وكان يذكر ذلك لولده أبي سعيد، يقول أبو سعيد: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم - ونحن يومئذ في هدنة من الحرب - فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم.

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزىء به: ما صفته؟ قال يوشع: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينه حمرة، يلبس الشملة، ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجرة.

قال مالك بن سنان: فخرجت إلى قومي بني خدره، وأنا يومئذ أتعجب مما

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها، قال الترمذي:

هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر «الإصابة» (٦٧٩/٧)، و (٩٢/٨).

قال، فأسمع رجلاً يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا. ثم يقول أبو سعيد: قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة، فأجد جمعاً، فتذاكروا النبي ﷺ، فقال الزبير بن باطا اليهودي: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا بخروج نبي وظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجره<sup>(١)</sup>.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان من ضمن من آمن به حق الإيمان مالك بن سنان وابنه الصغير أبو سعيد، والذي سجل التاريخ له مع أبيه موقفاً لن ينسى مهما طال الزمان، وهو ما رواه أبو سعيد نفسه حيث يقول: «عُرِضَتْ يَوْمَ أَحَدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ، فَجَعَلَ أَبِي يَأْخُذُ بِيَدِي وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ عَبْلُ الْعِظَامِ<sup>(٢)</sup>» وجعل نبي الله ﷺ يصعد في النظر ويصوبه ثم قال: «رُدَّهُ، فَرَدَّنِي»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا رجع الصبي والحزن والألم باديان عليه، لأنه لم يفسح له المجال للجهاد بسبب صغر سنه وكان معه عدد من الصغار مثل: أسامة بن زيد، وزيد بن أرقم وابن عمر وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

إنها الروح الإيمانية العالية التي سيطرت على قلوب هؤلاء الصغار، الذين تعلموا الشجاعة والإقدام وعدم الخوف إلا من الله - تعالى - وحده وهكذا توتى التربية الإسلامية للأبناء ثمارها العظيمة في أحلك الظروف وأشد المواقف.

(١) «البداية والنهاية» (٢/٢٦٧)، وانظر من «البداية» كذلك (٢/٣٠٩).

(٢) أي ضخم أو كامل العظام، انظر «القاموس المحيط» ص ١٩٢٩ مادة قَبَلْ.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٦٩)، وانظر «شرح الزرقاني» (١/٢٠٠).

(٤) انظر السيرة النبوية (٣/٦٦).

هذا درس للناس جميعاً، أن يربوا أبناءهم على عشق الجهاد، والدفاع عن حياض الإسلام كما كان الصحابة يفعلون ذلك، ولا بأس أن يشتري الأب لأولاده الذكور مجموعة من الألعاب التي على شكل رشاش أو بندقية، ويغرس فيهم أن استعادة أجداد المسلمين لا تكون إلا بالاستعداد لبذل الروح رخصية في سبيل الله، وهنا يعجبني ذلك الموقف المدهش لمجموعة من الصبيان الصغار أثناء الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام لما هاجموا دبابة فرنسية بالمساطر، نعم بالمساطر، وكانت الدبابة تقصف وتدمر، فلما علاها أولئك الصغار توقفت عن القصف، وخرج الجندي من مخبئه مبتسماً، وقدم لهم قطعاً من الحلوى!

وفي غزوة أحد قام المسلمون ببطولات عظيمة واشتدت الحماسة في الدفاع عن رسول الله ﷺ حيث اجتمع حوله ثلثة من الصحابة، كان من بينهم مالك بن سنان (رضي الله عنه) حيث رأى الدم يسيل من وجنة رسول الله ﷺ فتقدم إلى النبي (رضي الله عنه) ومص الدم من على وجنتيه الشريفة وابتلعه<sup>(١)</sup>.

ثم انطلق مالك بن سنان ليكمل مجاهدة المشركين، فاعترضه غراب بن سنان الكناني - أحد فرسان المشركين - وضربه بسيفه فجرحه جرحاً بالغاً، ولم يلبث وقتاً طويلاً حتى قضى نحبه شهيداً (رضي الله عنه).

وهكذا يمضي مالك بن سنان الشهيد في أحد إلى الله - عز وجل - بعد أن ترك حياة حافلة بالجهاد والتضحية، مليئة بالدروس والعبر.

(١) انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٤/١٨٧)، وفتح الباري (٧/٣٦٦)، والإصابة (٥/٧٢٧) وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٣/٦٥١) وأضاف: فقال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى من خالط دمي فليُنظر إلى مالك بن سنان» وقد عقب الذهبي في التلخيص على ذلك فقال: إسناده مظلم.

ولن يضيع عمله سُدى لأن الله -تعالى- لا يضيع عمل عامل، والشهيد له مكانة عظيمة عند الله -عز وجل- كيف لا، والله -سبحانه- يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٣٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].





## مصعب بن عمير

### الداعية المجاهد

كانت مكة لاهية عابثة في أنديتها وأسواقها وبيوتها حين بدأت إرهابات الدين الجديد (الإسلام) تبدو في الأفق.

كل شيء كان مظلماً: العلاقات الاجتماعية التي لم تعد تحفل بحرام أو حلال، ولا تكثر بحق ضعيف أو مظلوم.

الشرعة: شرعة التعصب والعنجهية والقوة. أما الضعفاء المساكين فليس لهم في هذا المجتمع صوتٌ ولا رأي ولا حيلة بل ليس لهم إلا الطاعة والأين، والأقوياء سادرون: يأكلون أموال الناس بالباطل، ويتاجرون بالحرام، ويسفكون دم الأبرياء، ويستحلون حرمت الله، ولا يألون جهداً في تثبيت زعاماتهم وسيطرتهم الباغية.

واليهود في يثرب: يتلاعبون بمصير من حولهم، يتآمرون مع هؤلاء على أولئك، ويجرضون أولئك على هؤلاء، ويتفرجون من بعيد كيف تثور الضغائن

والأحقاد، ويقتل الأقوياء والإخوة والأبعدون، ويتنازع الناس أمورهم، فيلجؤون إليهم طالبين المشورة أو النصرة والعون، وهكذا يكون لهم المكان المرموق ويحققون لسمومهم أن تسري في عقائد الناس وأوصالهم، ويأخذون أموال الناس، ويستغلونها أيما استغلال، كل ذلك كان مظهراً للعقيدة التي كانت تسود ذلك المجتمع المتفكك<sup>(١)</sup>.

وكان مصعب بن عمير (رضي الله عنه) يرى ويسمع كل يوم مثل ذلك الطيش الأخرق والعناد الظالم، والجاهلية حوله بكل ما فيها من عقائد تافهة: أصنام، ومعبودات لا تنطق ولا تتحرك.

والإنسان لا قيمة له ولا كرامة إلا بقدر ما يملك من السلطان والجاه والمال. والتعصب والطيش هما اللذان يتحكمان في المجتمع وليس العقل أو التفكير، فأية قيمة لكل هذه المعتقدات؟ وأية قيمة لهذه المعبودات؟ وأية قيمة لهذه العقيدة التي تغير فيها وتبدل حسب ما يحلو لك وطبقاً لرغباتك؟! وأية قيمة لهذه العادات والأعراف في المجتمع ما دامت تتغير وتتبدل حسب أهواء السادة والزعماء؟! كل هذه الأمور كانت تثير في ذهنه تساؤلات كبيرة، وكانت تحفر في نفس الفتى الشاب المنعم أخاديد عميقة من التفكير والتعبير.

وكانت دار الأرقم تقوم بجانب الصفا ولا تبعد عن الكعبة كثيراً، وغدت بيت الإسلام الأول، ومنطلق دعوته، ومركز تجمع المسلمين الأوائل، يجتمعون فيها، ويتلقون دروس الإيمان ومنهج الدعوة الإسلامية الخالدة على يد رسول الله ﷺ، وفيها يجتمع صفوة مؤمنون، لم تجمعهم عصبية رعناء، ولا غنيمة مشتهاة، ولا مصلحة قريبة أو بعيدة من مصالح الأرض، فيهم أبو بكر وعلي وعثمان وبلال

(١) مصعب بن عمير الداعية المجاهد: محمد حسن بريغش.

وعمار بن ياسر والزبير وطلحة وأبو عبيدة وصهيب رضي الله عنهم أجمعين، وعلى وجوههم مسحة من النور، وفي محياهم ابتسامة الحياة والأمل، وفي نفوسهم طمأنينة الرضوان والحق<sup>(١)</sup>.

ودخل مصعب بن عمير ليكون واحداً منهم، جندياً وداعياً، ومجاهداً في سبيل الله، واستبشر الرسول ﷺ والصحابة الكرام بفتى قريش مصعب بن عمير. جاء في السيرة أن مصعب بن عمير لما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم، وصدق به، وخرج فكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرّاً<sup>(٢)</sup>.

وكان من السابقين للدخول في الإسلام، خاصة وأنه هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى التي كانت في سنة خمس من النبوة، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة<sup>(٣)</sup>.

وخرج مصعب من النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثراً الشظف والفاقة.. وأصبح الفتى المتأنق المعطر لا يرى إلا مرتدياً أحشن الثياب، يأكل يوماً، ويجوع أياماً، ولكن روحه المتأنقة بسمو العقيدة كانت قد جعلت منه إنساناً آخر يملأ الأعين جلالاً، والأنفوس روعة.. وأنثذ، اختاره الرسول ﷺ لأعظم مهمة في حينها: أن يكون سفيره إلى المدينة.

روى ابن سعد أن رسول الله ﷺ بعثه إلى المدينة ليفقه الأنصار: فقال: لما انصرف أهل العقبة الأولى «الاثنا عشر» وفشا الإسلام في دور الأنصار، أرسلت

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر «الإصابة» (٦/١٢٣).

(٣) المرجع السابق.

الأنصار رجلاً إلى رسول الله ﷺ وكتبت إليه كتاباً: ابعث إلينا رجلاً يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير (رضي الله عنه)، فقدم، فنزل على أسعد بن زرارة، وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار كلها<sup>(١)</sup>.

وكان مصعب بن عمير يُقرئ أهل العوالي القرآن ويعلمهم، فكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يُجمع بهم، فأذن له، وكتب إليه: «انظر من اليوم الذي يجهر فيه اليهود لسببهم، فإذا زالت الشمس فزدلف إلى الله فيه بركتين، واخطب فيهم»<sup>(٢)</sup>. فجمع بهم مصعب بن عمير في دار سعد بن خيثمة، وهم اثنا عشر رجلاً، وما ذبح لهم يومئذ إلا شاة، فهو أول من جمع في الإسلام جمعة<sup>(٣)</sup>.

#### استشهاده:

بعد انتهاء غزوة بدر الكبرى بانتصار كبير للدعوة الإسلامية، أحسَّ المشركون أن جذور الجاهلية بدأت تتحرك وتهتز، فاجتمعوا لحرب رسول الله ﷺ ومقاومة الدعوة، وتآلفت القوة الجديدة من قريش وأحابيش مكة، وعدد من قبائل كنانة وأهل تهامة، وقدم الأثرياء المال والمتاع والسلاح ودواب الركوب حتى تكوّن جيش كبير يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم الطعن حتى لا يفروا، وعلم رسول الله ﷺ بخروجهم فاستشار الصحابة فأشار أكثرهم بالخروج للقاء العدو خارج المدينة، وسار جيش المسلمين حتى التقى بالمشركين عند جبل أُحُد،

(١) انظر «البدية والنهاية» (٣/١٤٩)، و(٣/١٥٦)، و(٣/١٨٨).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/١١٨).

(٣) المرجع السابق.

وجاءت قريش بكل طاقتها وحقدتها وغيظها وثأرها تريد القضاء على الإسلام والمسلمين، ولكي تسترد كرامتها وتثأر لقتلها في بدر، وكانت النسوة وراءهم ينشدن، ويحرضن على القتال، ويحمنن الرجال ويذكين الثأر والحقد عندهم، وها هي هند بنت عتبة مع بقية الجيش يضربن على الدفوف ويحرضن على القتال وينشدن محمسات بني عبد الدار أصحاب اللواء وغيرهم قائلات:

ويهاً بني عبد الدار      ويهاً حماة الأديار

ضرباً بكل بتار

إن تُقبلوا نعانق      ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق      فراق غير وامق<sup>(١)</sup>

ونزل جيش المشركين مقابل المدينة على شفير الوادي، بينما نزل جيش المسلمين في الشعب من أحد، في عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، ثم أمر رسول الله ﷺ الرماة - وعددهم خمسون - أن ينضحوا الخيل عن جيش المسلمين حتى لا يأتوا من خلفهم، وقال لرئيسهم عبدالله بن جبير: «انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك»<sup>(٢)</sup>، ثم دفع اللواء إلى مصعب بن عمير<sup>(٣)</sup>.

وقد أبلى مصعب (رضي الله عنه) في هذه المعركة - معركة أحد - بلاءً حسناً، وقاتل قتال المؤمنين الأبطال دفاعاً عن عقيدته وعن لواء الحق الذي يحمله، وظل

(١) «البداية والنهاية» (١٦/٤)، وانظر «تاريخ الأمم والملوك» (٤٧٩/١).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٢٦/٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية إن له شاهداً في الصحيحين (١٥/٤).

(٣) انظر «البداية والنهاية» (٢٦٠/٣)، و (٣٢٧/٣)، و (١٥/٤).

مصعب بين القلة المؤمنة التي ظلت تدافع عن دعوتها وعن رسولها، يلقي المدججين من قريش ويناوح بسيفه وجسده، ويدفع الحاقدين الذين يقذفون بأنفسهم لقتل رسول الله ﷺ، وانهاك المشركون ضرباً وفتكاً بالمسلمين بعد نزول الرماة وهجوم الفرسان والمشركين من الخلف، وبقي اللواء باليد القوية عالياً عالياً، يمسكه مصعب بقوة وثبات، ويفديه بالروح، ويناوح عنه وعن رسول الله ﷺ، يقيه بنفسه<sup>(١)</sup>.

وتدافع المشركون نحو اللواء، وأقبل ابن قمئة فشدَّ على مصعب، فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يهتف ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. ثم أخذ اللواء بيده اليسرى حتى لا يقع، فضرب اللعين يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل اللعين عليه الثالثة بالرمح فأنفذه، واندقَّ الرمح، ووقع مصعب على الأرض وسقط اللواء، فابتدره رجلان من بني عبد الدار - سويبط بن سعد بن حرملة - وأبو الروم بن عمير - أخو مصعب، فأخذه أبو الروم بن عمير، فلم يزل في يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون<sup>(٢)</sup>.

روى ابن الأثير عن وهب بن مطر، عن عبيد بن عمير قال: «وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وهو منجحف على وجهه يوم أحد شهيداً، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

(١) «البداية والنهاية» (٤/٣٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/٢٠)، و«تاريخ خليفة بن خياط» (٢/٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١/١٤٨)، و«الطبقات الكبرى» (٣/١٢٠) لزماماً ولـ: «سويبط قصة فيها دعابة، انظرها في ترجمته في الإصابة».

عَهْدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إن رسول الله ﷺ يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة» ثم أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، اتوهم فزوروهم، وسلّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

تلك حياة مصعب.. الحياة الطيبة في ظل الإسلام، سقتها لمن يؤثرون رضاء الله، ويرتضون دعوة الله.

الحياة التي ستبقى مثلاً للدعاة في المنهج، والتضحية، والصدق والوعي، سائلاً المولى عز وجل أن يرزقني والمسلمين جميعاً الأسوة به والسّير في طريقه<sup>(٢)</sup>.



(١) «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٤/٤٠٧، ٤٠٨)، والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/٦٠)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني.

(٢) «مصعب بن عمير الداعية المجاهد» مرجع سابق.



## عبدالله بن عمرو بن حرام

### ظليل الملائكة

نقف الآن مع الصحابي الشهيد الذي قال فيه النبي ﷺ لما استشهد بأحد: «ما زالت الملائكة تظلمه بأجنحتها حتى رفعتموه»<sup>(١)</sup>.

ذلكم هو يا إخوة والد جابر بن عبدالله: عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا واستشهد بأحد كما سيأتي.

### قصة إسلامه:

كان عبدالله مع السبعين نفرًا في العقبة يوم بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والجهاد، ولكنه كان مشركًا لم يسلم بعد، فلما دعوه إلى الإسلام وأخبروه بمصير المشرك إذا مات - وهو على شركه، وعندئذ شرح الله صدره للإسلام فأسلم.

(١) سيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله - تعالى - .

قال كعب بن مالك (رضي الله عنه): واعدنا رسول الله ﷺ العقبة أوسط أيام التشريق ونحن سبعون رجلاً للبيعة، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر، وإنه لعلى شركه، فأخذناه وقلنا له: يا أبا جابر، والله إنا لنرغب بك أن تموت على ما أنت عليه، فتكون لهذه النار غداً حطباً، وإن الله قد بعث رسولاً يأمر بتوحيده وعبادته، وقد أسلم رجال من قومك، وقد واعدنا رسول الله ﷺ للبيعة، فأسلم، وطهر ثيابه، وحضر معنا فكان نقيباً.

وهكذا دخل عبدالله بن حرام في الإسلام صادقاً مخلصاً يريد الله - تعالى - والدار الآخرة، فكان بحق جندياً من جنود الإسلام الكبار الذين أثبتوا مواقفهم في نصرة الإسلام بالعمل الدؤوب لرفع راية هذا الدين، فكانت أول مناسبة يثبت فيها ولاءه للإسلام يوم بدر فقد روي أنه لما خرج المسلمون إلى بدر ووصلوا إلى السقيا، وهي بئر بالمدينة قال عبدالله: يا رسول الله، لقد سرتي منزلك هذا، وعرضك فيه أصحابك، وتفاءلت به، إن هذا منزلنا بني سلمة حيث كان بيننا وبين أهل حُسيكة - وهم جماعة من اليهود - ما كان، فعرضنا ها هنا أصحابنا، فأجزنا كل من يطيق السلاح، ورددنا من صغر عن حمل السلاح، ثم سرنا إلى يهود حسيكة وهم أعز يهود كانوا يومئذ فقتلناهم كيف شئنا فذلت لنا سائر يهود إلى اليوم، وأنا أرجو يا رسول الله أن نلتقي نحن وقريش فيقر الله عينك منهم<sup>(١)</sup>.

وفي بدر أثبت عبدالله ولاءه للإسلام ورسول الإسلام ﷺ حتى نصر الله عبده وأخزى عدوه، ثم عاد عبدالله بن عمرو بن حرام إلى المدينة مع من عاد،

(١) ذكره الهيثمي ضمن رواية طويلة في «مجمع الزوائد» (٤٣/٦) وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، وانظر مسند أحمد (٤٦١/٣) ومعجم الطبراني الكبير (٨٨/١٩).

وكان قد ترك ابنه جابراً عند أهله وأخواته، ثم استأنف حياته الجهادية في أحد، الواقعة التي شرفه الله - عز وجل - بأن جعله شهيداً فيها.

واستعدَّ المسلمون لملاقاة المشركين في أحد، وخرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة، وخرج معه من بني الخزرج عبدالله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين - وكان رأيه البقاء في المدينة، وقال لجماعته: لقد عصاني وأطاع الغلمان، علام نقتل هاهنا؟

ثم انحاز بفريق من الجيش يبلغ الثلث، وهنا انبرى له وجماعته من المنافقين عبدالله بن عمرو بن حرام «أذكركم الله ودينكم ونيبكم وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم».

فقال عبدالله بن أبي: ما أرى يكون بينهم قتال، ولئن أطعني يا أبا جابر لترجعن، فإن أهل الرأي والحجى قد رجعوا، ونحن ناصروه في مدينتنا، وقد خالفنا وأشرت عليه بالرأي فأبى إلا طواعية الغلمان.

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: «أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه»<sup>(١)</sup>.

ومع رجوع زعيم المنافقين نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنبَلِّغُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «جامع البيان» (٤/١٦٨)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٤٢٦)، و«السيرة النبوية» (٤/١٠).

(٢) وانظر «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٤٢٦).

وبدأت المعركة في أحد فاندفع عبدالله يقاتل قتال الأبطال والتقى مع سفيان ابن عبد شمس السلمي، أحد فرسان المشركين، فضربه سفيان بسيفه فأصابه في وجهه، فجرحه جرحاً كبيراً، سقط على إثره شهيداً مضرراً بدمائه الطاهرة<sup>(١)</sup>، وكان أول شهيد<sup>(٢)</sup>.

وقد تأثر جابر (رضي الله عنه) لمقتل أبيه في أحد، فجعل يكشف عن وجهه ويبكي، يقول (رضي الله عنه): وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلمه بأجنحتها حتى رفعتموه»<sup>(٣)</sup>.

ومن العجيب في قصة عبدالله أن جسده بقي فترة طويلة لم يتغير، كما جاء أنه هو وعمرو بن الجموح حفر السيل عنهما، فإذا عليهما نمرتان، وعبدالله قد أصابه جرح في وجهه، فيده على جرحه، فأميطت يده، فانبعث الدم، فردت، فسكن الدم.

قال جابر: فرأيت أبي في حفرته، كأنه نائم، وما تغير من حاله شيء، وبين ذلك ست وأربعون سنة، فحُولا إلى مكان آخر، وأخرجوا رطاباً يتشنون<sup>(٤)</sup>.

ومن مناقب هذا الصحابي الجليل - عبدالله بن عمرو بن حرام - ما رواه ابنه جابر رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً - أي من غير حجاب - ، فقال: يا عبدي! سلني أعطك، قال: أسألك أن

(١) انظر مستدرک الحاكم (٣/٢٢٣).

(٢) انظر «سير الشهداء» للمؤلف ص (١٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٢٩٨)، والبخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١).

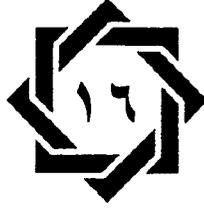
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٢٦).

تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانياً، فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون.  
قال: يا رب! فابلغ من ورائي». فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (١).

ذلكم هو عبدالله بن عمرو بن حرام شهيد الإسلام الذي سوف تبقى أعماله  
الجهادية ومواقفه البطولية ناصعة في جبين التاريخ مهما طال الزمان، وصدق الله  
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ  
وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].



(١) الحديث أخرجه الترمذي (٣٠١٣) وحسنه؛ وابن ماجه (١٩٠) و (٢٨٠٠)؛ والحاكم في  
مستدرکه (٢٠٤ / ٣) و صححه؛ ووافقہ الذهبي.



## سعد بن معاذ

سيد قومه، أنجز الله ما وعده

سعد بن معاذ أحد المؤمنين الصادقين الذين دافعوا عن حياض الشريعة حتى آخر لحظة من حياتهم.

نعتة الذهبي فقال: «السيد الكبير الشهيد، أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي البدري، الذي اهتز العرش بموته»<sup>(١)</sup>.

قصة إسلامه:

كان سعد بن معاذ، ذات يوم جالساً مع صاحبه أسيد بن حضير وفي إحدى الجلسات جاءهما رجل اسمه كعب بن الحرث بنياً عن رجل يدعى مصعب بن عمير، جاء من مكة، ونزل ضيفاً على أسعد بن زرارة، وهو يدعو إلى الإسلام، والإيمان بنبوّة محمد ﷺ.

ولمّا سمعا ما قاله كعب قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٧٩).

انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهبهما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه وقد جاءك، فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

فوقف عليهما متشتماً فقال: «ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة».

فقال له مصعب: «أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره».

قال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب عن الإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم؛ في إشرافه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال له: تغتسل فتتطهر، وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن وهو سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك،

فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا، أتغشانا في دارنا بما نكره؟!

قال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره! قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن من أول سورة الزخرف، قالوا: فعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهيله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتتطهر وتشهد شهادة الحق، فقام فاغتسل وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة<sup>(١)</sup>.

ورجع مصعب وسعد إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون<sup>(٢)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (٣/١٥٠، ١٥١).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/٤٢١).

ولما هاجر رسول الله ﷺ وأخى بين المهاجرين والأنصار كان من نصيب سعد بن معاذ في المؤاخاة أبو عبيدة عامر بن الجراح. ولقد كان (رضي الله عنه) مثالاً عالياً في التضحية والجهاد والفداء لله ولرسوله.

وحين استشار الرسول ﷺ الصحابة في شأن قتال كفار قريش في معركة بدر عبر المهاجرون عن رغبتهم في قتال قريش - بيد أن رسول الله ﷺ لم يكتف برأي المهاجرين، ورأى أن يأخذ رأي الأنصار، وهنا برز سعد بن معاذ (رضي الله عنه) ليلقي مقالته التي طمأنت رسول الله ﷺ فقال له: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل» فقال سعد: قد آمننا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله، فسّر رسول الله ﷺ بقول سعد وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم»<sup>(١)</sup>.

### غزوة الخندق:

من أبرز الغزوات التي خاضها سعد غزوة الخندق.. تلك الغزوة التي أذل الله تعالى فيها الكفر وأهله ونصر الإسلام وأهله، كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أم سعد بن

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦١): رواه ابن إسحاق، وله شواهد في وجوه كثيرة، عند أحمد، والبخاري والنسائي وغيرهم.

معاذ معها في الحصن نفسه، فمر سعد بن معاذ وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه وفي يده حربته وهو يقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل<sup>(١)</sup> لا بأس بالموت إذا حان الأجل  
فقلت له أمه: الحق بني فقد والله أخرت، فقالت عائشة: يا أم سعد، والله  
لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي<sup>(٢)</sup>، وقالت: «وخفتُ عليه حيث أصاب  
السهم منه» وما إن سار سعد قليلاً حتى رماه حبان بن قيس بن العرقة بسهم قطع  
منه الأكل<sup>(٣)</sup>، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله  
وجهك في النار، ثم رفع سعد يديه ودعا الله قائلاً: «اللهم إن كنت أبقيت من  
حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك  
وكذبوه، وأخرجوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي  
شهادة، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة»<sup>(٤)</sup>.

وهنا يصور لنا كعب بن مالك النصر العظيم في الخندق، وإصابة سعد

فيقول:

لنصر أحمداً والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا  
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبيننا  
بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنيننا

(١) يعني: حمل بن بدر «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨١).

(٣) عرق في اليد لونه أزرق.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، وانظر القصة مفصلة مع ذكر الدروس والعبر في

«سير الشهداء» للمؤلف ص ٢٠٤.

فإما تقتلوا سعداً سفاهاً      فإن الله خير القادرينا  
 سيدخله جناناً طيبات      تكون مقامة للصالحينا  
 كما قد ردكم فلا<sup>(١)</sup> شريداً      بغيطكم خزايا خائينا  
 بريح عاصف هبت عليكم      فكتتم تحتها متكمهينا<sup>(٢)(٣)</sup>

بعد غزوة الخندق لم تكن المعركة قد انتهت حيث أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. فقال جبريل عليه السلام: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمززل بهم. وقال رسول الله ﷺ: لا<sup>(٤)</sup> يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.

وصدع الرسول ﷺ بالأمر، وحمل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) راية المسلمين إلى حصون بني قريظة، وحاصرهم المسلمون، ولم يجروا بنو قريظة على الخروج لمواجهة المسلمين، فلما جهدوا وأدركوا أن حصونهم غير مانعتهم ولن تغني عنهم شيئاً، طلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة من الأوس ليستثيروه في أمرهم، وكان أبو لبابة من الأوس حلفائهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وأجهش النساء والصبيان بالبكاء حتى رق لهم، فلما سألوه، أنزلون على

(١) فلا: أي منهزمين، مختار الصحاح ص ٥١٢ مادة (فل).

(٢) المتكمه: الأعمى، انظر: القاموس المحيط، ص ١٦١٦ مادة (كمه).

(٣) «السيرة النبوية» (٤/٢١٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب ومسلم في كتاب الجهاد باب المبادرة بالغزو، وانظر فقه الحديث في «نيل الأوطار» (٤/١١)، و«الإحكام» لابن حزم (٣/٢٩٠).

حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، يعني أنه الذبح.. واعتبر أبو لبابة إشارته هذه خيانة للرسول ﷺ، فجاء حتى أتى مسجد المدينة، فربط نفسه في سارية فيه، وحلف ألا يُفك حتى يتوب الله عليه، وقد قبل الله تعالى توبته ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا آخِرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

واستمر حصار بني قريظة خمساً وعشرين ليلة إلى أن رضوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ لعلمهم أن الأوس حلفاءهم، وأرسلوا أنهم ينزلون على حكم الرسول ﷺ على أن يحكم فيهم سعد بن معاذ، فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وضعوا له وسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد أن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمعت منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟! قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري (مع الفتح) (٧/١٢٣ رقم ٣٨٠٤).

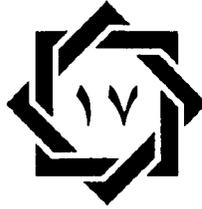
وهكذا سبق اليهود أرسالاً إلى سوق المدينة، حيث حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم ودفنوا فيها، ونصر الله تعالى المؤمنين وخذل الكافرين، ولما قضى سعد بن معاذ (رضي الله عنه) في بني قريظة رجوع إلى خيمته ثم ما لبث أن انفجر جرحه، حيث دعا الله تعالى، فقال: «اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم (يعني قريشاً المشركين) فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها».

فاستجاب الله دعاءه فانفجر جرحه تلك الليلة فمات منه شهيداً<sup>(١)</sup>.

رضي الله تعالى عن سعد بن معاذ، وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عن جهاده وصدقه خير ما يجزي به عباده المخلصين.



(١) روى البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» قال ابن حجر: «والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لك من فرح بقدوم قادم عليه: اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت، ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: «اهتز العرش فرحاً به» «فتح الباري» (١٢٤/٧).



## جعفر بن أبي طالب

«أشبهتَ خُلُقِي وَخُلُقِي» حديث صحيح

إنه جعفر بن أبي طالب، السيد الكبير الشأن الشهير، علم المجاهدين أبو عبدالله، ابن عم رسول الله ﷺ عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي الهاشمي، أخو علي بن أبي طالب وهو أسنّ من علي بعشر سنين<sup>(١)</sup>. هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فأقام بالمدينة أشهراً، ثم أمره رسول الله ﷺ على جيش غزوة مؤتة فاستشهد قال الذهبي: وقد سرّ رسول الله ﷺ كثيراً بقدمه وحزن والله لوفاته<sup>(٢)</sup>. وعندما بدأت الدعوة إلى الإسلام كان جعفر من السابقين إلى الدخول في هذا الدين.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٠٦).

(٢) المرجع السابق.

وعندما بدأ عدد المؤمنين يزداد يوماً بعد يوم، أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم، وعند ذلك قال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلادته يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»<sup>(١)</sup>.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، فكانت أول هجرة في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وأقام المسلمون المهاجرون عند النجاشي في خير قيام، فغاض ذلك قريشاً، وعز على المشركين أن يجد هؤلاء المهاجرون مأمناً لدينهم وأنفسهم. قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هديته، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هدايا، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا

(١) «سيرة ابن هشام» (١/٣٢١-٣٢٢) وسند الرواية حسن، انظر «السيرة النبوية في ضوء

المصادر الأصلية» ص ١٩٧.

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/٣٢١/٣٢٢).

لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى<sup>(١)</sup> إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً<sup>(٢)</sup>، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقتة حوله: صدقاً أيها الملك، قوهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول:

(١) أي لجأ ولصق وأتى ليلاً.

(٢) أبصر بهم: أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم.

والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألمهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منها الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقنا، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأ علي، قالت: فقرأ عليه صدراً من ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مريم: ١]. قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصافحهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال

النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا نفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله. اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، والشيوم: الآمنون، ثم قال: من سبكم غرم. ما أحب أن لي دبراً<sup>(١)</sup> من ذهب، ردوا عليها هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار<sup>(٢)</sup>.

ومكث جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) مع المهاجرين في أرض الحبشة

(١) الدبر: الجبل بلسان الحبشة.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٧٢-٧٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٣١-٤٣٤).

أمين، حتى إذا أزمع السير إلى اليهود في خير أرسل ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ليأتي بالمسلمين في الحبشة، فأرسل النجاشي جعفر بن أبي طالب والمسلمين وحملهم في سفينتين، وقدم معهم أيضاً أبو موسى الأشعري في جماعة من الأشعريين يزيدون على سبعين، وعاد جعفر ومعه زوجته أسماء بنت عميس، وولدت له هناك عبدالله ومحمداً وعوناً.<sup>(١)</sup>

ولما وصل جعفر (رضي الله عنه) مع أصحابه إلى المدينة في أخريات السنة السابعة من الهجرة، كان رسول الله ﷺ غائباً عنها في غزوة خيبر، فلما رجع وقد فتحت له خير استقبله جعفر، يفرح به كثيراً، عن الشعبي قال: لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر تلقاه جعفر، فالتزمه رسول الله ﷺ وقبل بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أفرح: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».<sup>(٢)</sup>

وقال نال جعفر محبة النبي ﷺ حتى إنه قال له ذات مرة: «أشبهت خلقي وخلقِي».<sup>(٣)</sup> ومرت الأيام وجعفر هو هو في ولائه وتعرفه لهذا الدين، وجاءت الساعة الحاسمة عندما خرج المسلمون لقتال الروم في مؤتة، ونشب القتال والتحم الفريقان واشتدت الهجمات، ووقف المسلمون بثبات يتقدمهم زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ومعه لواء الرسول ﷺ، فقاتل حتى قتل، وقبل أن يسقط اللواء على الأرض كان جعفر بن أبي طالب قد أمسكه في يمينه وهو راكب على فرسه الأشقر، وعندما اشتد الزحام أصبح فرسه عاجزاً عن الحركة والكر كما

(١) انظر «البدية والنهاية» (٢٠٦/٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٥/٤)، والحاكم في مستدركه (٢١١/٣)، وقال: إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلًا. قال الذهبي: وهو الصواب.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٨) و (٤٢٥١)، والترمذي (٣٧٦٩)، وأحمد (٩٨/١-١١٥).

يريد فنزل عنها فعقرها<sup>(١)</sup>، وبدأ يقاتل ويشد على الروم، فيفرق صفوفهم ذات اليمين وذات الشمال.

روى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة؛ غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قُتل وهو يقول:

يا جذا الجنة واقترابها      طيبة وبارداً شراها  
والروم روم قد دنا عذابها      كافرة بعيده أنسابها  
على إن لاقيتها ضرابها<sup>(٢)</sup>

ونقل ابن كثير عن ابن هشام في السيرة قال: حدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا سقط جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) شهيداً بعد أن ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين<sup>(٤)</sup>، ولما استشهد جعفر أخذ الراية عبدالله بن رواحة (رضي الله عنه) وقاتل حتى قتل شهيداً، ثم أخذها سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) رضي الله عنه حتى فتح الله عليهم<sup>(٥)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٠٩).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٤/٢٤٤)، و «سير أعلام النبلاء» (١/٢١٠).

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٢٤٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

وقبل أن يغادر الجيش الإسلامي أرض مؤتة نعى رسول الله ﷺ إلى أصحابه في المدينة الأمراء الثلاثة ودموعه تفيض حزناً عليهم، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) نعى زيداً وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذر فان - قال: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

وهنا قام حسان يرثي جعفرأ وشهداء مؤتة، فيقول:

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر	حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حيث نعتي لي	من للجلاء لدى النقب وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها	ضرباً وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر	خير البرية كلها وأجلها
رزاء وأكرمها جميعاً محتداً	وأعزنا مستظلاً وأذها
للحق حين ينوب غير تنحل	كذباً وأنداها يداً وأقلها
فحشاً وأكثرها إذا ما يجتدى	فضلاً وأبذلها ندى وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله	حي من أحياء البرية كلها <sup>(٢)</sup>

رضي الله عنه وأرضاه.



(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد.

(٢) المرجع السابق (٤/٢٥٧).



## زيد بن حارثة

### الخليق بأمره

نحن الآن مع الصحابي الجليل: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، الأمير الشهيد النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي، وأسبغهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ، وأبو حبه<sup>(١)</sup>.

تبدأ قصة هذا الصحابي عندما كان مع أمه في طريقها إلى أهلها لزيارتهم في قافلة من بني معن، وما كادت تحل في ديار قومها، وتُسر في اجتماعها بأقاربها وأحبائها، حتى أغارت عليهم خيل لبني القين بن جسر، فأخذوا المال، واستاقوا الإبل والأنعام، وسبوا الذراري، وكان منهم زيد (رضي الله عنه)، قدموا به سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٢٠).

بأربعمائة درهم، ثم أعطاه عمته خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ، فلما تزوجها ﷺ وهبته له<sup>(١)</sup>. وكان زيد شديد البياض ولم يكن أسمر<sup>(٢)</sup> وعمره في ذلك الوقت ثمان سنين<sup>(٣)</sup>.

وكان والده حارثة قد حزن على فراقه أشد الحزن، حيث كان يبكيه قائلاً:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل      أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل  
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً      أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل  
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة      فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَل  
تذكرنيه الشمس عند طلوعها      وتعرض ذكراه إذا عسعس الطفل  
وإن هبت الأرواح هيّجن ذكره      فيا طول ما حزني عليه ويا وَجَلْ  
سأعمل نص العيس<sup>(٤)</sup> في الأرض جاهداً      ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل  
فيأتي أو تأتي عليّ منيتي      وكل امرئ في إن غره الأمل<sup>(٥)</sup>

ولكن زيداً بقيت في مخيلته ذكرى لم تستطع الأيام أن تمحوها إنها ذكرى أبيه وأمه، فكان يخرج في موسم الحج لعله يصادف أحداً من قبيلة أبيه أو أمه ليزف إليهما البشارة بأنه يعيش في أحسن جوار وبخير حال.

(١) «الطبقات الكبرى» (٤٠/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢٢/١) مع الحاشية رقم (٤٠٣).

(٣) انظر «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١٩٨/١).

(٤) العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة واحدها: أعيس، والأثنى عيساء، انظر «مختار الصحاح» ص ٤٦٥، مادة عيس.

(٥) المستدرك (٢٣٦/٣)، و«صفة الصفوة» (٣٧٩/١) و«الطبقات الكبرى» (٤١/٣)، و«السيرة النبوية» (٨٨/٢).

وحج أناس من كعب، فرأوا زيداً، فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم جزعوا عليّ، فقال:

أحسن إلى قومي وإن كنت نائياً      فإني قطين البيت عند المشاعر  
وكفوا من الوجد الذي قد شجاكم      ولا تعملوا في الأرض فعل الأباعر  
فإني بحمد الله في خير أسرة      كرام معدٍ كابرأ بعد كابر<sup>(١)</sup>

وقد رُوي أن أخا زيد جبلة بن حارثة قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ابعث معي أخي زيداً، قال: هو ذا فإن انطلق لم أمنعه، فقال زيد: لا والله لا أختار عليك أحداً، قال: فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي<sup>(٢)</sup>.

وعرف زيد (رضي الله عنه) بعد ذلك باسم زيد بن محمد، وكان فخوراً بهذا اللقب وهذا النسب، عن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: «إن زيد بن حارثة (رضي الله عنه) مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]»<sup>(٣)</sup>.

ولقد ظل زيد بن حارثة (رضي الله عنه) محبوباً عند النبي ﷺ، وظل حب رسول الله ﷺ ينافح عن الإسلام بكل ما أوتي من قوة، فانتدبه الرسول ﷺ لإمرة السرايا، وأثنى عليه بقوله: «وايم الله إن كان خليقاً للإمارة»<sup>(٤)</sup>، فكان غادياً ورائحاً

(١) «المستدرک علی الصحیحین» (٣/ ٢٣٦)، وانظر «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٧٩).  
و «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤١).

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب من سننه وحسنه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة، والترمذي في كتاب التفسير والمناقب من سننه.

(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب زيد، ومسلم كذلك في فضائل الصحابة باب فضائل زيد.

في سبيل الله، قريباً من الرسول ﷺ، وقد بلغ عدد السرايا التي جعله الرسول ﷺ أميراً عليها سبعمائة<sup>(١)</sup>.

وفي غزوة مؤتة سنة ثمانٍ من الهجرة يعقد الرسول ﷺ لواءً أبيض، ويدفعه إلى زيد، ويوصيه أن يعسكر بجيشه الذي قوامه ثلاثة آلاف حيث قتل الحارث بن عمير (رضي الله عنه) من قبل شرحبيل بن عمرو الغساني، وأكد عليه ألا يبدأ بقتال قبل أن يدعو مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن استجابوا حقنوا دماءهم، وجزاؤهم على الله تعالى، وإلا استعان عليهم بالله وقاتلهم<sup>(٢)</sup>.

ومضى المسلمون في طريق الجلال حتى بلغوا «مَعَانَ» من أرض الشام «الأردن» وعسكروا فيها، وبلغ الناس أن هرقل نزل في مآب من أرض البلقاء بمائة ألف من بهراء ووائل وبكر ولخم وجزام<sup>(٣)</sup>.

وغادر المسلمون معسكرهم في معان وانطلقوا شمالاً حتى إذا بلغوا تخوم البلقاء لقيتهم جموع الروم في مشارف، فانحازوا صوب قرية (مؤتة) وهناك عبؤوا أنفسهم واستعدوا للمعركة.. ونشب القتال، ولم يمض إلا وقت يسير حتى سقط زيد شهيداً على أرض المعركة وقطع نصفين به بضعة وثلاثون جرحاً، ثم استلم الراية بعده جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فلما قتل القواد الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة جلس النبي ﷺ يعرف فيه الحزن<sup>(٤)</sup>.

وهنا جاء حسان (رضي الله عنه) يبكي زيداً وشهداء مؤتة فيقول:

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٢٦).

(٢) راجع سيرة عبد الله بن رواحة في هذا الكتاب، وقد تقدمت.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٢/١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهي عن النوح والبكاء.

وهمُّ إذا ما نوم الناس أعسر  
شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر  
بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر  
جميعاً وأسباب المنيّة تخطر  
إلى الموت ميمون النقيبة أزهر  
أبي إذا سيم الظلامه مجسر  
لمعترك فيه قنا متكسر  
جنان وملتف الحدائق أخضر  
وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر  
دعائم عز لا يزلن ومفخر  
رضام إلى طود يروق ويقهر  
علي ومنهم أحمد المتخير<sup>(١)</sup>

تأوبني ليل بيثرب أعسر  
رأيت خيار المؤمنين تواردوا  
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا  
وزيد وعبدالله حين تتابعوا  
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم  
أغر كضوء البدر من آل هاشم  
فطاعن حتى مال غير موسد  
فصار مع المستشهدين ثوابه  
وكنانرى في جعفر من محمد  
فما زال في الإسلام من آل هاشم  
هم جبل الإسلام والناس حولهم  
بها ليل منهم جعفر وابن أمه  
وقال:

واذكري في الرخاء أهل القبور  
يوم راحوا في وقعة التغوير  
نعم مأوى الضربك والمأسور  
سيد الناس حُبّه في الصدور  
ذاك حزني له معاً وسرور  
ليس أمر المكذب المغرور

عين جودي بدمعك المنزور  
واذكري مؤتة وما كان فيها  
حين راحوا وغادروا ثم زيدا  
حب خير الأنام طراً جميعاً  
ذلكم أحمد الذي لا سواه  
إن زيدا قد كان منابراً

(١) «البداية والنهاية» (٤/٢٦٠/٢٦١).

ثم جودي للخزرجي بدمع      سيداً كان ثم غير نزور  
 قد أتانا من قتلهم ما كفانا      فحزن نبيت غير سرور<sup>(١)</sup>  
 وهكذا فاضت روح زيد إلى ربها مطمئنة، راضية مرضية بإذن الله، فرضي الله  
 عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه، وجمعنا به في مستقر رحمته، إنه أرحم الراحمين  
 وأكرم الأكرمين.



(١) المرجع السابق (٤/٢٥٥).



## عبدالله بن رواحة

### الأمير الشهيد

نحن الآن مع الصحابي الشهيد عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي (رضي الله عنه)، الرجل الذي احتل مكانة مرموقة بين قومه، حيث كان الشاعر، والفارس، والزعيم والقائد.

وقد عني بعبد الله في الجاهلية، شأن أبناء الأسر الكريمة، فإن الذي تولى تربيته نشأ تنشئة حسنة قلّ مثلها، إذ كان يقرأ ويكتب من صغره، وكانت الكتابة نادرة يومئذ في العرب الأولين، كما قرض الشعر صغيراً، ولما اشتد ساعده فيه أصبح شاعراً خطراً، يناقض قيس بن الخطيم في الأيام التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية<sup>(١)</sup>.

إسلامه:

إذا رجعنا بالفكر إلى أيام الإسلام الأولى، وجدنا في أصحاب الرسول ﷺ رجالاً

(١) انظر «الإصابة» (٤/٨٥).

لا ينضب معين الحديث عنهم، وآخرين لا يدانون أولئك في شهرة ولا في ظهور، والفريقان في ركب الهدى يتسايران، وفي نصره القضية الواحدة لا يختلفان<sup>(١)</sup>.

وكان من ألمع الصحب شخصية وأظهرهم أثراً عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، فهو لا يكاد يغيب عن أنظارنا في المسيرة منذ إسلامه إلى أن لقي الله تعالى شهيداً مكرماً، لأنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، وأول مشهد نراه فيه: العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار يوم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم أن يمنعه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم. وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ عليهم اثني عشر نقيباً، كان عبدالله بن رواحة أحدهم، وكان هو وسعد بن الربيع نقيب بني الحارث بن الخزرج<sup>(٢)</sup>. وكان البراء بن معرور زعيم الذين بايعوا يومذاك<sup>(٣)</sup>.

شهد عبدالله بن رواحة معركة بدر وأحد، وأبلى بلاءً حسناً، وفي أحد قتل حمزة (رضي الله عنه) فرثاه عبدالله بن رواحة بقصيدة أولها:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يعني البكاء أو العويل  
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل<sup>(٤)</sup>

كما شهد ابن رواحة معركة بدر وأحد والخندق وما بعدها إلى أن استشهد في مؤتة<sup>(٥)</sup> وسيأتي الكلام عليها بإذن الله.

(١) «عبدالله بن رواحة أمير شهيد» د. جميل سلطان.

(٢) انظر «الإصابة» (٤/٨٣)، و«البداية والنهاية» (٣/١٦٢)، والآحاد والثاني (٣/٤٠٢).

(٣) انظر «البداية والنهاية» (٣/١٦٣).

(٤) انظر «الإصابة» (١/٣٥٤).

(٥) المرجع السابق (٤/٨٣).

ابن رواحة مع الرسول ﷺ والصحابة:

وبلغ ابن رواحة في الذكر والزهد في الدنيا مكاناً علياً. كان قلبه ولسانه يلهجان بذكر الله دائماً، ويدعو كل من يلقاه إلى الذكر، قال لصاحب له ذات مرة: «تعال بنا نؤمن ساعة، قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى، ولكننا نذكر الله تعالى فنزداد إيماناً»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن ابن رواحة (رضي الله عنه) يدافع عن الإسلام بسيفه ولسانه فحسب، بل كان يدعو إلى الله ورسوله بكل ما أوتي من قوة في البيان والإقناع، وهو سبب إسلام أبي الدرداء (رضي الله عنه).

أخرج الحاكم في المستدرک عن الواقدي قال: «كان أبو الدرداء (رضي الله عنه) فيما -ذكر- آخر أهله إسلاماً، لم يزل متعلقاً بصنم له، وقد وضع عليه منديلاً، وكان عبدالله بن رواحة (رضي الله عنه) يدعو إلى الإسلام، فيأبى، فيجيئه عبدالله بن رواحة، وكان له أخاً في الجاهلية قبل الإسلام، فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته وأعجل امرأته وإنما لتمشط رأسها، فقال: أين أبو الدرداء؟ فقالت: خرج أخوك آنفاً؟ فدخل بيته الذي كان فيه الصنم، ومعه القدوم فأنزله وجعل يقده فلذا فلذا، وهو يرتجز سراً من أسماء الشياطين كلها: ألا كل ما يدعى مع الله باطل، ثم خرج وسمعت المرأة صوت القدوم وهو يضرب ذلك الصنم فقالت: أهلكتني يا ابن رواحة! فخرج على ذلك فلم يكن شيء حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزلها فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكي شفقة منه، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك عبدالله بن رواحة دخل عليّ فصنع ما ترى. فغضب غضباً شديداً، ثم فكر في

(١) انظر «البداية والنهاية» (٤/٢٥٨).

نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم»<sup>(١)</sup>.

حدّث أبو الدرداء مرة فقال: «كان عبدالله بن رواحة إذا لقيني قال لي: يا عويمر، اجلس نتذاكر ساعة. فنجلس فتذاكر، ثم يقول: هذا مجلس الإيمان، مثل الإيمان مثل قميصك، بينا أنك قد نزعته إذ لبسته، وبيننا أنك قد لبسته إذا نزعته، القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانها»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الدرداء قال: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الشديد الحر حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا زيد بن أرقم (رضي الله عنه) يضيف إلى روائع ابن رواحة رائعة أخرى، فكان إذا ذكر ابن رواحة أمامه ترخّم عليه وقال: «كنتُ في حجر عبدالله بن رواحة، فلم أرَ والي يتيم كان خيراً منه»<sup>(٤)</sup>.

**عبدالله بن رواحة شهيد في مؤتة:**

كانت سرية مؤتة في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة بعد عمرة القضاء بنحو خمسة أشهر، وسبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، فكلهم أكرم الرسل وأحسن وفادتهم غير «شرحبيل بن عمرو» الغساني، أحد عمال الروم على الشام، حيث إنه لما جاء الحارث بن عمير

(١) «المستدرک علی الصحیحین» (٣/٣٨٠).

(٢) «حياة الصحابة» للكاندهلوي (٣/١٣).

(٣) البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢)، وسنن أبي داود (٢٤٠٩)، وابن ماجه (١٦٦٣).

(٤) «الغازي» للواقدي (٢/٧٥٩).

الأزدي، ونزل مؤتة، عرض له هذا الرجل فقال: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، أنا رسول رسول الله ﷺ، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه صبراً، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره<sup>(١)</sup>.

ولما بلغ رسول الله ﷺ مقتل الحارث بن عمير اشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم نبأ مقتل الحارث (رضي الله عنه) ثم استقر النبي ﷺ أصحابه، فخرج منهم ثلاثة آلاف للحرب، وعسكروا بالجرف<sup>(٢)</sup>، فلما حضر خروج المسلمين إلى مؤتة، ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: زيد، وجعفر، وعبدالله بن رواحة، فلما ودّع ابن رواحة مع من ودّع بكى فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: «أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود»<sup>(٣)</sup>.

وقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.. وعند ذلك قال عبدالله:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرع تقذف الزبدا  
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدنا<sup>(٤)</sup>

(١) انظر «الإصابة» (١/٥٨٩)، و«الطبقات الكبرى» (٢/١٢٨) و (٤/٣٤٣).

(٢) الجرف: موضع على بعد ميل من المدينة أو فرسخ «معجم ما استعجم» (١/٣٧٧).

(٣) «حلية الأولياء» (١/١١٨).

(٤) «حلية الأولياء» (١/١١٩).

وأتى عبدالله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه وقال:

فثبت الله ما آتاك من حسن      تثبتت موسى ونصراً كالذي نصرنا  
إني تفرست فيك الخير نافلة      فراسة خالفت فيك الذي نظروا  
أنت الرسول فمن يجرم نوافله      والوجه منه قد أزرى به القدر<sup>(١)</sup>  
وخرج الجيش الإسلامي مزوداً بوصايا الرسول ﷺ مشيعاً بدعوات المسلمين،  
وسار الجيش حتى نزل معان من أرض الشام، وبلغ الناس أن هرقل قد نزل  
مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من قبائل العرب  
المنتصرة من لحم وجذام والقين وبهراء مائة ألف أيضاً<sup>(٢)</sup>، ولما علم المسلمون بما  
أعد لهم الروم من العُدَد والعتاد أقاموا ليلتين في معان يتدبرون أمرهم وقال  
بعضهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال،  
وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

لكن عبدالله بن رواحة (رضي الله عنه) اندفع بفورة حماس تنبعث عن إيمان  
عميق بالله تعالى وشجع الناس وقال: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم  
تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا  
الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما  
شهادة»، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس<sup>(٣)</sup>.

ثم غادر المسلمون معسكرهم في معان وانطلقوا شمالاً حتى إذا كانوا بتخوم  
البلقاء لقيتهم جموع الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء تدعى «مشارف»، ثم دنا

(١) «البداية والنهاية» (٤/٢٤٢).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٢/١٢٨).

(٣) «حلية الأولياء» (١/١٩).

العدو فانحاز المسلمون إلى قرية «مؤتة» وهناك نظموا الجيش وعبؤوا أنفسهم،  
والتقى الجمعان واقتتلوا، وبعد مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب أخذ  
اللواء عبدالله بن رواحة قبل أن يسقط وتقدم به على فرسه، وراح يقول:

أَقْسَمْتُ بِاللهِ لَتَنْزِلَنَّهُ      طَائِعَةٌ أَوْ لَتَكْرَهَنَّاهُ  
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئَةَ      مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ  
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مَطْمِئِنَةً      هَلْ أَنْتَ إِلَّا نَظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ<sup>(١)</sup>  
وقال:

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تَقْتَلِي تَمُوتِي      هَذَا حَمَامُ الْمَوْتِ قَدْ لَقِيتِ  
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ      إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُودَيْتِ

وإن تأخرت فقد شقيت<sup>(٢)</sup>

ولما نزل عن فرسه أراه ابن عم له بعرق من لحم فقال له: شُدَّ بهذا صلبك فإنك  
قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهم منه نهسة ثم سمع  
الحطمة<sup>(٣)</sup> في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم  
تقدم فقاتل حتى قتل.. ثم أخذ اللواء أحد فرسان الأنصار «ثابت بن أقرم» وقال: يا  
معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل..  
فاصطلح الناس على خالد بن الوليد<sup>(٤)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٣٩).

(٢) المرجع السابق (١/٢٤٠).

(٣) أي ازدحام الناس.

(٤) «البداية والنهاية» (٤/٢٤٥).

استطاع خالد (رضي الله عنه) أن يخدع الأعداء، فجعل يداور بأصحابه ويتراجع حتى ظنّ الروم أنه يريد أن يستدرجهم إلى الصحراء، فلم يتبعوه، وما زال خالد يناوش جموع العدو حتى أفلت بجيشه وعاد به، ولم يفقد منه سوى اثني عشر رجلاً، وفي هذه الغزوة سماه النبي ﷺ «سيف الله»<sup>(١)</sup>.

وقبل أن يبرح الجيش أرض مؤتة نعى رسول الله ﷺ إلى أصحابه في المدينة الأمراء الثلاثة ودموعه تفيض حزناً عليهم. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ نعى أمراء مؤتة فقال: «أصيبوا جميعاً ثم أخذ الراية - وجعل يحدث الناس وعيناه تذرفان»<sup>(٢)</sup> - سيف من سيوف الله، خالد، وبكى المسلمون شهداءهم في مؤتة، فقال حسان بن ثابت يرثيهم، ويرثي عبدالله بن رواحة:

عين جودي بدمعك المنزور      واذكري في الرخاء أهل القبور  
ثم جودي للخزرجي بدمع      سيداً كان ثم غير نزور  
قد أتانا من قتلهم ما كفانا      فحزن نبيت غير سرور<sup>(٣)</sup>  
وقال كعب بن مالك يرثي الأمراء الثلاثة أيضاً:

صلى الإله عليهم من فتية      وسقى عظامهم الغمام المسبل  
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم      حذر الردى ومخافة أن ينكلوا<sup>(٤)</sup>  
وهكذا استشهد ابن رواحة (رضي الله عنه)، وصعدت روحه إلى بارئها، وباع نفسه ابتغاء مرضاة الله فنعم عقبى الدار.

(١) انظر صحيح البخاري «فضائل الصحابة» برقم (٣٧٥٧).

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة برقم (٣٧٥٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٢٥٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٤/٢٦١).

ولئن قتل ولم يعقب، فقد ترك ذكراً حميداً، وأثراً عاطراً، ظل أريجه الزكي  
يندى على مر الأيام، وكأنه يقول لمن يأتي بعده من جنود المسلمين: هذا هو الطريق  
لنشر دين الله في تلك البقاع، معبد مهياً، بعد أن ارتوى من دماء الشهداء<sup>(١)</sup>.



---

(١) «عبدالله بن رواحة» تأليف د. جميل سلطان.



## عكاشة بن محصن

### الأمير البدري

ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي معه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقي لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل له: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض رسول الله ﷺ فدخل منزله. فخاص الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب برقم (٦٥٤١)، مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب برقم (٢٢٠).

عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة».

وهكذا بشر النبي ﷺ هذا الصحابي الجليل بأنه من أهل الجنة، وهذا خير عظيم ناله عكاشة (رضي الله عنه) فمن هو عكاشة؟ إنه السعيد الشهيد أبو محصن الأسدي حليف قريش، من السابقين الأولين البدرين أهل الجنة، وكان من أجمل الرجال<sup>(١)</sup>.

وعندما دخل عكاشة (رضي الله عنه) في الإسلام أضحى أحد جنوده المخلصين، الذين يتمنون أن يريقوا دماءهم في سبيل الله، وقد حقق الله - عز وجل - له ما يجب، فكان من المجاهدين الأوائل في غزوة بدر الكبرى، ثم كان مع سرية عبد الله ابن جحش (رضي الله عنه) وقصة هذه السرية جاء ذكرها في كتب السير، ففي رجب سنة اثنتين من الهجرة بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، ومنهم عكاشة ابن محصن، وكتب له كتاباً وأمره أن ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم»، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بها في الكتاب، وقال: نهاني أن أستكره أحداً منكم،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٠٧).

فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فهاض لأمر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد غير أن سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان أضلا بعيرهما الذي كانا يتعاقبان الركوب عليه، فانطلقا يبحثان عنه فتخلفا عن أصحابهما، ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزلوا بنخلة، وهناك صادفوا عيراً لقريش مقبلة من الطائف تحمل زيباً وجلوداً وتجارة من تجارة قريش، ومعها أربعة نفر: عبدالله بن الحضرمي، وعثمان بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان، وكان ذلك في آخر يوم من شهر رجب، فلما رأى القوم أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم وخافوا منهم، وأنكروا أمرهم، فقال أمير السرية المسلمة عبدالله بن جحش لما رأى فزع القوم: «إن القوم قد فزعوا منكم، فاحلقوا رأس منكم فليعرض لهم، فإذا رأوه مخلوقاً أمنوا، وقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم».

وهنا تشاور عبدالله بن جحش وأصحابه في أمر العير فقال بعضهم لبعض: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لنقتلنهم في الشهر الحرام، فترددوا وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله، والحكم بن كيسان، وفر نوفل بن عبدالله، وطلبه القوم فأعجزهم.

واستاق عبدالله وأصحاب العير والأسيرين، فلما قدموا على رسول الله ﷺ

(١) «البداية والنهاية» (٣/٢٤٩).

وقف العير فلم يأخذ منهم شيئاً وحبس الأسيرين، وقال لأصحابه: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، وسقط في أيدي القوم، وظنوا أن قد هلكوا، وجعل إخوانهم المسلمون يلومونهم على ما أقدموا عليه، وأضحت المدينة تفور فور المرجل، واستغلت قريش هذه الواقعة، فأخذت تشيع في الناس أن محمداً ﷺ وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام فسفكوا فيه الدماء.. وأخذوا الأموال، وأسروا الرجال.. وأدلى اليهود أيضاً بدلوهم في هذه الواقعة، وفرحوا وتفاءلوا بأن الحرب واقعة لا محالة بين المسلمين وقريش، وشرعوا يقولون: عمرو الحضرمي قتله واقد بن عبدالله التميمي، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب فلما أكثر الناس من ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] (١).

قال ابن كثير: أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه، وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل، أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾

(١) «البداية والنهاية» (٣/٢٥٠).

حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴿البقرة: ٢١٧﴾<sup>(١)</sup>.

وفي غزوة ذي قرد من السنة السادسة من هجرة المصطفى ﷺ خرج رسول الله ﷺ في نحو خمسمائة من أصحابه منهم عكاشة بن محصن (رضي الله عنه)، إلى ذي قرد وهو ماء على نحو يوم من المدينة، ليرد غارة لعينة بن حصن على سرج المدينة بناحية الغابة، وكان بها عشرون من اللقاح<sup>(٢)</sup> لرسول الله ﷺ وفيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح، وذهبوا بالمرأة وبالإبل إلى ديارهم، فعلم بأمره سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) فصعد حتى علا ثنية الوداع قرب جبل سلع وجعل يصرخ ثلاث صرخات واصباحاه حتى أسمع ما بين لابتي المدينة.

وهنا استطاع سلمة بن الأكوع أن يشغل الأعداء ويضربهم بالنبل وهو يقول: أنا ابن الأكوع: واليوم يوم الوضع وهناك جد فرسان المسلمين في أثر القوم، وأدركوا أخرياتهم فقتلوا منهم ثلاثة رجال، واستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بعشر<sup>(٣)</sup>.

وفي ربيع الأول سنة ست من الهجرة وجه رسول الله ﷺ عكاشة في أربعين رجلاً منهم ثابت بن أفرم (رضي الله عنه)، فخرج يسرع في السير إلى أن وصل مكان الغمر، فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا في دارهم أحداً، فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبراً ويرى أثراً، فأخبر أنه رأى أثر نعم قريباً،

(١) «البداية والنهاية» (٢٥٠/).

(٢) هي الإبل الحوامل ذوات الألبان.

(٣) انظر قصة هذه الغزوة بالتفصيل في «البداية والنهاية» (٤/١٥٠) وتاريخ الأمم والملوك

فخرجوا فوجدوا رجلاً نائماً، فسألوه عن خبر الناس، فقال: وأين الناس؟! .. لقد لحقوا بعمليات بلادهم.

قالوا: فالنعم.

قال: معهم.

فضربه أحدهم بسوط في يده.

فقال: تؤمّنون على دمي وأطلعكم على نعم لبني عم له لم يعلموا بمسيركم إليهم.

قالوا: نعم.

فأمّنوه: فانطلقوا معه، فبالغ في الطلب، حتى خافوا أن يكون ذلك غدرًا منه

٣٣٠

فقالوا: والله لتصدقنا أو لنضربن عنقك.

فقال: تطلعون عليهم من هذا المحل.

فلما طلّعوا منه وجدوا نعمًا روائع، فأغاروا عليها فاستاقوها، فإذا هي مائة بعير، وشردت الأعراب في كل وجه، ولم يطلبوهم، وانحدروا إلى المدينة بتلك الإبل، وأطلقوا الرجل الذي أمّنوه، ووفق عكاشة في هذه السرية وقدم على رسول الله ﷺ غائماً لم يلق كبدًا<sup>(١)</sup>.

ولما عزم الصديق (رضي الله عنه) على قتال المرتدين كان من بينهم طليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد تنبأ في قومه بني أسد وفي غطفان، وانضم إليهم بعض المرتدين أيضاً من بني عبس وذبيان، فكوّن أبو بكر جيشاً أمر عليه خالد بن الوليد. وخرج عكاشة بن محصن (رضي الله عنه) لقتال طليحة بن خويلد ومن معه

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٠٧/١)، و«تاريخ الأمم والملوك» للطبري (١٢٦/٢).

من المرتدين، وسار خالد بن الوليد بجيشه حتى التقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له: «بزاحة» وانطلق ثابت وعكاشة بين يدي خالد بن الوليد على فرسيهما يستطلعان «بزاحة»، فتلقاهما طليحة وأخوه مسلمة فيمنعهما من الرجال، فلما وجدا ثابتاً وعكاشة وحيدين فصل حبال بن مسلمة بن خويلد عن جماعته وطلب المبارزة، فتلقاه عكاشة بن محصن، وانقض عليه وضربه بالسيف فأرداه قتيلاً، فطار صواب والده مسلمة بن خويلد، فاعتنق عكاشة وتصارعا، ثم ضرب طليحة عكاشة بالسيف فقتله، ثم مال مع أخيه مسلمة على ثابت بن أقرم وقتلاه<sup>(١)</sup>، وقد أورد ابن كثير شعراً لطليحة في قتله ثابت وعكاشة وذلك في قوله:

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم	أليسوا وإن لم يسلموا برجال
فإن تلك أذواد أصبن ونسوة	فلن تذهبوا فرغاً بقتل جبال
نصبت لهم صدر الحمالة <sup>(٢)</sup> إنها	معاودة قتل الكهامة <sup>(٣)</sup> نزال
فيوماً تراها في الجلال مصونة	ويوماً تراها غير ذات جلال <sup>(٤)</sup>
ويوماً تراها تضيء المشرفية نحوها	ويوماً تراها في ظلال عوالي
عشية غادرت ابن أقرم ثاويماً	وعكاشة الغنمي عند حجال <sup>(٥)</sup>

وها هو أبو واحد الليثي يحدث عن مقتل عكاشة فيقول: «كنا نحن المقدمة

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٠٨/١) و «الطبقات الكبرى» (٩٢/٣).

(٢) الحمالة: اسم فرس طليحة.

(٣) الكهامة: الشجعان.

(٤) الجلال: جمع جل، والجل للدابة، كالثوب للإنسان تصان به.

(٥) «البداية والنهاية». وذكر الذهبي في «السيرة أن طليحة أسلم فيما بعد، وحسن إسلامه

(٣٠٨/١).

ماتني فارس، وعلينا زيد بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان ثابت بن أقرم وعكاشة ابن محصن رضي الله عنهما أماننا، فلما مررنا بهما سيء بنا، وخالد والمسلمون وراءنا بعد، فوقفنا عليهما حتى طلع خالد بن الوليد (رضي الله عنه) يسير، فأمرنا فحفرنا لهما ودفنهما بدمائهما وثيابهما، ولقد وجدنا بعكاشة جراحات منكرة<sup>(١)</sup>. قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وهذا أثبت ما روي في قتل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم عندنا والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

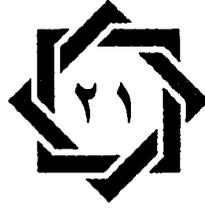
وقد كان عمر عكاشة (رضي الله عنه) حين قتل أربعاً وأربعين سنة، وكان قتله في السنة الحادية عشرة على الصحيح<sup>(٣)</sup>.



(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٩٢) و(٣/٤٦٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٠٨).



## ثابت بن قيس

### الخطيب الأوحـد

ثابت بن قيس أحد الصحابة الأبرار الذين كان لهم الشرف في إراقة دمائهم الطاهرة في ساحات النضال ومكّر الرجال، حيث صليل السيوف وتكسر الرماح، تحت راية التوحيد.

اسمه: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو محمد، وقيل: أبو عبدالرحمن<sup>(١)</sup>.

كان ممن أوتي ناصية البيان، ولذلك كان خطيب الأنصار، وتميز (رضي الله عنه) بالدفاع عن النبي ﷺ لما قدم المدينة، حيث ثبت في الحديث عن أنس (رضي الله عنه) قال: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله ﷺ المدينة فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٠٩).

قال: الجنة. قالوا: رضينا<sup>(١)</sup>.

وتميز (رضي الله عنه) بأنه كان يخاف على نفسه الهلاك لكونه جهوري الصوت رغم أنه لا يتعمد مخالفة الأدب مع النبي ﷺ فطمأنه النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة، كما ثبت في الحديث من رواية أنس بن مالك (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup> أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال: يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟ قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أي من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة».

وكان (رضي الله عنه) من نجباء أصحاب محمد ﷺ لم يشهد بدرأ ولكنه شهد أحداً وبيعة الرضوان<sup>(٣)</sup>. أمه هند الطائية، وقيل كبشة بنت واقد<sup>(٤)</sup>، وأما زوجه فهي حبيبة بنت سهل<sup>(٥)</sup>.

وحين قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً وآخى بين المهاجرين والأنصار

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٦٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يجبط عمله.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣١٢).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الطبقات الكبرى.

كان نصيب ابن ثابت بن قيس في المؤاخاة عامر بن أبي البكير<sup>(١)</sup>.

وقد ظل ثابت بن قيس (رضي الله عنه) مضرب المثل في الجهاد، فلما ظهرت حركة الردة التي قامت بها بعض القبائل، أخذ أبو بكر (رضي الله عنه) يسير الجيوش للقضاء على هؤلاء المرتدين عن دينهم ومحاربة الأعداء، وكان من أشد المرتدين مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، فانحاز إليه بنو حنيفة، والتفت حوله مجموعة كبيرة من الناس، ومن الذين مردوا على الإسلام وأهله.

ففي السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية الشريفة انتدب الصديق سيف الله خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لمحاربة مسيلمة الكذاب، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup>. والتقى الجيشان أهل الإيمان وأهل الشرك، وكانت جولة، فانكشف المسلمون في الجولة الأولى حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وهما يقتل زوجه أم تميم، فلما رأى ثابت تقهقر المسلمين قال: «ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup> وقال كذلك: «بئس ما عودتم أقرانكم»<sup>(٤)</sup>.

وأعلن زيد بن الخطاب (رضي الله عنه) دفاعه عن حياض الشريعة قائلاً: «والله لا أتكلم اليوم حتى نهمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، عضوا على أضراسكم

(١) عامر بن أبي البكير صحابي جليل، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، أسلم مع إخوته الثلاثة (عافل، وخالد، وإياس).. وما شهد بدرًا إخوة أربعة سواهم، واستشهد عامر يوم اليمامة. «سير أعلام النبلاء» (١/١٨٧).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٦/٣٢٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٣١١)، و«الآحاد والمثاني» لأبي بكر الشيباني (١/٢٤١).

(٤) «البداية والنهاية» (٦/٢٢٤).

أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً<sup>(١)</sup>.

وهنا تحنط ثابت بن قيس (رضي الله عنه) ولبس ثوبين أبيضين، وقال: خلوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل، فقاتل حتى قتل، وكانت درعه قد سرفت، فرآه رجل في النوم، فقال له: إنها في قدر تحت إكاف، بمكان كذا وكذا، وأوصاهم بوصايا. فنظروا فوجدوا الدرع كما قال: «وأنفذوا وصاياها»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نال ثابت الشهادة في سبيل الله بعد أن ترك أثراً حميداً فيمن وراءه ولا عجب فقد قال النبي ﷺ كما في الحديث: «نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس»<sup>(٣)</sup>. ولم يتوقف عطاء ثابت بن قيس بعد أن سقط شهيداً في ساحة الإيمان، حيث كان له من البنين ثلاثة من المجاهدين محمد ويحيى وعبدالله وقتلوا جميعاً في سبيل الله<sup>(٤)</sup>، وهذا من ثمار تربية الأبناء على طاعة الله تعالى.

وهكذا سجل اسم ثابت بن قيس (رضي الله عنه) في سجل أولئك الرجال الأفاضال الذين ضربوا أروع الأمثلة في الإسلام، وكانوا بحق بمن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.



(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٢/٢٨٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣١١، ٣١٢) ومستدرك الحاكم (٣/٢٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧)، وقال: حديث حسن، والحاكم (٣/٢٣٣) وصححه؛ ووافقه الذهبي.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٣١٣).



## الطفيل بن عمر الدوسي

### من أبطال الإمامة

وسط الخضرة اليانعة الممتدة فتح عينيه، وبين السهول والمروج الفواحة بالعطر، الكثيرة الثمر كانت طفولته.. وعلى ربي الطبيعة الواضحة المكشوفة السماء، الساطعة الشمس درج شبابه، وقامت رجولته.

ومما قيل في وصفه أنه كان رجلاً طويلاً القامة، عريض المنكبين، مفتول الذراعين، عالي الجبهة، غزير الشعر، واسع العينين.

أما عن والده فكانت حياته واسعة الرزق، كثيرة الخير، وكانت له ضيعة ومزارع، لا يعرف شظف العيش، ولا تقلبات الأيام<sup>(١)</sup>. يقول عنه الطفيل: «فأتاني أبي فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني. فقال: وما ذاك؟ قلت: إني أسلمتُ واتبعت دين محمد فقال: أي بني ديني دينك، وكذلك أمي فأسلمتُ..»<sup>(٢)</sup>.

(١) «فرسان من مدرسة النبوة» د. عبد الرحمن عميرة ص ٤٩.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٤٦).

## قصة إسلامه:

قال الطفيل: كنتُ رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة، فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد، وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل، فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنه فرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وابنه. فوالله ما زالوا يحدثوني شأنه، وينهوني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني، قال: فعمدت إلى أذني، فحشوتها كرسفاً<sup>(١)</sup>، ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائماً في المسجد، فقممت قريباً منه، وأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله، فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، وإني امرؤ ثبت، ما تخفى عليّ الأمور حسنها وقبيحها، والله لأتسمعن منه، فإن كان أمره رشداً أخذت منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكرسفة، فلم أسمع قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلت: يا سبحان الله! ما سمعت كالיום لفظاً أحسن ولا أجمل منه. فلما انصرف تبعته، فدخلت معه بيته. فقلت: يا محمد! إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا. فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض عليّ دينك، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت ثم قلت: إني أرجع إلى دوس، وأنا فيهم مطاع، وأدعوهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية، قال: «اللهم اجعل له آية تعينه».

فخرجت حتى أشرفت على ثنية قومي، وأبى هناك شيخ كبير، وامراتي وولدي، فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يترأاه الحاضر في ظلمة الليل، وأنا منهبط من الثنية، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا

(١) الكرسف: القطن.

أنها مثلة لفراق دينهم، فتحول فوقع في رأس سوطي، فلقد رأيتني أسير على بعيري إليهم، وإنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق، قال: فأتاني أبي فقلت: إليك عني، فلستُ منك، ولست مني، قال: وما ذاك؟ قلت: إني أسلمت واتبعت دين محمد، فقال: أي بني، ديني دينك، وكذلك أمي، فأسلما<sup>(١)</sup>، وأخذ الطفيل في الدعوة إلى الإسلام، واجتمع الناس حوله يستمعون إلى بعض آيات القرآن العظيم التي وعثها ذاكرة الطفيل.

ولكن الكثير من الناس لم يستجيبوا له، ولم يلبوا داعي الله، وشغلهم هو الحياة ومتاع الدنيا عن الهدى والنور.

وجاء إلى رسول الله ﷺ ومن تابعه على إسلامه، فقال: إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»<sup>(٢)</sup>. ثم رجع إلى قومه، فأقام بين ظهرانهم يدعوهم إلى الإسلام، حتى استجاب منهم من استجاب، وسبقته بدر والخذق، ثم قدم بثمانين أو تسعين من دوس، فكان مع النبي ﷺ حتى فتح مكة وتم النصر الكبير، وشاهد قلاع الكفر تهوي في كل مكان، فقال لرسول الله ﷺ: ابعثني إلى ذي الكفين - صنم عمرو بن حُمة - حتى أحرقه، قال: «أجل» فخرج سريعاً إليه فهدمه، وجعل يحشو النار في وجهه ويقول:

يا ذا الكفين لستُ من عبادكا      ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا<sup>(٣)</sup>

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٤٥-٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤)، وأحمد (٢/٢٤٣).

(٣) «أسد الغابة» (٢/٤٦٢).

ولازم الطفيل رسول الله ﷺ فلم يفارقه حتى خرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ذات يوم وقال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثم جاء أبو بكر .. وامتنعت بعض قبائل العرب عن دفع الزكاة، وقرر الخليفة مقاتلة كل من فرق بين الصلاة والزكاة، وجيشت الجيوش لحرب المرتدين، وخرجت كتائب الإسلام لتعلن كلمة التوحيد، ومقاتلة الأعداء، وخرج الطفيل ومعه ابنه عمرو بن الطفيل مع الجيش الذاهب لحرب مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة.

قال الطفيل: «حتى إذا كنا ببعض الطريق رأيت رؤيا، فقلت لأصحابي: إني رأيت رؤيا فاعبروها، إني رأيت رأسي حُلِقَ، وأنه يخرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني عمراً يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيتني حبس عني، قالوا: خيراً، قال: أما أنا قد أولتها، أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيب فيها، وأما طلب ابني لي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني»<sup>(١)</sup>.

ودارت المعركة، وثبت المسلمين في مواقعهم، بل إن بعضهم حفر لنفسه حفرة في الأرض لتثبيت أقدامه، منهم: ثابت بن قيس، وسالم مولى أبي حذيفة،

(١) «أسد الغابة» (٢/٤٦٢).

والطفيل بن عمرو الدوسي.

وَقُتِلَ الثَّلَاثَةُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ، وَنَالَ الطُّفَيْلُ الشَّهَادَةَ بِإِذْنِ اللَّهِ. نَعَمْ لَقَدْ قُتِلَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَوْقِعَةِ الْيَمَامَةِ.. تِلْكَ الْمَوْقِعَةُ الَّتِي أَشْعَلَ لَهْبِهَا رَجُلٌ ادَّعَى النَّبُوَّةَ، وَزَعَمَ أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا الدَّعْوَى الْكُذَّابِ.. وَجَدَ الْكَثِيرَ مِنَ الْآتِبَاعِ وَالْأَنْصَارِ، الَّذِينَ صَدَّقُوا فَرِيْتَهُ وَآمَنُوا بِأَصَالِيْلِهِ.

وَالْعِلَاجُ لِمِثْلِ هَذَا الدَّعْوَى الْكُذَّابِ أَنْ نَحْتَكِمَ وَإِيَّاهُ إِلَى السَّيْفِ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِظْهَارِ كُذْبِهِ، وَكَشْفِ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ، وَلَا بَدَّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَسْقُطَ شَهِدَاءٌ، وَتَرِاقَ الدِّمَاءُ، وَتَصْهَرُ النَّفُوسُ فِي أَتُونِ الْمَعْرَكَةِ.. لَقَدْ قُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَقُتِلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَقُتِلَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، وَالْمُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ جَرَحَ عَمْرٍو بْنَ الطُّفَيْلِ، وَقَطَعَتْ يَدَهُ، ثُمَّ شَفِيَ مِنْ جُرُوحِهِ وَصَحَّتْ يَدُهُ، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَكَرَّتِ اللَّيَالِي، وَجَاءَ الْإِبْنُ عَمْرٍو بْنَ الطُّفَيْلِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَجَاءَ الطَّعَامُ وَمُدَّ الْبَسَاطُ، وَلَكِنَّ الْإِبْنَ تَنَحَّى بَعِيداً.

فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو: لَعَلَّكَ تَنَحَيْتَ لِمَكَانِ يَدِكَ..؟

قَالَ: أَجَلٌ.

قَالَ عَمْرٍو: وَاللَّهِ لَا أَذُوقُهُ حَتَّى تَسُوْطَهُ بِيَدِكَ<sup>(١)</sup>.

حَقّاً لَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالُ هُمُ الْبَدَايَةُ لِلْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ، الَّذِي حَمَلَ رَايَةَ الْجِهَادِ، وَانْدَاحَ بِهَا فِي أَرْبَعَةِ أَرْكَانِ الْأَرْضِ، وَأُخْرَى بِأَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ - الْيَوْمَ - أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مَعْرَكَةٌ أُخْرَى كَمَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ، يَحْطَمُونَ فِيهَا الْكُفْرَ وَآتِبَاعَهُ، وَيَزِيلُونَ

(١) «الإصابة» (٤/٦٤٩)، و«الطبقات الكبرى» (٤/٢٤٠).

التسلط وأذنا به، ويجعلون الأرض خالصة لله الواحد الأحد...<sup>(١)</sup>.

وهم مع ذلك لا يخضعون للبيت الأبيض، ولا لهيئة الأمم، إنما قلوبهم متعلقة بالبيت العتيق، لا تضرهم في ذلك نعقاتُ العلمانيين، ولا قهقهاتُ المنافقين، شعارهم الوحيد:

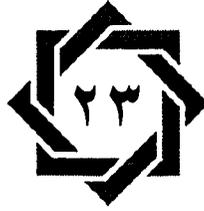
نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

\* \* \*

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أجزاء شلو ممزع



(١) «فرسان من مدرسة النبوة» (ص ٧٤، ٧٥).



## أبو العاص بن الربيع

### الصدوق الوفي بوعدده

إنه فارس من فوارس الجاهلية والإسلام، وتاجر عرفته أسواق التجارة بالصدق والأمانة.. وهو صهر رسول الله ﷺ زوج بنته زينب. وهو والد أمانة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته، والده: الربيع بن عبد العزى.. من أصحاب الرأي والحكمة، وأحد أعضاء دار الندوة في الجاهلية<sup>(١)</sup>، أمه: هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال اللهم هالة»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/٣١١).

(٢) المرجع السابق (٥/٢٩٣).

(٣) أخرجه البخاري.

وقد كانت خديجة رضي الله عنها تحب ابن أختها أبا العاص لرجولته المبكرة، وحسن معاملته الآخرين، ولهذا تزوج من ابنتها زينب<sup>(١)</sup>، وسارت حياتهم رخاء ترفرف عليها السعادة، ويملاها الحب والوفاق.

فهو يعرف دائماً واجبات الزوج تجاه زوجته، وهي نشأت وتربت في بيت النبوة، وبين يدي رسول الله ﷺ الذي وصفه ربه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

تمر الأيام، ويؤمر النبي ﷺ بتبليغ رسالة ربه، فيدعو قومه إلى الإسلام، فتؤمن خديجة، وزينب، وبقية البيت النبوي، ويبقى أبو العاص على كفره.

واشتدت عداوة الكفار لرسول الله ﷺ، ولجأ هؤلاء الكفار من قريش إلى كل حيلة وسبب ينالون به من رسول الله ﷺ، فهم يجاربونه في نفسه وماله، ويجاربونه في أتباعه وأنصاره.

ولكن كل ذلك لم يغنهم فتيلاً.

فقال بعضهم لبعض: إنكم قد فرغتم محمداً من همه.

فقالوا: ماذا نفعل؟

قالوا: ردوا عليه بناته فأشغلوه بهن.

فتقدموا إلى أبي العاص، فمَنّوه الأمان، وأغروه بالمال والتجارة، وقالوا له في النهاية: فارق زوجك، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش، فقال لهم: لا والله ما أريد أن أفارق زوجتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة أخرى من قريش. ولم يستجب أبو العاص إلى نداء الإسلام.

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٩٣).

ولما كانت غزوة بدر تلك الغزوة التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً، وأيدهم الله تعالى بجند من عنده، وانهمزت فيه عصابة الكفر، وقُتل منهم فريق، وأسر فريق آخر، كان أبو العاص بن الربيع أحد هؤلاء الأسرى.

واشترط الرسول ﷺ ألا يُطلق أسير إلا بفدية أو تعليم عشرة من الصحابة القراءة والكتابة، وأرسلت قريش في فداء أسراها.

وأرسلت زينب في فداء زوجها أبي العاص قلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها؟» فقالوا: نعم. وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه.

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: «كونا ببطن يأجج<sup>(١)</sup> حتى تمر بكما زينب، فتحصباها حتى تأتيا بها»<sup>(٢)</sup>. وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة، أمر باللحاق بأبيها، فتجهزت، فتقدم أخو زوجها كنانة بعيراً، فركبت، وأخذ قوسه وكنانته نهراً، فخرجوا في طلبها، فبرك كنانة، ونثر كنانته بذي طول، فروّعها هبار بن الأسود بالرمح، فقال كنانة: والله لا يدنو أحد إلا وضعت فيه سهماً، فقال أبو سفيان: كُف أيها الرجل عنا نبلك حتى نكلمك، فكف، فوقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الناس

(١) موضع على ثمانية أميال من مكة، كان ينزله عبدالله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذمين، وبنواحي مكة موضع آخر يقال له: يأجج، وهو أبعدهما، بينه وبين مسجد التنعيم ميلان.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٢٧٦)، وأبو داود (٢٦٩٢)، والحاكم (٣/٢٣٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس أن ذلك على ذل أصابنا، ولعمري ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ارجع بها، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن رددناها، فسألها سرّاً، وألحقها بأبيها، قال: ففعل، وخرج بها بعد ليال، فسلمها إلى زيد وصاحبه، فقدمها بها، فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بهاله ومال كثير لقريش، فلما رجع لقيته سرية، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هرباً، فقدموا بها أصابوا، وأقبل هو في الليل، حتى دخل على زينب، فاستجار بها، فأجارته.

فلما كان النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس، قد أجزت أبا العاص بن الربيع. وبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله، فقال: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو في «الله» فأنتم أحق به» قالوا: بل نرده كله، ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: يا معشر قريش! هل بقي لأحد منكم عندي شيء؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أنني إنما أردت أكل أموالكم، ثم قدم على رسول الله ﷺ فرد عليه النبي ﷺ زينب على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً<sup>(١)</sup>.

ولقد أثنى النبي ﷺ على أبي العاص فقال: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفى

لي»<sup>(٢)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٣٢-٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٦٩)، وابن ماجه

وبهذه الكلمات الصادقة الطيبة التي قالها رسول الله ﷺ عن أبي العاص ابن الربيع نستطيع أن نضع يدنا على مفتاح شخصية هذا الرجل، الذي قبله رسول الله ﷺ صهرأ له، إن من أهم الصفات التي تميز بها الصدق، والصدق من علامات الإيمان، وشاهد على تكامل الشخصية والرجولة، والرجل الصادق قريب من الناس.. لأنه يصدقهم ولا يخدعهم، وقريب من الله تعالى لأنه أدى ما أمره به، وكف عما نهاه عنه.

وإن الرجل الصادق يستمر في صدقه حتى يصبح عند الله صديقا، والرجل الكاذب يستمر في كذبه حتى يُكتب عند الله كذابا. والصفة الثانية في أبي العاص ابن الربيع الوفاء.. والوفاء أحد المعالم الأساسية في شخصية الرجل المسلم، ولا يكتمل إيمانه وإسلامه إلا إذا تحلى بهذه الصفة الجليلة.

مات أبو العاص بن الربيع في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في ذي الحجة، سنة اثنتي عشرة من الهجرة<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه) وأرضاه.



(١) «الإصابة» (٤/١٢٣).



## ابن أم مكتوم

رجل أعمى أنزل الله في شأنه ست عشرة آية، تليت وستظل تتلى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ابن أم مكتوم رجل من رجالات مكة، لم يكن له وضع ولا ثقل بين القبائل بعامته وأهل قريش بخاصة، ولم تسمع به الدنيا قبل الإسلام، ولم يكن له صوت ولا حديث فيها، بل كان رجلاً عادياً يعيش لنفسه مع نفسه، ولا يعرف له اسم أو رسم على التأكيد، الأمر الذي يوجد الاختلاف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبدالله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري. وأما أهل العراق فسموه عمراً<sup>(١)</sup>.

وأمه: عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية<sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٦٠)، و «الإصابة» (٤/٦٠٠).

(٢) المرجع السابق.

وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال وسعد القرظ وأبي محذورة<sup>(١)</sup>.  
سمع ذات يوم بتسلل العبيد والخدم والمستضعفين إلى دار ابن الأرقم  
يتسمعون إلى محمد ﷺ، وأحس أن في مكة حركة غير عادية، فالأعصاب مشدودة  
من سادة قريش، والعبيد والخدم يسامون بالضرب والتعذيب، كل ذلك بسبب  
دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام، وحينئذ قرر الذهاب إلى دار ابن الأرقم ليسمع كما  
يسمعون، وليعرف الخبر اليقين، فحمل عصاه وذهب إلى هناك.

ولأول مرة تطرق أذنيه كلمات فتنزل إلى القلب مباشرة فتعطيه السكينة  
والأمان، وتهبه قوة لا تبالي بقوة الأرض كلها مجتمعة، إنها كلمات الوحي التي نزل  
بها جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ لتقرر وحدانية الخالق، وتسوي بين البشر  
جميعاً، وتحقق العدل بين الأقوياء والضعفاء، وتملأ الأرض نوراً بعد أن ملئت  
ظلماً وجوراً.

ومنذ ذلك اليوم حرص ابن أم مكتوم على أن يتفقه في دين الله تعالى ويبذل  
كل ما يملك ويعرف عنه كل شيء.

قال ابن كثير رحمه الله: «ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان  
يوماً يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ  
أقبل ابن أم مكتوم - وكان ممن أسلم قديماً - فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء  
ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ل يتمكن من مخاطبة ذلك الرجل  
طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم، وأعرض عنه، وأقبل على  
الآخر، فأنزل الله تعالى ﴿عَسَىٰ وَتَوَكَّلْ ۗ﴾ (١) ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ (٢) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ بَرَكَ﴾ (٣)

أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ [عبس: ١-٤] (١).

وعندما أخذت قريش تشتد على المسلمين وتؤذيهم، وتنكل بهم كل تنكيل أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، ففر ابن أم مكتوم بدينه مع المهاجرين، وكانت هجرته قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقبل غزوة بدر (٢)، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: كان من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي، فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقال: هو مكانه، وأصحابه على أثري، ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى فقال لهم: هم أولاء على أثري (٣).

هاجر ابن أم مكتوم إلى المدينة، ونزل في دار القراء، وأخذ يؤدي مهمته التي أعد نفسه لها، مهمته في تعليم الناس مبادئ الدين، ومهمته في إقراء الناس آيات الذكر الحكيم (٤).

ولقد كان ما يميز به الصحابي الجليل أذانه للصلاة، فقد كان بلال يؤذن في رمضان فلا يمتنع الناس عن الطعام والشراب؛ لأن أذانه فقط لإيقاظ النائم وتنبيه الغافل، فإذا أذن ابن أم مكتوم كان هذا إيذاناً بالامتناع عن الطعام والشراب وإمساك الصائمين، فعن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، وكان أعمى لا ينادي

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٧٠).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/٢٠٦)، و (٤/٣٦٧)، وسير أعلام النبلاء» (١/١٤٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٤/٢٠٦).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٦١).

حتى يقال له: أصبحت أصبحت<sup>(١)</sup>.

وابن أم مكتوم هذا من أولئك الرجال الذين أشربت قلوبهم حب النبي ﷺ، فهو أحب إليه من الأهل والعشيرة، أحب إليه من الزوجة والولد، بل أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وكل واحد من الصحابة الأبرار - وابن مكتوم منهم - قد يحتمل الإساءة تقدم إلى أهله وذويه، ويكظم غيظه، ويعفو ويصفح، ولكنه لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يمس شخص الرسول ﷺ بأذى، ولذلك لما نزل ابن أم مكتوم (رضي الله عنه) على يهودية بالمدينة كان ترفقه وتحسن إليه وتساعده في طعامه وشرابه، لكنها تؤذيه في النبي ﷺ فتناولها، فضرها، فقتلها، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال هو: أما والله إن كانت لترفقني، ولكن آذنتني في الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «أبعدها الله، قد أبطلت دهما»<sup>(٢)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة عند خروجه إلى غزواته كما في خروجه إلى غزوة قرقرة الكدر إلى بني سليم وخطفان، وكذا في بدر وغزوة أحد، وحمراء الأسد، والخذق، وبني قريظة، وبني لحيان، والغابة، وذو قرد، وفي عمرة الحديبية<sup>(٣)</sup>.

لقد كان ابن أم مكتوم صواماً، لم يره أحد إلا في عبادة، أو متجهاً لأداء عبادة، أو مشاركاً للمسلمين في أمر يهمهم، ولما نزل قول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

(١) أخرجه أحمد (١٢٣/٢)، والبخاري (٦١٧) و(٦٢٠) و(١٩١٨) و(٢٦٥٦) و(٧٢٤٨)، ومسلم (١٠٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٦٢)، قال الأرئوط في تخرجه للسير (١/٣٦٣): «رجاله ثقات».

(٣) «الطبقات الكبرى» (٤/٢٠٩)، وانظر سير أعلام النبلاء (١/٣٦١)، و«الإصابة» (٤/٦٠١).

فسمع بذلك ابن مكتوم فأتى رسول الله ﷺ وهو يملي الآية على زيد بن ثابت (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت. قال زيد: فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي، حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُري عنه، فأنزل الله ﴿عَبْرُ أُولَى الضَّرِّ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وحرص ابن أم مكتوم على أن يكون له أجر المجاهد، وطلب من إخوانه أن يشركوه معهم في حروبهم، واستجابوا له، ورافق الجيش المتجه إلى القادسية<sup>(٢)</sup>.  
 وعندما وصل إلى ميدان المعركة قال: يا أحباب الله، يا أصحاب محمد ﷺ، يا أبطال المعارك، ادفعوا إليّ اللواء، فإني رجل أعمى لا أستطيع أن أفز. وأقيموني بين الصفين<sup>(٣)</sup>.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء، عليه درع<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي: ويقال: استشهد يوم القادسية<sup>(٥)</sup>.  
 وبعد، فلقد كان ابن أم مكتوم أعمى البصر، ولكنه كان نافذ البصيرة، أنزل

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٢)، والترمذي (٣٠٣٦).

(٢) قال الذهبي: «القادسية ملحمة كبرى تمت بالعراق، وعلى المسلمين سعد بن أبي وقاص، وعلى المشركين رستم، وذو الحاجب، والجالينوس، قال أبو وائل: كان المسلمون أزيد من سبعة آلاف، وكان العدو أربعين، وقيل: ستين ألفاً معهم سبعون فيلاً قال المدائني: اقتتلوا ثلاثة أيام في آخر شوال سنة خمس عشرة، فقتل رستم وانهمزوا «سير أعلام النبلاء» (١/٣٦٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٤/٢١٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٦٤)، والطبقات الكبرى (٤/٢١٢).

(٥) المرجع السابق.

الله فيه قرآناً، فكان هذا إيداناً من الله تعالى بقيام دولة الصالحين المؤمنين، دولة الموحدين القانتين، العاملين بشريعة الله في الأرض. كان هذا إيداناً من الله بتثبيت القيم الإيمانية التي على أساسها يتفاضل الناس بقيم الإيمان والتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن ذلك اليوم، أخذ الرسول ﷺ يستقبل المستضعفين والذين دوى صوتهم في جنبات الأرض، يحملون للبشرية كلها الأمن بعد الخوف، والنور بعد الظلام، والهدى بعد الضلال، فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال، وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين.

كانوا رعاة جمال قبل نهضتهم      وبعدها ملؤوا الآفاق تمدينا  
لو كبرت في ربوع الصين مثذنة      سمعت في الغرب تهليل المصلينا<sup>(١)</sup>



(١) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (١/٣٧-٣٨).



## معاذ بن جبل

### إمام العلماء ومعلم الناس الخير

معاذ بن جبل.. علم من أعلام أصحاب النبي ﷺ وعلماؤهم، كانت له منزلة خاصة عنده، جمع بين العلم والعبادة والجهاد، وعرفه الناس إماماً للعلماء.. وعابداً زاهداً من كبار الأولياء.. ومجاهداً قضى معظم حياته يجاهد في سبيل الله على بصيرة وهدى، لا تنزله المحن، ولا تميل به الأهوال.

نشأ في بني سلمة مع أنه من بني أدي، وسبب ذلك أن أم معاذ تزوجت - بعد موت زوجها والد معاذ - رجلاً من بني سلمة هو الجد بن قيس<sup>(١)</sup>. وقد تحول معاذ بن جبل إلى بني سلمة مع أمه، فعاش بينهم.

كان ﷺ أبيض وضيء الوجه، براق الثنايا، أكحل العينين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/٥٨٣).

(٢) «الإصابة» (٦/١٣٦).

إسلامه:

عندما بدأ الإسلام ينتشر بالمدينة المنورة بعد بيعة العقبة الأولى على يد مصعب بن عمير (رضي الله عنه)، الذي أرسله النبي ﷺ مع من حضر العقبة الأولى من الأنصار ليفقههم في الدين، ويقرئهم القرآن؛ أسلم معاذ بن جبل، وكان عندما أسلم في باكورة شبابه، عمره ثمانية عشر عاماً، وفي السنة التي أسلم فيها سافر إلى مكة مع رجال قومه من الأنصار في موسم الحج ليلتقي بالنبي ﷺ ويشهد بيعة العقبة الثانية.

كانت بيعة العقبة الثانية أول الأحداث الكبيرة التي شهدها معاذ بن جبل في الإسلام، وكان لهذه البيعة أعظم الآثار في تاريخ الإسلام، فهي التي فتحت طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، وتحمل الأنصار رضي الله عنهم فيها عبء الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرة الإسلام إذا هاجر إليهم.

وعرف معاذ في هذه البيعة الطريق الذي سيسلكه في حياته، واختار راضياً مطمئناً هذا الطريق مع ما فيه من مشقة وشدة، لأنه طريق الجنة.

وقد عاد معاذ من مكة إلى المدينة ممتلئاً حماساً ونشاطاً للدعوة إلى الدين الجديد وتوطيد دعائمه وأركانه في المدينة، تمهيداً لهجرة الرسول ﷺ إليها، لتكون معقل الإسلام، وحصنه المنيع، وقاعدة انطلاقه وانتشاره في العالم<sup>(١)</sup>.

ورأى معاذ مع بعض شباب الأنصار أن أول واجب من واجباتهم الإسلامية أن يطهروا المدينة المنورة من الأصنام، حيث لا يزال فيها بعض من يتمسك بعبادة الأصنام، وقد كان معاذ (رضي الله عنه) لما أسلم يكسر أصنام بن سلمة، هو

(١) «معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير» عبد الحميد طهماز.

وثعلبة بن عنمة، وعبدالله بن أنيس<sup>(١)</sup>.

وكان من تلك الأصنام الموجودة في المدينة صنم لعمر بن الجموح - سيّد من سادات بني سلمة وشريف من أشرفهم - وكان قد اتخذ صنمه من خشب، يقال له: (مناة)، فلما أسلم فتيان بن سلمة - ومنهم معاذ بن جبل - أخذوا يدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذر الناس، منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آهتنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما - والله - لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتك. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه. ثم قال: إني - والله - ما أعلم من يصنع بك ما ترى. فإذا كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام عمرو عدواً عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من رجال قومه: أسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، يذكر صنمه، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان من العمى والضلالة.

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن  
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدّين<sup>(٢)</sup>

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٥٨٣)، و«البداية والنهاية» (٣/١٦٦).

(٢) أي الأديان.

هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مُرتين<sup>(١)</sup>  
دعوته اليهود إلى الإسلام:

لم يكن نشاط معاذ بن جبل في نشر الإسلام قاصراً على العرب وعلى تكسير الأصنام، بل امتد إلى اليهود الذين كانوا يسكنون في المدينة المنورة، والذين كانوا كثيراً ما يتحدثون عن رسول الله ﷺ قبل البعثة، لأن صفاته عليه الصلاة والسلام موجودة في التوراة، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه، ولهذا ذهب إليهم معاذ بن جبل مع بشر بن البراء، وقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم، أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]<sup>(٢)</sup>.

جهاده:

منذ أن بايع معاذ رسول الله ﷺ بيعة العقبة سار في الطريق الذي عاهد رسول الله ﷺ على السير فيه، وهو طريق الجهاد لإعلاء كلمة الله، وظل على هذا الطريق طوال حياته، لقد شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/١٦٦).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/٥٤٧).

(٣) انظر «الإصابة» (٦/١٣٦).

وقد بدأ جهادُ معاذ مع رسول الله ﷺ منذ بيعة العقبة، واستمر معه إلى غزوة تبوك، وكان معاذ بجانب رسول الله ﷺ في كل مراحل هذه الغزوة. وبعد غزوة تبوك أرسله النبي ﷺ إلى اليمن داعياً ومعلماً، ثم رجع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

ولم يترك معاذ (رضي الله عنه) بعد وفاة النبي ﷺ الجهاد الذي سار فيه منذ بيعة العقبة، بل ظلَّ على الطريق، وشارك في معارك الجهاد في بلاد الشام<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفه الرائعة موقفه يوم أجنادين سنة عشرين لما صاح بالمسلمين موجهاً ومشجعاً يقول: معاشر الناس، إن الجنة قد زخرت لكم والنار قد فتحت لأعدائكم، والملائكة قد أقبلت عليكم، والخور العين قد تزينت للقائكم، فأبشروا بالجنة السرمدية<sup>(٢)</sup>.

علمه:

اشتهر معاذ (رضي الله عنه) بالعلم، ووصل إلى المكانة الرفيعة عند النبي ﷺ وأثنى عليه وشهد له بالعلم والفهم والتمييز بين الحلال والحرام في الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»<sup>(٣)</sup>.

وأوصى عليه الصلاة والسلام الناس أن يأخذوا القرآن من أربعة من أصحابه،

(١) انظر «فتوح الشام» لأبي عبد الله بن عمر الواقدي (٥٧/١).

(٢) المرجع السابق (٥٨/١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/١٨٤)، والترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه، وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه وتخرجه لأحاديث سير أعلام النبلاء.

منهم معاذ، قال: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي، ومعاذ بن جبل»<sup>(١)</sup>.

ومن القضايا التي ظهر فيها علم معاذ (رضي الله عنه) وفقهه وبعده نظره، قضية المرأة التي غاب عنها زوجها ستين، ثم جاء زوجها وهي حامل، فرفعها إلى عمر، فأمر برجمها، فقال معاذ: إن يكن لك عليها سبيل، فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فوضعت غلاماً، فلما رآه أبوه عرف الشبه به، فقال: ابني، ابني ورب الكعبة، فبلغ ذلك عمر فقال: عجز النساء أن يلدن مثل معاذ، لولاه هلك عمر<sup>(٢)</sup>.

وهذا أبو مسلم الخولاني، التابعي الجليل، يحدث عما رأى لمعاذ من مكانة علمية كبيرة في بلاد الشام، فيقول: «دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الشيا، ساكت لا يتكلم، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلتُ لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل، قال: فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى تفرقوا»<sup>(٣)</sup>.

وكان من تقدير واحترام الصحابة الكرام رضي الله عنهم لمعاذ أنهم كانوا إذا تحدثوا - وفيهم معاذ - نظروا إليه هيبة له<sup>(٤)</sup>.

وعندما أتى عمر إلى بلاد الشام وخطب في الجابية قال: «من أراد أن يسأل

(١) «البخاري - مع الفتح» (١٢٥/٧) رقم (٣٨٠٦)، ومسلم (٢٤٦٤).

(٢) معاذ بن جبل.. إمام العلماء ومعلم الناس الخير، عبد الحميد محمود طههاز، (ص ٨٣).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٥٩٠)، و«حلية الأولياء» (١/٢٣٠)، و«سير أعلام النبلاء»

(١/٤٥٣)، و«طبقات الفقهاء» للشيرازي ص ٢٧.

(٤) «صفوة الصفوة» لابن الجوزي (١/٤٩٥).

عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل<sup>(١)</sup>.

عبادته:

معاذ بن جبل عالم عابد، شغف بالعبادة شغفاً كبيراً حتى غلب عليه سمُّ العباد الزهاد بين أصحاب رسول الله ﷺ.. وكان له بالصلاة تعلق كبير بها وحب عظيم لها.

وقد كان يصلي مع النبي ﷺ في مسجده ثم يرجع إلى قومه بني سلمة، والذين كانوا يسكنون في أطراف المدينة، فيصلي بهم إماماً في مسجدهم، وكان (رضي الله عنه) إذا تقدم ليصلي يغلب على قلبه الخشوع والخضوع لله رب العالمين؛ لأنه يصلي وهو يظن أن هذه الصلاة هي آخر صلاة له في الدنيا. وكان يوصي ولده فيقول: «يا بني، إذا صليت فصلِّ صلاة مودع، ولا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حستين: حسنة قدمها، وحسنة أخرها»<sup>(٢)</sup>.

والخوف من النار والشوق إلى الجنة هو الذي جعل معاذاً يقوم ساعات طوالاً من ليله، يناجي ربه، ويقول: «اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك عهداً تؤده إليّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد»<sup>(٣)</sup>.

(١) «الطبقات الكبرى» (٢/٣٤٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١/٤٥٢)، و«طبقات

الفقهاء» ص ٢٧.

(٢) «حلية الأولياء» (١/٢٣٤).

(٣) «حلية الأولياء» (١/٢٣٣).

وفاته (رضي الله عنه) :

لقد أراد معاذ (رضي الله عنه) الشهادة في سبيل الله، فاستأذن أبا بكر (رضي الله عنه) أن يخرج إلى الجهاد في بلاد الشام، فأذن له.

كان الطاعون قد انتشر في بلاد الشام، وقد عُرف بطاعون عمواس<sup>(١)</sup>، وتوفي بهذا الطاعون من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً، وقيل: ثلاثون ألفاً<sup>(٢)</sup>، ولما وقع الطاعون خطب الناس عمرو بن العاص (رضي الله عنه) فقال: هذا الطاعون رجز، ففروا منه في الأودية والشعاب، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة، فغضب، وجاء يجر ثوبه، ونعلاه في يده، فقال: صحبت رسول الله ﷺ، ولكنه رحمة بكم، ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم<sup>(٣)</sup>، فبلغ معاذاً فقال: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر، فهات ابتاه فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبد الرحمن، فقال لابنه لما سأله: كيف تجددك؟ قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢]، وطعن معاذ في كفه، فجعل يقلبها ويقول: هي أحب إلي من حمر النعم، فإذا سُري عنه قال: رب غمِّ غمِّك، فإنك تعلم أني أحبك<sup>(٤)</sup>.

ورأى رجلاً يبكي فقال: «ما يبكيك» قال: ما أبكي على دنيا كنت أصيبتها منك، ولكن أبكي على العلم الذي كنت أصيبه منك، قال: ولا تبكه، فإن إبراهيم

(١) عمواس: بلدة صغيرة بين القدس والرملة في فلسطين، أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها، فنسب إليها.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٩٥).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣١٢): «رواه أحمد والطبراني وأسانيد أحمد حسان».

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٥٨).

ﷺ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِهَا عِلْمٌ، فَأَتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، فَإِنْ أَنَا مِتُّ، فَاطْلُبِ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَعُوَيْمَرَ أَبِي الدَّرْدَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وقال معاذ (رضي الله عنه) في ليلة اليوم الذي توفي فيه: «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت، مرحباً زائر مُغِب، حبيب جاء على فاقه، اللهم إن كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»<sup>(٢)</sup>.

وتوفي معاذ في السنة الثامنة عشرة للهجرة عن عمر يناهز الثلاثين عاماً، قيل: ثمان وثلاثون، وقيل: ثلاث وأربعون<sup>(٣)</sup>، فرضي الله تعالى عن الصحابي الجليل - معاذ بن جبل - فلقد كان مقدام العلماء، ومطعم الكرماء، محكماً للعمل، تاركاً للجدل، قارئاً قانتاً، سمحاً سخياً.



(١) المرجع السابق.

(٢) «حلية الأولياء» (١/٢٣٩).

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/٤٦٠، ٤٦١).



## أسيد بن حضير

### كبير الشأن، ثابت الجنان

أسيد بن حضير صحابي كبير، من الأنصار، يكنى أبا يحيى وأبا حضير<sup>(١)</sup> وأبا عيسى<sup>(٢)</sup>، وكان في الجاهلية يعرف الكتابة باللغة العربية، ويجيد العوم والرمي، ومن كانت فيه هذه الخصال مجتمعة أطلقوا عليه لفظ الكامل<sup>(٣)</sup>.

والده فارس الفوارس في الجاهلية، كان يسمى حضير الكتائب، وهو رئيس قبيلة الأوس في يوم بعاث، وهي إحدى المعارك التي وقعت بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج. وكان على الأوس يومئذ حضير والد أسيد كما سبق، وكان على الخزرج عمر بن النعمان البياضي، فقتلا

(١) انظر «المستدرک» (٣/٣٢٥).

(٢) انظر: المقتنى في سرد الكنى» للذهبي (١/٣٣٦).

(٣) انظر «المستدرک» (٣/٣٠٠).

جميعاً، فقال خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتاب:

فلو كان حي ناجياً من حمامه      لكن حضير يوم أغلق واقماً  
أطاف به حتى إذا الليل جنَّه      تبوأ منه منزلاً متناغمًا<sup>(١)</sup>

كانت ولادته في المدينة النبوية، تلك المدينة الخالدة، التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، ومن فوق هضابها السمر، جيشت الجيوش، وهيئت الكتاب لنشر دين الله، وعرفت دروب المدينة أسيد بن حضير، ذلك الفتى الشجاع، الذي يمتطي سهوات الخيل، ويجب مكارم الأخلاق.

وحين قُتل والده في يوم بعثت توجته القبيلة رئيساً لها خلفاً عن والده، وتحمل تبعات الحياة، وعرك سياسة الأفراد مبكراً.

وكان صديق طفولته وشبابه ومستشاره في همومه الكبار، وتبعاته الجسام، سعد بن معاذ، فتى الفتیان، وفارس الشجعان في الجاهلية، وكان سعد وأسيد لا يفترقان في ظعن ولا إقامة، ولا يتباعدان إلا عندما يأوي كل منهما إلى فراشه، وكانت لهما جلستهما المفضلة تحت ظلال النخيل الذي يحيط ببئر «موق» خارج المدينة.

يجلسان كل يوم يتسامران، ويتشاكيان، ويديران شؤون الأوس، ويستعدان لجولة جديدة مع قبيلة الخزرج، يثاران فيها لحضير قتيل موقعة بعثت. وفي يوم من الأيام وهما يجلسان في مجلسهما هذا، جاء إليهما كعب بن الحرث، وأخذ يحدثهما عن رجل يدعى: مصعب بن عمير، جاء: من مكة، ونزل ضيفاً على أسعد بن زرارة، وهو يدعو إلى دين الإسلام، ويقول: إنه رسول من قبل النبي

(١) «معجم البلدان» (١/٤٥١).

ﷺ الذي ظهر بمكة.

وقال كعب: وقد سمعته البارحة يتفق مع أسعد بن زرارة ليحضرا عندكما اليوم ويعرضاً عليكما الدين الجديد.

وقال كذلك: وإنني لأعجب من جلوسكما فوق هذه الربوة وقد يكون الرجل يجلس في ناديكما الآن.

عندها قال سعد بن معاذ مستفسراً: دين جديد... أي دين هذا؟

قال كعب: إنه يزعم أن صاحبه بمكة يهبط عليه الوحي من السماء ويطلب بنيد عبادة الأصنام، ويدعو الناس إلى عبادة الواحد الأحد. ولم يطق سعد أن يسمع أكثر من ذلك فقال لأسيده: «انطلق يا أخي إلى هذين الرجلين اللذين قد يأتيان إلينا ليسفها ضعفاءنا، ويفرقا جمعنا، فازجرهما إن استطعت وانهما أن يأتيا دارينا».

ثم خفتت حدة صوته، ولانت كلماته، وتابع حديثه لأسيده قائلاً: والله لولا أن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدمة، وهو مني حيث قد علمت كفتيك هذا!! وأما أنا فسأذهب إلى نادينا لأكون على أهبة الاستعداد، لأحول بينهما وبين ما يريدان، إن فشلت جهودك في منعها من الحضور.

فأذعن أسيد لما قاله سعد، وتناول حربته وسار بحث الخطى إلى منزل أسعد ابن زرارة.

وفتح الباب له، وعندما رآه أسعد هش له لمقدمه، وسلم عليه، وقال لمصعب ابن عمير: هذا سيد قومه، قد جاءك فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

ولكن أسيداً ما جاء ليجلس، ولم يأت ليستمع، لقد جاء ليلقنه في نظره درساً

قاسياً يرجعه إلى بلده ، ويجعله لا يفكر في العودة مرة أخرى إلى تلك البلاد.  
وبدأ حديثه قاسياً غاضباً فقال: ما جاء بك إلينا لتسفه ضعفاءنا وتغير أحوالنا؟  
اعتزلنا إن كانت لك بنفسك حاجة».

فقال مصعب له: «أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف  
عنك ما تكره».  
وما لبث أسيد أن استوقفه عقله، وردته إلى صوابه الكلمات الصادقة التي  
نطق بها مصعب.

عندها قال أسيد لمصعب: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليه، فكلمه  
مصعب بالإسلام، وشرح له أصوله، وقرأ عليه شيئاً من القرآن. فما لبث أن  
أشرق وجهه، وانفجرت أساريه، وافتتح قلبه للهدى الجديد، وقال: ما أحسن  
هذا الكلام وأجمله، ماذا تصنعون إذا أردتم الدخول في هذا الدين؟

قال مصعب: تغتسل فتتطهر، ثم تشهد شهادة التوحيد وتصلي. فقام فاغتسل،  
وطهر ثوبه، وبدنه، ونطق أمام مصعب شهادة لا إله إلا الله، محمد رسول الله،  
وعلمه مصعب الصلاة، فقام فركع ركعتين<sup>(١)</sup>.

ومنذ اللحظات الأولى بعد إسلامه تحول إلى داعية للإسلام، ومبشر بهذا  
الدين الجديد، وأطلق لفرسه العنان، متجهاً إلى هناك حيث يجلس صديق طفولته  
ورفيق شبابه سعد بن معاذ.

وعندما رآه سعد رأى شخصاً جديداً غير أسيد الذي يعرفه من قبل، فبادره  
بقوله: أحلف بالله لقد جئتنا يا أسيد بغير الوجه الذي ذهبت به، ما وراءك؟  
ولكنه لم يمهل، بل حمله إلى هناك حيث سفير الرسول ﷺ فاستمع إليه كما

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (١/٥٦٠)، و«سيرة ابن هشام» (٢/٢٨٤).

استمع أسيد، ولقن الشهادة، واطمأن قلبه بالإسلام. ثم عادا إلى قومهما شخصين آخرين، وكأنهما عندما تحرك لسانها بهذه الكلمة؛ كلمة التوحيد تلاشت مرة واحدة كل وساوس الشرك، وكل تطلعات الجاهلية، وانسلخا من عرفها وطبائعها بالكامل، الأمر الذي جعل أسيد بن حضير يقف في نادي قومه قائلاً:

يا بني عبد الأشهل.. كيف تعلمون أمري فيكم..؟  
قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.  
قالوا: فوالله ما أمسى دار من بني عبد الأشهل إلا وفيه رجل مسلم أو امرأة مسلمة.

ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقاما عنده يدعون الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون<sup>(١)</sup>. وفي المدينة عاش أسيد شخصاً جديداً يتفقه في دينه، ويؤدي فرائض ربه، ويتفقد أحوال العشيرة، فإذا جنّ المساء تحولت داره إلى منتدى لدراسة الدين ومعرفة أصوله، وكان اليهود في المدينة يشككون في هذه المناقشات، ويحاولون بأساليبهم الملتوية أن يشككوا في الرسول ﷺ ورسالته.

ولما جاء البشير بقرب وصول الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن خرج من مكة مهاجراً إليها، فكان أسيد يخرج كل يوم على رأس قبيلته يترقب وصول رسول الله ﷺ إليها.

وما أن تراءى لعيونهم من قرب، ودلفت ناقته القصواء إلى داخل المدينة

(١) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (٣/١٠٩).

حتى أخذ أسيد بزمامها قائلاً: (هلم يا رسول الله إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة). فقال عليه الصلاة والسلام: «خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة»<sup>(١)</sup>، وتتابع طلبات الأنصار. كل يرجو أن ينزل عنده، ولكن رسول الله ﷺ كان يردهم رداً كريهاً مردداً كلمته: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

وأقام رسول الله ﷺ بناء مسجده، واشترك أسيد مع بقية الأنصار في عملية البناء.

وأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكان نصيب أسيد من هذه المؤاخاة زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه). وكانت موقعة بدر الكبرى التي نصر الله تعالى فيها المسلمين نصراً مؤزراً، فتخلف عنها أسيد بن حضير، وأكل الندم قلبه لما حدث، وأصيب بهمّ وغم شديدين لتخلفه عن أول موقعة خاضها المسلمون لرفع كلمة الله، وعاد الرسول ﷺ من بدر. وفي طريق عودته التقى به أسيد بن حضير فقال: الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك.

ثم تابع حديثه قائلاً: «والله يا رسول الله، ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً.. ولكن ظننت أنها العير، ولو كان علمي أنه عدو الله ما تخلفت». فصدق الرسول ﷺ ولم يعاتبه.. ثم إن أسيداً لم يتخلف بعدها عن موقعة من مواقع الرسول ﷺ.. وفي غزوة أحد جرح أسيد سبع جراحات<sup>(٣)</sup>، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس عنه، فصدق فيه قول الرسول ﷺ: «نعم

(١) الحديث تقدم تخريجه.

(٢) «الإصابة» (٤٩/١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٤٣).

الرجل أسيد بن حضير»<sup>(١)</sup>.

عاد (رضي الله عنه) عابداً، قانتاً، باذلاً روحه وماله في سبيل الله، وكان لدينه وخلقه موضع تكريم الصديق وحبه، وكانت له نفس المكانة والمنزلة في قلب أمير المؤمنين عمر، وفي أفئدة الصحابة جميعاً، وكان الاستماع لصوته وهو يرتل القرآن إحدى المغانم الكبرى التي يحرص الأصحاب عليها.

وظل أسيد شجاعاً في الحق. كريماً لا يبخل.. عطوفاً لا يقبل الظلم، واستمر على ذلك حتى وافاه أجله سنة عشرين، وتحت ثرى البقيع وارى الأصحاب الكرام رضي الله عنهم وعلى رأسهم عمر<sup>(٢)</sup> جثمان رجل مؤمن، قضى حياته عاملاً لدينه وربّه، مجاهداً في سبيله بالمال والنفس، فرضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧)، والحاكم (٢٨٩/٣) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) «الأحاديث المختارة» (٤/٢٦٤)، وانظر «مولد العلماء ووفياتهم» (١/١٠٩).



## بلال بن رباح

### المؤذن الأول

نحن الآن مع صاحب الصوت الجميل المؤثر في النفوس، بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ، كنيته مختلف فيها، قبل: أبو عبد الكريم، وقيل: أبو عبدالله، وقيل بلال بن حمّامة، وقيل: أبو عمرو<sup>(١)</sup>.

كان نحيفاً طويلاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف، به شمت كثير وكان لا يغير شيبه<sup>(٢)</sup>، وكان عمر (رضي الله عنه) كلما رأى أبا بكر وبلالاً يقول: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٠).

(٢) المرجع السابق (١/٣٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال، والحاكم (٣/٣٢٠) وصححه. وابن أبي شيبه في مصنفه (٦/٣٥٣)، والطبراني في معجمه الكبير (١/٣٣٨) وانظر «البداية والنهاية» (٧/١٠٢)، و«تاريخ عجائب الآثار» للجبرتي (١/٤٤٣)، و«الآحاد والمثاني» للشيباني (١/٢٠٢) و«حلية الأولياء» (١/١٤٧).

وكان بلال عبداً لبعض بني جمح مع أمه «حمامة» التي كانت إحدى الإماء أيضاً، كانت حياة بلال كغيره من الرقيق، ليس له شأن سوى الخدمة، وأداء أعمال العبيد، ثم أصبح عبداً لأمية بن خلف الجمحي<sup>(١)</sup>.

وبينما كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ينشط في الدعوة إلى الإسلام، ويدعو إليه أهل ثقته ومودته من الرجال الأحرار، مثل عثمان بن عفان، وطلحة ابن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، كانت دعوته أيضاً تشمل الأرقاء، فدعا بلال ابن رباح الذي توطدت بينهما أواصر الصداقة منذ فترة وهما في تجارة الشام، وسرعان ما استجاب بلال ونطق بالشهادة، فكان من الأوائل في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ولما نقل إلى سمع أمية بن خلف الجمحي أن عبده بلالاً قد أسلم وتبع محمداً ﷺ، اشتد غضب أمية وبدأت رحلة العذاب مع بلال، وراح أمية يذيقه من العذاب ألواناً، فكان يخرجها إذا حميت الظهرية فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد»<sup>(٣)</sup>.

واستمر أمية بن خلف في تعذيب بلال حتى مر به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يوماً وهو يصنع به ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته، فأنقذه مما ترى، فاشتراه أبو بكر بخمس أواق وأعتقه لله تعالى، وكان أبو بكر قد أعتق ست رقاب قبل بلال، وكان بلال سابعهم<sup>(٤)</sup>.

وها هو عمار بن ياسر يذكر بلالاً وأصحابه، وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق

(١) انظر: الإصابة (١/٣٢٦).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/٣٤٧).

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٢).

(٤) انظر «حلية الأولياء» (١/١٤٨).

أبي بكر إياه، وكان اسم أبي بكر عتيقاً، فيقول:

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل  
عشية همّما في بلال بسوأة ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل  
فإن يقتلوني يقتلونني فلم أكن لأشرك بالرحمن من خيفة القتل<sup>(١)</sup>  
بعد إعتاق أبي بكر بلالاً قابله أمية بن خلف فقال: خذه، فواللات والعزى،  
لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية واحدة لبعته بها، فيجيبه أبو بكر (رضي الله عنه):  
«لو أبيتتم إلا مائة أوقية لأخذته»<sup>(٢)</sup>، وكان أبو بكر قد اشتراه بخمس أواق ذهباً<sup>(٣)</sup>.

ولقد سر النبي ﷺ بتحرير بلال، واستبشر المسلمون أيضاً بحرية هذا السابق  
الأواب، والذي أصبح فيما بعد مؤذن الرسول الكريم ﷺ في السفر والحضر،  
وأول من أذن له في الإسلام<sup>(٤)</sup>.. وكان هو وابن أم مكتوم (رضي الله عنهما)  
يتناوبان الأذان، هذا تارة، وهذا تارة<sup>(٥)</sup>، ولم يكن يؤخر الأذان عن وقته كما يفعله  
بعض الناس اليوم<sup>(٦)</sup>.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وآخى بين المهاجرين والأنصار كان  
نصيب بلال من المؤاخاة أبا رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي، وآتت هذه

(١) «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/١١٩).

(٢) «حلية الأولياء» (١/٣٨)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٢، ٣٥٣) قال الذهبي:  
«إسناده قوي».

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٣).

(٤) انظر «البداية والنهاية» (٧/١٠٢).

(٥) «المرجع السابق» والطبقات الكبرى» (٣/٢٣٤).

(٦) «الطبقات الكبرى» (٣/٢٣٥).

الأخوة أكلها، وبقي بلال (رضي الله عنه) وفيأ لهذا الإخاء حتى نهاية حياته. جاء في طبقات ابن سعد: «فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً، قال عمر لبلال: إلى من تجعل ديونك يا بلال؟ قال مع أبي رويحة، لا أفارقه أبداً للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بيني وبينه، فُضِّمَ إليه، وُضِّمَ ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم<sup>(١)</sup>».

ولم يكن بلال (رضي الله عنه) يمتلك صوتاً عذباً ندياً فحسب، بل كان مجاهداً من أعظم المجاهدين، فقد شهد بدرأً وأحدأً وتميز (رضي الله عنه) بأنه كان حريصاً على العلم والأخذ من النبي ﷺ وقد شهد كلها مع رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، حيث روى عن النبي ﷺ أربعة وأربعين حديثاً، منها في «الصحيحين» أربعة، واحد متفق عليه، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديث موقوف<sup>(٣)</sup>.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يكرمون بلالاً إرضاءً لله تعالى ورسوله ﷺ، كما روى عائذ بن عمرو (رضي الله عنه) أن أبا سفيان مرَّ على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر (رضي الله عنه): أتقولون هذا للشيخ قريش وسيدهم؟ وأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ وإن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخواناه، أغضبتكم؟

قالوا: ما غضبنا، يغفر الله لك يا أخي<sup>(٤)</sup>. وكان الصحابة الكبار من أمثال عمر

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٢٣٤).

(٢) انتظر «البداية والنهاية» (٥/٣٣٣)، و «الإصابة» (١/٣٢٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٦٠).

(٤) رواه مسلم.

ابن الخطاب (رضي الله عنه) يقدرّون السابقة بالدخول في الإسلام لبلال وعمار وصهيب، فكان يأذن لهم بالدخول عليه قبل شيوخ قريش، وذلك لسبقهم في الإسلام ومكانتهم عند رسول الله ﷺ.

وتميز (رضي الله عنه) بأنه كان يعترف بنعمة الله تعالى عليه، ويشهد لذلك أنه خطب بلال (رضي الله عنه) وأخوه إلى قوم من خولان فقال: «وإنا قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

ولقد ظل (رضي الله عنه) قريباً من رسول الله ﷺ يقر عينه برؤية الرسول ﷺ طيلة حياته إلى أن توفي الرسول ﷺ والتحق بالرفيق الأعلى.

فأراد أن يخرج إلى الجهاد، فمنعه أبو بكر وقال: أنشدك بالله يا بلال! وحرمتي وحقّي فقد كبرت وضعفت واقترب أجلي، فأقام معه حتى توفي<sup>(٢)</sup>، وقرر بلال ﷺ أن يخرج إلى الجهاد في سبيل الله، فذهب إلى الفاروق (رضي الله عنه) يستأذنه بالخروج، فقال له: ألا تبقى يا بلال بجواري؟! فقال بلال: أحنُّ إلى الجهاد يا أمير المؤمنين، وأرى أن الجهاد من أفضل الأعمال، فقال له عمر: لك ما تريد يا بلال. وأذن له، فخرج إلى الشام، ولحق بجيش أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)، وظلَّ مجاهداً في سبيل الله<sup>(٣)</sup>.

وفي مرة من المرات يزور عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الشام أثناء خلافته، ويلتقي مع بلال، ويتوسل المسلمون إلى عمر أن يطلب من بلال ليؤذن لهم ولو

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٧).

بصلاة واحدة، ولما حان الوقت وجاء عمر أن يؤذّن لها، واستجاب بلال لطلبه، وصعد بلال، فأرهف سمع الناس، وانطلق صوته النديّ يسري كالنسيم، ويسمع الناس صوته للمرة الأولى بعد وفاة النبي ﷺ، ولم ير يوماً كان أكثر بكاءً من يومئذ، ذكراً منهم للنبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وفي السنة العشرين بعد الهجرة النبوية الشريفة، اجتاح الشام طاعون عمواس الذي قضى على حياة كثير من الناس<sup>(٢)</sup>، ومرض بلال حتى غارت عيناه، وتغيّر لونه، فلما دنا فراقه جعل يقول: «غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه». فقالت زوجته: واويلاه، فقال بلال وهو يحمل بين جوانحه الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه «وافرحاه»<sup>(٣)</sup>.

قلتُ: نسأل الله - تعالى - أن يحقق له أمله في لقاء محبيه في الجنة، فقد ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لبلال عند صلاة الصبح: «حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت الليلة خشخشة نعليك بين يدي في الجنة»، قال: ما عملتُ عملاً أرجى من أني لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليتُ لربي ما كتب لي أن أصلي»<sup>(٤)</sup>.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٧).

(٢) انظر «فتح الباري» (٧/٩٩).

(٣) المرجع السابق (١/٣٥٩).

(٤) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل الطهور، ومسلم في الفضائل، باب فضائل بلال.



## أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب

### شبيبة رسول الله ﷺ

نحن الآن مع أبي سفيان بن الحارث ابن عم النبي ﷺ المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي<sup>(١)</sup>.

كان أخا النبي ﷺ؛ أرضعتها حليلة<sup>(٢)</sup>. وكان واحداً من الذين يشبهون بالنبي ﷺ، وهم أربعة: أبو سفيان، وجعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وقثم ابن العباس<sup>(٣)</sup>.

وعندما جاء رسول الله ﷺ بالإسلام، ودخل عدد من قريش في الإسلام لم يكن أبو سفيان منهم، بل ظل على الشرك حتى شرح الله - تعالى - صدره للإسلام، وذلك أنه تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً، فانزعج

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٠٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

النبي ﷺ وأعرض عنه؛ لأنه بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ فتذلل للنبي ﷺ حتى رق له، ثم حسن إسلامه ولزم هو والعباس رسول الله ﷺ يوم حنين. إذ فر الناس، وأخذ بلجام البغلة وثبت معه كما سيأتي - وقد حدث عن إسلامه، فقال: «من أصحب، ومع من أكون، قد ضرب الإسلام بجرانه، فجننت زوجتي وولدي فقلت: تهيؤوا للخروج فقد أظلم قدوم محمد عليكم. قالوا: قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً ﷺ وأنت موضع في عداوته، وكنت أولى الناس بنصره، فقلت لغلامي: عجل علي بأبصرة وفرس، فسرنا حتى نزلنا الأبواء<sup>(١)</sup> وقد نزلت مقدمته الأيواء، فتنكرت وخفت أن أقتل، وكان قد هدر دمي، فخرجت واجداً بني جعفر على قدمي نحواً من ميل في الغداة التي صبح رسول الله ﷺ فيها الأبواء، فأقبل الناس رسلاً رسلاً<sup>(٢)</sup>، فتنحيت فرقاً من أصحابه، فلما طلع مركبه تصديت له تلقاء وجهه، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني مراراً، فأخذني ما قرب وما بعد وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه، وأتذكر بره ورحمته وقرابتي فيمسك ذلك مني، وقد كنت لا أشك أن رسول الله ﷺ وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً لقرابتي من رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فأسلمت وخرجت معه على هذا الحال حتى شهدت فتح مكة وحنيناً؛ فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صلتاً ولم يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إلي فقال العباس: يا رسول الله، هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث فارض عنه، قال: قد فعلت، فغفر الله له كل عداوة عادانيها<sup>(٣)</sup>.

(١) هو مكان بين مكة والمدينة.

(٢) أي فرقاً فرقاً.

(٣) أخرجه ابن سعد (٤/٥٠).

وقد رويت عنه أبيات في دفاعه عن دين الله تعالى، وعن رسول الله ﷺ يقول

فيها:

لقد علمت أفناء كعب و عامر  
بأني أخو الهيجاء أركب حدها  
رجاء ثواب الله والله واسع  
وقد روي أن أبا سفيان أنشد رسول الله ﷺ قوله في إسلامه أبياتاً جاء فيها:

لعمرك إني يوم أحمل راية  
لكالمدلج الحيران أظلم ليله  
هداني هاد غير نفسي ودلني  
أصد وأنأي جاهداً عن محمد  
أريد لأرضيهم ولست بلائط  
لتغلب خيل اللات خيل محمد  
فهذا أواني حين أهدى فأهتدي  
على الله من طردته كل مطرد  
وأدعى ولو لم أنتسب من محمد  
مع القوم ما لم أهد في كل مقعد<sup>(١)</sup>

وتمضي الأيام وأبو سفيان على ما هو عليه من الإخلاص لدين الله تعالى والولاء له ولرسوله ﷺ حتى جاء خبر وفاته ﷺ فتأثر أبو سفيان لذلك تأثراً عظيماً، وراثه بقوله:

أرقت فبات ليلي لا يزول  
وأسعدني البكاء وذاك فيهما  
فقد عظمت مصيبتنا وجلت  
فقدنا الوحي والتنزيل فينا  
وليل أخي المصيبة فيه طول  
أصيب المسلمون به قليل  
عشية قيل قد قبض الرسول  
يروح به ويغدو جبرئيل

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/٥٢).

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» (٢/١٥٦)، وانظر «الطبقات الكبرى» (٤/٥١) والبداية والنهاية (٤/٢٨٧).

وذلك أحق ما سألت عليه  
 نبي كان يجلو الشك عنا  
 ويهدينا فلا نخشى ضلالاً  
 فلم نر مثله في الناس حياً  
 أفاطم إن جزعت فذاك عذر  
 فعودي بالعزاء فإن فيه  
 وقولي في أبيك ولا تملي  
 فقبر أبيك سيد كل قبر

توفي أبو سفيان سنة عشرين من الهجرة، قيل في سبب ذلك أنه كان قد أدى  
 فريضة الحج، فحلقة الحلاق فقطع ثولولاً في رأسه فمرض منه، فمات<sup>(١)</sup> رضي الله  
 عنه وأرضاه.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٠٥)، وانظر «البداية والنهاية» (٥/٢٨٢).

(٢) المرجع السابق.



## خالد بن الوليد

### سيف الله المسلول

نحن الآن مع رجل من أعظم أبطال الإسلام.. صيّرته مدرسة الإسلام الجندي الأكمل في تاريخ الحروب، لم يعرف التاريخ جندياً أخلص منه لفكرته، ولا أقدم منه إلى غايته، ولا يعرف نفساً أظهر من نفسه، ولا سيفاً أمضى من سيفه، الجندي الذي مشى في كل واد، وصعد كل جبل، خاض البحار، وعبر الأنهار، وجاب الأرض كلها، حتى نصب للإسلام على كل رابية راية، وأبقى للإسلام في كل أرض وطناً لا تقوى على استلابه من أهله.

إنه أعظم قائد في التاريخ كله بشهادة نابليون، وششتراه، وشهادة سيرته وأخباره.. إنه خالد بن الوليد (سيف الله المسلول).

خالد الذي بدأ نبوغه العسكري من صغره، فكان قائد فرسان قريش، ولولا الإسلام لبقى نبوغه حبيس مكة، واسمه لقريش وحدها، ولكان منتهى أمره أن يكون فارس قبيلته، ولولا الإسلام لما خرج نبوغ خالد من بوادي الحجاز، ولما

قضى سيف خالد على كتائب فارس والروم، ولما نقش اسم خالد مع أسماء القواد الخالدين.

خاض خالد المعارك حياته كلها فيما أخطأه النصر، ولا أفلت منه بعدما ظن أنه أمسكه بيده إلا مرة واحدة، كان خصيمه فيها رجلاً لا يقاس به الرجال، وكان خصمه رجلاً لا يعاب أحد بالهزيمة أمامه، لأنه لا يستطيع أحد أن يجارب الله ورسوله.

أقام رسول الله ﷺ الرماة في أحد، على الجبل، وأمرهم ألا يزيلوه، فلما انهزمت قريش وولت، وأقبل المسلمون على الغنائم، وخالف الرماة، وظنوا أنه النصر الأكيد، رأى ذلك خالد، وكان قائد فرسان قريش، فانقض بمن معه، وهاجم المسلمين، وفوجئوا، وهربوا، ولكن رسول الله ﷺ وقف أمامه بقليل من الرجال المثخنين بالجراح، فلم يستطع خالد بعبقريته وفرسانه اختراق هذا السد من الأجساد المتعبة؛ لأن في هذه الأجساد إيماناً<sup>(١)</sup>.

إسلامه:

لقد خلا خالد إلى نفسه يوماً، وأدار خواطره الرشيدة على الدين الجديد الذي تزداد راياته كل يوم تألقاً وارتفاعاً. فالتمعت في فؤاده الذكي بشائر اليقين. فقال: والله لقد استقام المتمم.. وإن الرجل لرسول.. فحتى متى..؟ اذهب والله فأسلم.

وها هو يحدث عن مسيره المبارك إلى رسول الله ﷺ، وعن رحلته من مكة إلى المدينة ليأخذ مكانه في قافلة المؤمنين، قال: «... ووددت لو أجد من أصحاب، فلقيتُ عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعاً

(١) «رجال من التاريخ»، لعلي الطنطاوي (ص ٤٦، ٤٧).

فأدجننا سحرًا، فلما كنا بالهَلْ إِذَا عمرو بن العاص، فقال: مرحباً بالقوم، قلنا: وبك، قال: أين مسيركم؟ فأخبرناه أنا نريد النبي لنسلم، فأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ ولنسلم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمانٍ.

فلما اطلعت على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة فرد عليّ السلام بوجه طلق فأسلمت وشهدت شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير، وبايعتُ رسول الله ﷺ وقلت: استغفر لي عن كل ما أوضعتُ فيه من صد عن سبيل الله، فقال: إن الإسلام يجبُ ما كان قبله، قلت: يا رسول الله، على ذلك، فقال: اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك. فقال خالد: وتقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلما وبايعا رسول الله ﷺ، فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يجزيه»<sup>(١)</sup>.

وهكذا صار فارس قريش وصاحب أعنة الخيل فيها يعطي أصنام آبائه وأجداد قومه ظهره، ويستقبل مع رسول الله ﷺ والمسلمين عالماً جديداً، حيث كتب الله تعالى له أن ينهض تحت راية محمد ﷺ وكلمة التوحيد. لقد أسلم خالد إسلام اقتناع ويقين، ونقله الإسلام من أفق إلى أفق، ورفعته من جو إلى جو، حتى أشرف به على الدنيا كلها، فأراها هذه العبقريّة التي كانت حبيسة في بطن مكة لا تراها الدنيا.

كان من قبل يرى الظفر أن تنكل قبيلة من العرب بقبيلة من العرب ابتغاء

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/٢٥٢).

الغزو أو إظهاراً للشجاعة، أو طمعاً بغنيمة وكسب، فصار بعد الإسلام يرى الظفر في أن يدفع عن الحق أعداء الحق، ولو كانوا أشد قوة، وأعز نفراً، وكان أول امتحان له منذ أن دخل في الإسلام يوم مؤتة.

قال إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت: « لما كان يوم مؤتة وقتل الأمراء أخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح: يا آل الأبصار، فجعل الناس يثوبون إليه فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان.

قال خالد: لا أخذه، أنت أحق به، لك سن، وقد شهدت بدرأ، قال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك، وقال ثابت للناس: أصطلحتهم على خالد؟ قالوا: نعم.

فأخذ خالد اللواء فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتى تكرر المشركون، وحمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم، ثم دهم منهم بشر كثير، فانحاش بالمسلمين، فانكشفوا راجعين»<sup>(١)</sup>.

ولم تكن بعد ذلك معركة في تاريخ الجهاد الإسلامي إلا كان فيها خالد البطل المعلم، والقائد العبقري. ويوم نفخ الشيطان في آناف بعض الأعراب، فارتدوا بعد محمد ﷺ وأرادوا أن يزلزلوا بناء الإسلام، كان من نعم الله على خالد أن جعل على يديه تثبيت البناء، وأن يردَّ عنه أعداءه المخربين.

فلما استقر الأمر في الجزيرة، وثبت العرب على الإسلام، وكتب لهم شرف حمل النور الهادي الذي جاء به الرسول ﷺ إلى آفاق الأرض، ليضيئوا القلوب بالإيمان، والعقول بالعلم، والأرض بالعدالة والأمان، كان خالد في مقدمة

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/٢٥٣).

الأبطال الذين قادوا هذا الزحف المبارك. فمشى أولاً إلى العراق ليواجه الدولة الطاغية المتجبرة، دولة كسرى، فخاض فيها سلسلة من الوقائع المظفرة، كانت المعاول الأولى التي صدعت هذا الصرح العاتي.

ولما جاء أمر الخليفة بأن يذهب إلى الشام أتى بها لم يأت بمثله إلا نفر من عباقرة القواد في تاريخ الحروب في الدنيا، حين اقتحم البادية، بادية الشام، وانتقل خالد بعشرة آلاف من العراق إلى الشام، مخترباً الصحراء التي ليس فيها نقطة ماء إلا ما حمله على ظهور الإبل، وما ابتكره من حمل الماء في بطونها، وكان جنده يطيعونه، ويتبعونه راضين واثقين.

فلما وصل خالد رأى أمامه جيشاً كثيفاً من الروم، وجيشاً أكثف منه، يتجمع قريباً منه، وما شكا (رضي الله عنه) تعباً، ولا ابتغى راحة، ولا انتظر الأوامر من المدينة، بل حمل التبعة كاملة، وبادر إلى العمل، فجمع الفصائل الإسلامية وقادها، وعمد إلى الجيش الرومي الأدنى، فضربه في (أجنادين) ضربة، أذهبت روعه، وأطارت صوابه، ومزقته شر ممزق، ثم وثب إلى الجيش الآخر، في اليرموك<sup>(١)</sup>.

واليرموك هو اليوم الأغر في سيرة خالد، وهو من أيام الإسلام المعدودات. كان المسلمون لا يزيدون على خمسة وأربعين ألفاً، سلاحهم ضعيف، ومنزلهم بعيد، والميرة والمدد منقطعان عنهم إلا أن ينتظروا أياماً لا تنتظرها المعركة، والروم نحو مائتي ألف، قد احتلوا من اليرموك موقعاً حصيناً، ومعهم الذخائر والميرة، وهم في بلاد كانوا يحكمونها، ويملكون مواردها وخيراتها، وإن لم تكن بلاداً عربية من الأزل، وكانوا على تعبئة فنية، والمسلمون بشجاعتهم وقوة قلوبهم لا

(١) «رجال من التاريخ» (ص ٤٩).

يعرفون التعبئة، إنما يعرفون الهجوم؛ هجوم الأسود..

لم يكن خالد قد رأى تعبئة حربية من قبل، فلما رآها لم يستطر لبثه، ولم ينخلع قلبه، بل أحاط بها بنظرة، وتعلمها في لحظة، وعبأ الجيش المسلم تعبئة جيدة، وتلقى هذا الدرس من مرة واحدة، وأدى فيه الامتحان العاجل، وكان من الناجحين.

وطهرت هاتان المعركتان أرض الشام من الروم، وعادت بلداً مسلماً، وكانت إحدى حسنات خالد (١).

لقد كان خالد يحمل طاقة غير عادية.. وكان يستبد به توق عارم إلى هدم عالمه القديم.. أتى على اللات والعزى فقال:

يا عَزُّ كُفْرانِكِ لا سبْحانِكِ  
إني رأيتُ الله قد أهانِكِ (٢)

ثم يحرقها ويشعل النار في ترابها..! كانت كل مظاهر الشرك وبقاياها في نظر خالد كالعزى لا مكان لها في العالم الجديد الذي وقف خالد تحت أعلامه.. ولا يعرف أداة لتصفيتها إلا سبقه.

وإن روح هذا الفارس الكبير لتوجد دائماً وأبداً حيث تصهل الخيل، وتلتمع الأسنة، وتحقق رايات التوحيد فوق الجيوش المسلمة، ولذلك كان يقول: ما من ليلة يهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أحب إليّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبَح فيها العدو (٣). من أجل ذلك كان حزنه أن يموت على فراشه وهو الذي قضى حياته فوق ظهر جواده، وتحت بريق سيفه.

(١) «رجال من التاريخ» (ص ٥٠).

(٢) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٣٦٩).

(٣) المرجع السابق (١/٣٧٥).

هو الذي غزا مع رسول الله ﷺ، وقهر أصحاب الردة، وسوى بالتراب عرشي فارس والروم، وقطع الأرض وثبأ، في العراق خطوة خطوة، حتى فتحها للإسلام، وفي بلاد الشام خطوة خطوة، حتى فتحها كلها للإسلام.

نعم لقد كان حزنه العميق أن يموت على فراشه.. هنالك قال ودموعه تنثال من عينيه: « لَقِيْتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ سَيْفٍ، أَوْ رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهِيَ أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبْنَاءِ »<sup>(١)</sup>.

ولما مات خالد (رضي الله عنه) لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلामه، فقال عمر (رضي الله عنه): « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سَلِيْمَانَ، كَانَ عَلَى مَا ظَنَّنَاهُ بِهِ »<sup>(٢)</sup>.

وكان موته (رضي الله عنه) بحمص، وقيل بالمدينة، والأول أصح<sup>(٣)</sup>، سنة إحدى وعشرين.

رضي الله تعالى عن أبي سليمان وأرضاه، وجعل في شباب الإسلام اليوم من يجذو جذوه، ويسير مسيرته، إنه سميع مجيب<sup>(٤)</sup>.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سوف أعرض -ياذن الله تعالى- لعدد من الصحابة الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب بالتفصيل في كتاب «دروس في مناقب الصحابة».



## أَبِي بِن كَعْب

«لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»

(قطعة من حديث صحيح)

سأله رسول الله ﷺ ذات يوم عن أي آية في القرآن أعظم، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»<sup>(١)</sup>.

إن أبا المنذر الذي هنأه رسول الله ﷺ بها أنعم الله عليه من علم وفهم هو أبا بن كعب، الصحابي المشهور.

هو أنصاريٌّ من الخزرج، شهد العقبة، وبدرًا، وبقية المشاهد.. وبلغ في المسلمين الأوائل منزلة رفيعة، ومكاناً عالمياً، يدل لذلك أن أبا نضرة العبدي قال: قال

(١) أخرجه أحمد (١٤٢/٥)، ومسلم (٨١٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، والحاكم (٣٠٤/٣)، وصححه، ووافقه الذهبي. والمعنى: ليكن العلم هنيئاً لك.

رجل منا يقال له جابر أو حوبير: طلبتُ حاجة إلى عمر وإلى جنبه رجل أبيض الثياب والشعر، فقال: إن الدنيا فيها بلاغنا، وزادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نُجْزَى بها في الآخرة، فقلتُ: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيّد المرسلين أبيّ ابن كعب<sup>(١)</sup>.

كان في حفظه القرآن الكريم، وترتيله إياه، وفهمه آياته، من المتفوقين. قال له رسول الله ﷺ يوماً: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»، وفي لفظ: «أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ». قال: الله سَمَّاني لك؟ قال: «نعم». قال: وَذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قال: «نعم». فذرفت عيناه<sup>(٢)</sup>.

#### قصة إسلامه:

هذا الصحابي الجليل نشأ في رُبى المدينة، معتزلاً بالحياة والناس، باحثاً عن المدبّر لهذا الكون، ومن أجل هذه الغاية، تعلّم القرآن والكتابة، وعكف قبل بعثة النبي ﷺ على ما كان يقع في يده من وريقات التوراة التي كان يتداولها اليهود الذي كانوا يجاورونهم بالمدينة، ولكنها لم تشف غلته.. ولم تستطع أن تجيب على الأسئلة التي تنبت في مخيلته، وعاش حائراً يبحث عن الهدى.. وظامئاً يفكر في النبع، غريباً في مجتمع مغرق في أمر الحياة فلا يفكر لحظة في أمر السقاء، يُكنى أبا الطفيل<sup>(٣)</sup>. وكناه رسول الله ﷺ أبا المنذر كما تقدم.

إن الرجال العقلاء دائماً في صراع مع الدنيا ومع الناس، تجاههم دائماً أمور

(١) «سيرة أعلام النبلاء» (١/٣٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٣٠)، والبخاري (٤٩٥٩)، ومسلم (٧٩٩)، والترمذي (٣٧٩٥)،

وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤١١).

(٣) انظر «الإصابة» (١/٢٧).

لا تجد استجابة من داخلهم، ومن هنا يُصابون بالقلق، ويفرّون من المجتمعات، ويتحاشون عبث الحياة وهوها.

وكان أبيّ من هذا الطراز، أحسّ أن البشرية في فترة من الفترات قد ضلت طريقها، وألغت عقلها عندما اتّجهت بالولاء والتقدير إلى الشجر والحجر.. أياكون لهذا الجهاد من القدرة على النفع والضرر ما ليس للإنسان؟..

وفي ليلة من الليالي سمع حواراً من أحد المنازل المجاورة في الطريق إلى بيته، واستطاعت أذنه أن تلتقط بعض الكلمات. نعم لقد ظهر الرسول الكريم ﷺ في مكة، وأخذ يدعو قومها إلى نبذ الأصنام.

وإلى أي شخص يدعو يا سعد؟

يدعو إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

ولكن قومه حاربوه، ونكّلوا بأتباعه.

ثم ماذا يا أخي؟

جاء أحد أتباعه إلى ديارنا من أيام، ونزل معي في منزل أسعد بن زرارة، وأخذ يدعو إلى الدين الجديد.. ويُلقي على مسامعهم كلمات يقول إنها من الوحي الذي نزل على صاحبه.

لم يطق أبيّ بن كعب أن يسمع أكثر من ذلك، فأخذ يترق الباب بيده ليعرف حقيقة هذا الأمر. وفتح الباب، باب سعد بن الربيع، أحد رجالات الأنصار، ومن السابقين إلى الإسلام، الذي أخبره بمكان مصعب بن عمير، وأنهم يتجهزون بعد غدٍ في رحلة إلى مكة لمقابلة نبيّ الإسلام ﷺ، ويعرفوا منه الكثير عن هذا الدين الذي يدعو إليه<sup>(١)</sup>.

(١) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (٣/١٨٢).

وشهد أبي بيعة العقبة الأولى، والتقطت أذناه الكثير من آيات القرآن الكريم، ووعتها ذاكرته، وعندما عاد إلى المدينة كان بيته متتدي الباحثين عن الحق، المفتشين عن نور الإيمان، واستمر على ذلك حتى جاء رسول الله ﷺ وشارك أبي في بناء المسجد، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه).  
 وإذا كان أبي لا يفارق الرسول ﷺ في أيام السلم، ويتابعه في كل ما يأتي وما يدع، وتلتقط أذناه كل ما يتلفظ به، وإذا كان أبي يفعل ذلك أيترك رسول الله ﷺ والأسنة مشرعة، والحرب قائمة، وجيوش الكفر تريد أن تقضي على الدعوة الإسلامية وأصحابها؟ محال أن يكون ذلك. لقد خاض أبي بن كعب مع الصحابة الأبرار غزوة بدر التي فصل الله تعالى فيها بين الحق والباطل، وأنزل فيها ملائكته لتشد من أزر المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وطوال سنوات الصحبة وأبي بن كعب قريب من رسول الله ﷺ ينهل من معينه العذب المعطاء لم يتخلف عن معركة قط.. وبعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ظلَّ أبي على عهد الوثيق.. في عبادته، وقوة دينه، وخُلُقِه.. وكان دائماً نذيراً في قومه.. يذكرهم بأيام الرسول ﷺ، وما كانوا عليه من عهد، وسلوك، وزهد.

ومن كلماته الباهرة التي كان يهتف بها في أصحابه: «لقد كنا مع رسول الله

(١) هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدرين. شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة، مات سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقبر بالمدينة (رضي الله عنه)، «السير» (١/١٢٤، ١٢٧).

(٢) انظر «الإصابة» (١/٢٧).

ﷺ ووجوهنا واحد.. فلما فارقنا، اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً»<sup>(١)</sup>.

ولقد ظلّ مستمسكاً بالتقوى، معتصماً بالزهد. فلم تستطع الدنيا أن تفتنه أو تخدعه<sup>(٢)</sup>.

وكان على كثرة ورعه وتقاه يبكي كلما ذكر الله تعالى واليوم الآخر.. وفي مسجد الرسول ﷺ كان أبي يجلس للوعظ، يبشّر ويخوّف، ويقدم للمسلمين ما وعته ذاكرته من قول أو فعل أو تقرير.

قال قيس بن عبادة: قدمت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ، فلم يكن فيهم أحد أحبّ إليّ لقاء من أبيّ بن كعب، فقامت في الصف الأول فخرج، فلما صلّى حدّث، فما رأيت الرجال تطاولت أعناقهم إلى شيء كما فعلت مع أبيّ بن كعب، فسمعتة يقول: «هلك أهل العقد ورب الكعبة. قالها ثلاثاً، هلكوا وأهلكوا، أما إني لا آسى عليهم، ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين»<sup>(٣)</sup>. قال ذلك حين اتسعت بلاد الإسلام، ورأى المسلمين يجاملون وولاتهم في غير حق، فأرسل تلك الكلمات المنذرة.

وعن أبي العالية قال: قال رجل لأبيّ بن كعب: أوصني، قال: «اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) «حلية الأولياء» (١/٢٥٤).

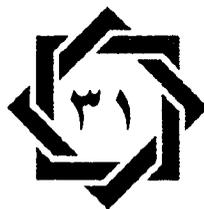
(٣) «حلية الأولياء» (١/٢٥٢).

(٤) «حلية الأولياء» (١/٢٥٣). و «سير أعلام النبلاء» (١/٣٩٢).

وظلَّ أبايَ (رضي الله عنه) يسأل الله تعالى العافية دوماً، فأدركها، فضلاً من الله ونعمة، حتى لقي ربه مؤمناً، آمناً، مثاباً، وكان في ذلك في خلافة عثمان (رضي الله عنه) سنة ثلاثين، وهو أثبت الأقاويل<sup>(١)</sup>.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٠٢).



## حاطب بن أبي بلتعة

### سفير رسول الله ﷺ إلى المقوقس

حاطب بن أبي بلتعة اللخمي المكي أحد السابقين إلى الإسلام، ومن مشاهير المهاجرين، شهد بدرًا والمشاهد، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر كما سيأتي إن شاء الله - تعالى -.

كان تاجراً في الطعام، له عبيد، وكان من الرماة الموصوفين<sup>(١)</sup>.

وقد وصف بأنه كان حسن الجسم، خفيف اللحية يميل إلى القصر وما هو بالقصير، غليظ الأصابع، في كاهله أنحاء على صدره<sup>(٢)</sup>.

ولما بدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة، تجهز حاطب بن أبي بلتعة وانطلق مهاجراً مع مولاه سعد بن خولي، ونزلا على المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٣).

(٢) المرجع السابق.

ابن الجلاح<sup>(١)</sup>، ولما تمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كان نصيب حاطب من هذه المؤاخاة عويم بن ساعدة الأنصاري<sup>(٢)</sup>.

وفي غزوة بدر كان حاطب أحد المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم للدفاع عن الإسلام، وقد ذكر عنه أنه لقي فارساً من فرسان المشركين وهو الحارث بن عائد ابن أسد واقتاده أسيراً إلى المسلمين، ليصبح في عداد الأسرى السبعين الذين وقعوا بأيدي المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وفي غزوة أحد خرج حاطب مع مولاه سعد لقتال المشركين، فاستشهد سعد<sup>(٤)</sup> وأما حاطب فثبت يدافع عن الإسلام ورسول الإسلام وتبع عتبة بن أبي وقاص الذي كسر رباعية الرسول ﷺ، فضربه بسيفه فأرداه قتيلاً<sup>(٥)</sup>.

لما كان من شأن النبي ﷺ مراسلة الملوك والرؤساء يدعوهم في ذلك إلى الإسلام فقد حظي حاطب بحمل إحدى الرسائل، وكانت رسالته إلى المقوقس في مصر.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/١١٤).

(٢) «الإصابة» (٤/٧٤٥) وعويم بن ساعدة الأنصاري: صحابي جليل، أسلم قديماً، وشهد العقبتين وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على الصحيح وهو ابن خمس وستين سنة.

(٣) انظر «نصب الراية» للزبيعي (٣/٤٠٣).

(٤) انظر «الإصابة» (٣/٥٤).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک (٣/٣٤٠) وقال ابن حجر في الإصابة (٥/٢٥٩) وفي إسناده مجاهيل.

وجاء في تلك الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاء الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط. (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون)<sup>(١)</sup>. ثم ضمّ رسول الله ﷺ الكتاب، وقال: «أيها الناس، أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله؟»<sup>(٢)</sup> فقام إليه حاطب وقال: أنا يا رسول الله.

قال حاطب: «بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله ﷺ: «فأنزلني في منزله، وأقامت عنده ليالي، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقه. فقال: إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني، قال: قلت: هلم.

قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبياً؟

قلت: بلى هو رسول الله ﷺ.

قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى

غيرها.

فقلت له: فعيسى ابن مريم أتشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا صلبه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه في سماء الدنيا.

قال: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم، هذه هدايا أبعث بها معك إلى

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) السيرة الحلبية (٣/ ٢٩٥).

محمد، وأرسل معك من يبلغك إلى مأمئك، قال: «فأهدى لرسول الله ﷺ ثلاث جوار منهم أم إبراهيم ابن رسول الله، وأخرى وهبها لأبي جهم بن حذيفة العدوي، وأخرى وهبها لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بثياب مع طرف من طرفهم»<sup>(١)</sup>.

### درس في العفو:

لما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة كان لحاطب قرابة في مكة، ولم يكن له فيهم نسب، فأراد أن يحمده قرابته مقابل أن يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، وإليك نص هذه القصة كما جاءت في صحيح الإمام البخاري رحمه الله، قال: «حدثنا قتيبة بن سعد، حدثنا سفیان بن عمرو بن دينار قال: أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يقول: سمعت علياً (رضي الله عنه) يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ<sup>(٢)</sup> فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة<sup>(٣)</sup>، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها<sup>(٤)</sup> فأتينا رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين -

(١) «الاستيعاب» (٣١٥/١) وانظر «الطبقات الكبرى» (٢٩٠/١) و«تاريخ خليفة بن خياط» (٩/١).

والطرف: الكريم من الخيل. (مختار الصحاح، للرازي، ص ٣٩٠).

(٢) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة على اثني عشر ميلاً من المدينة.

(٣) الظعينة: المرأة في الهودج.

(٤) بكسر العين: أي شعرها المصفور، وهو جمع عقيصة.

يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرأةً ملصقةً في قريش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١]<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى هذه العظمة والحكمة والرحمة والعفو في تعامل النبي ﷺ فإن النبي ﷺ لما علم أن لحاطب عذراً فيما فعل عذره في ذلك، وصدقه فيما قال، وكذلك كان (رضي الله عنه).

(١) قال ابن حجر: (وذكر بعض أهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن سلام أن لفظ الكتاب: «أما بعد: يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم، والسلام») (فتح الباري (٧/٥٢١)).

(٢) الحديث رواه البخاري (٧/٥١٩) مع الفتح برقم (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

وقد قام حاطب (رضي الله عنه)، مرة أخرى بدور الرسول إلى المقوقس ملك مصر ولكن في عهد الصديق (رضي الله عنه) حيث وقع اختياره على حاطب ليكون سفيره إلى المقوقس، قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): «وبعث أبو بكر الصديق حاطب بن أبي بلتعة أيضاً إلى المقوقس بمصر فصالحهم فلم يزالوا كذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فنقض الصلح وقتلهم وافتتح مصر، وذلك سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب»<sup>(١)</sup>.

وتابع حاطب بعد ذلك رحلة الجهاد والدعوة حتى توفي سنة ثلاثين<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه وأرضاه).



(١) «الاستيعاب» (١/٣١٤).

(٢) انظر «الإصابة» (٢/٥).



## العباس بن عبد المطلب

### ساقى الحرمين

إنه عم الرسول ﷺ، ومن أقرب الناس إلى قلبه ومن أحبهم إلى نفسه، ولذا كان يقول عليه الصلاة والسلام: «ما بال رجال يؤذونني في العباس، وإن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذاني»<sup>(١)</sup>.

وفي الجاهلية: كانت له عمارة المسجد والسقاية<sup>(٢)</sup>.

وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث سنين<sup>(٣)</sup>. أمه نتيلة بنت خباب بن كليب. أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج، وذلك أن العباس ضل وهو صبي، فنذرت إن وجدته كست البيت الحرام الحرير والديباج، فوجدته ففعلت

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر أخبار مكة للفاكهي (٢/٨٤)، و «الإصابة» (٣/٦٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/٧٩).

ما نذرت<sup>(١)</sup>. وزوجته أم الفضل، والفضل أكبر أولاده<sup>(٢)</sup>.

واختلف في إسلامه، فقال بعضهم: أسلم قبل فتح خيبر.

وقيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكنم إسلامه، وخرج مع قومه إلى بدر فأسر يومئذ، فادعى أنه مسلم<sup>(٣)</sup>، فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، فكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، فكان يكتم إسلامه<sup>(٤)</sup>».

وكان للعباس (رضي الله عنه) دور لا ينكر في بيعة العقبة، وكان أول المتكلمين، فقال: «يا معشر الخزرج، قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه، وهو من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله من كان منا على قوله ومن لم يكن، وقد أبى محمداً الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أقل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم، واثمروا أمركم، فإن أحسن الحديث أصدقه. فأسكتوا، وتكلم عبدالله بن عمرو بن حرام فقال: نحن أهل الحرب، ورثناها كابراً عن كابر. نرمي بالنبل حتى تفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر، ثم نمشي بالسيوف حتى يموت الأعدل منا.

قال: أنتم أصحاب حرب، هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم، شاملة. وقال البراء

ابن معرور: قد سمعنا ما قلت: إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما تقول لقلنا، ولكننا

(١) «الإصابة» (٢/٢٧١).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (١/٣٣٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/٧٨).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٤/١٠).

نريد الوفاء، والصدق، وبذل المهج دون رسول الله ﷺ، فبايعهم النبي ﷺ والعباس أخذ بيده يؤكد له البيعة»<sup>(١)</sup>.

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بقي العباس في مكة يتنسم أخبار الرسول ﷺ والمهاجرين، ويرسل لهم بأخبار قريش حتى كانت غزوة بدر، حيث خرج العباس مع قريش مستكرهاً، فأسر، وكان الذي أسره أبا اليسر، فقال له النبي ﷺ: «كيف أسرته؟». قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا، قال: «لقد أعانك عليه ملك كريم»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال للعباس: «افد نفسك وابن أخيك عقيلاً، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن جحدم»، فأبى وقال: إني كنت مسلماً قبل ذلك، وإنما استكرهوني، قال: «الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقاً، فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك».

وكان رسول الله ﷺ قد عرف أن العباس أخذ معه عشرين أوقية ذهباً، فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي من فدائي، قال: «لا، ذاك شيء أعطانا الله منك»، قال: فإنه ليس لي مال! قال: «فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل، وليس معكما أحد غيركما؟»، فقال العباس: إن أصبت في سفري فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبدالله كذا، قال: فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/٢).

(٢) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨١/٢) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات (١٣/٤، ١٤) وانظر سير أعلام النبلاء (٨٢/٢).

وعندما توفي رسول الله ﷺ كان العباس أشد الناس حزناً على فراق النبي

ﷺ.

عاش العباس في كنف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عزيزاً كريماً. ثم جاء عمر (رضي الله عنه)، وكان طريق عمر إلى المسجد ماراً بدار العباس بن عبد المطلب، وكان للدار ميزاب، وفي يوم من أيام الجمع لبس عمر ثيابه واتجه إلى المسجد، فلما وافى الميزاب صب فيه ماء فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها، وجاء فصلى بالناس، فأناه العباس فقال: « والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ». فقال عمر للعباس: « فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ »، ففعل ذلك العباس<sup>(١)</sup>.

وفي عهد عمر (رضي الله عنه) أجذبت الأرض إجداباً شديداً، فهرع الناس إلى عمر يشكون ما هم فيه من جوع ومسغبة، ويدعو عمر إلى البذل والإنفاق ويرسل إلى الولاة يطلب منهم المدد، ومشى إلى العباس وشكا إليه ما فيه الناس من القحط، ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: « اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ».

ثم تقدم العباس، فقال - بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: « اللهم إن عندك سحاباً وعندك ماء، فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الأصل وأطل به الفرع، وأدر به الضرع، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب، ولم تكشفه إلا بتوبة، وقد توجه القوم إليك، فاسقنا الغيث، اللهم شفّعنا في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا

(١) « الطبقات الكبرى » (٤/ ٢٠).

شفعنا بما لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا، اللهم اسقنا سقياً وادعاً نافعاً طبقاً سحاً  
عاماً، اللهم إنا لا نرجو إلا إياك، ولا ندعو غيرك ولا نرغب إلا إليك، اللهم  
إليك نشكو جوع كل جائع، وعري كل عار، وخوف كل خائف، وضعف كل  
ضعيف»<sup>(١)</sup>.

واستجاب الله تعالى له، فأرخت السماء غزاليها<sup>(٢)</sup>، فجاءت بأمثال الجبال  
حتى استوت الحفر بالأكام، وأخصبت الأرض، وعاش الناس.  
وقال حسان بن ثابت (رضي الله عنه).

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس  
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذلك دون الناس  
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناد بعد الياس<sup>(٣)</sup>

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر  
توجه بالعباس في الجذب راغباً إليه فما إن رام حتى أتى المطر  
ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر<sup>(٤)</sup>

وإننا عندما تلقى نظرة سريعة حول جهاد العباس (رضي الله عنه) مع رسول  
الله ﷺ نجد أننا أمام نوع من البطولات التي تملأ الزمان والمكان حينها تدعو  
الحاجة إليه، ويهيب الموقف بها، بينما هي في غير ذلك الظرف الملح، مستكنة تحت

(١) «الاستيعاب» (٣/٩٨).

(٢) كناية عن المطر الكثير.

(٣) «الاستيعاب» (٣/٩٨-٩٩).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/٩٤).

الأضلاع، متوارية عن الأضواء.. ففي السنة الثامنة من الهجرة اجتمعت قبائل هوازن وثقيف ونصر وجشم وآخرون، وقرروا شنَّ حرب حاسمة ضد الرسول ﷺ والمسلمين.

احتشدت تلك القبائل في صفوف لجة من المقاتلين الأشداء.. وخرج إليهم المسلمون في اثني عشر ألفاً، ولكنهم ضعفوا أمام كثرتهم ونظامهم وانتصارهم الكبير في مكة، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة. عندئذ نال المسلمون في أول المعركة هزيمة صياغته، حتى إذا ضرعوا إلى الله، وبرثوا من حولهم إلى حوله، ومن قوتهم إلى قوته انقلبت الهزيمة نصراً.

لقد كان صوت العباس يومئذ وثباته من ألمع مظاهر السكينة والاستبسال. فبينما كان المسلمون متجمعين في أحد أودية تهامة ينتظرون مجيء عدوهم، كان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي ومكنوا لهم في شعابه، شاحذين أسلحتهم ممسكين زمام المبادرة بأيديهم.. وعلى حين غفلة انقضوا على المسلمين في مفاجأة مذهلة. جعلتهم يهرعون بعيداً، لا يلوي أحد على أحد.

لم يكن حول النبي ﷺ سوى أبي بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وولده الفضل بن العباس، وجعفر بن الحارث، وربيع بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد، وقلة أخرى من الأصحاب.. وهناك كان العباس إلى جوار الرسول ﷺ أخذاً بخطام بغلته، وأمره النبي ﷺ أن يصرخ في الناس، وكان جسيماً، جهوري الصوت، فراح ينادي، يا معشر الأنصار.. يا أصحاب البيعة.. وما كاد يقرع أسمع المرتاعين من هول المفاجأة، المشتتين في جنبات الوادي حتى أجابوا في صوت واحد: لبيك.. لبيك (")..

وانقلبوا راجعين كالإعصار وكل واحد منهم يحمل درعه وسيفه وقوسه ميمماً صوب صوت العباس.. ودارت المعركة من جديد ضارية عاتية.. وحيي الوطيس.. «وتدحرج قتلى هوازن وثقيف، وغلبت خيل الله خيل اللات.. وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

لقد عاش العباس (رضي الله عنه) ما عاش وهو موضع الإجلال والإكبار من المسلمين وحكامهم، ولذلك كان لا يمر بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلوا حتى يجوز العباس إجلالاً له، ويقولان: عم النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وبعد: فإن لكل بداية نهاية، ولكل أجل كتاب.. حيث جاء يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين<sup>(٣)</sup>، فسمع أهل العوالي منادياً ينادي: «رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب». فأدركوا أن العباس قد مات.. وخرج الناس لتشيعه في أعداد هائلة لم تعهد المدينة مثلها، وصلى عليه خليفة المسلمين يومئذ عثمان (رضي الله عنه)، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة<sup>(٤)</sup>.

(رضي الله عنه وأرضاه).

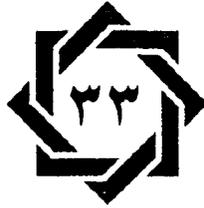


(١) «رجال حول الرسول» خالد محمد خالد (ص ٤٢١).

(٢) «الاستيعاب» (٣/٩٧).

(٣) «الإصابة» (٣/٦٣١).

(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/٩٧-١٠٠).



## عبد الله بن مسعود

### عميد حملة القرآن وكبير فقهاء الإسلام

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن.. أحد السابقين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرأً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه<sup>(١)</sup>.

حدّث عن إسلامه فقال: (كنت غلاماً يافعاً، أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من المشركين، فقالا: «يا غلام، هل عندك من لبن تسقيناً؟» قلت: إني مؤتمن، ولست ساقيكما. فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟»، قلت: نعم، فأتيته بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا، فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعة، فاحتلب فيها فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربت، ثم قال للضرع، «اقلص» فقلص، فأتيته بعد

(١) انظر «الإصابة» (٤/٢٣٣).

ذلك فقلت: «عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ!» فقال: إنك غلام وفي بعض الروايات «عَلِّمَ» «مَعْلَمٌ». قال: «فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يَنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ»<sup>(١)</sup>. وهكذا كان مفتاح إسلامه كلمتين عظيمتين: الأولى قالها في نفسه: «إِنِّي مُؤْتَمَنٌ»، والثانية كانت من الصادق المصدوق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «إِنَّكَ غُلَامٌ مَعْلَمٌ»، وكان لهاتين الكلمتين دور عظيم في حياته، وقد أصبح من أعيان علماء الصحابة. والعلم يقتضي أمانة في التبليغ، وتحرراً في الفتيا، فكانت إحداهما متممة للأخرى، حتى أصبح ابن مسعود ذلك الرجل الذي يُشار إليه بالبنان، وتُضرب إليه أكباد الإبل طلباً لعلمه.

ودخل عبدالله في ركب الإيمان الآخذ بالاطراد، وهو يمخر عباب بحار الشرك في قلعة الأصنام، فكان واحداً من أولئك السابقين الأولين. وبالرغم من أن ابن مسعود كان حليفاً وليس له عشيرة تحميه، ومع أنه كان ضئيل الجسم دقيق الساقين، فإن ذلك لم يُحِلْ دون ظهور شجاعته وقوة نفسه (رضي الله عنه)، وله مواقف رائعة في ذلك، منها ذلك المشهد المثير في مكة، وإبان بدء الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملتهم وجهر بالقرآن، ففرع به أسماهم المقفلة وقلوبهم المغلقة<sup>(٢)</sup>.

عن عروة بن الزبير قال: (كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: والله ما سمعت

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/١٢٥)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٥٠-١٥١)، و«أسد الغابة» (٣/٣٨٥). قال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال المحقق الشيخ الأرناؤوط بل هو حسن.. انظر «سير أعلام النبلاء» (١/٤٦٥).

(٢) «عبدالله بن مسعود» عبد الستار الشيخ.

قريش هذا القرآن يُجهر به قط، فمن رجل يُسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أُنديتها فقال رافعاً صوته: (بسم الله الرحمن الرحيم علّم القرآن) فاستقبلها فقراً بها، فتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك! فقال: ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتمهم ما يكرهون<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفه التي أثنى عليه فيها رسول الله ﷺ أنه أمره فصعد شجرة وأمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحاب رسول الله ﷺ إلى ساقه حين صعد فضحكوا من هموسة ساقه، فقال النبي ﷺ: «مِمَّ تضحكون؟! لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد»<sup>(٢)</sup>.

وقد أثنى رسول الله ﷺ على قراءة ابن مسعود فقال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا نَزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «أسد الغابة» (٣/٢٨١، ٢٨٢).

(٢) «مسند أحمد» (١/٤٢١)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٥٥)، و «المستدرک» للحاكم (٣/٣١٧) و صححه، و وافقه الذهبي، وأخرجه كذلك أبو يعلى والطبراني: قال في «المجمع» (٩/٢٨٨): «ورجاله رجال الصحيح غير أم موسى، وهي ثقة».

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/٣٤٢). وفي «المجمع» (٩/٢٨٨): «رواه أحمد والبخاري والطبراني، وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال =

وكان له مكانة كبرى في مجال التفسير حيث أخبر عن مكانته في تفسير القرآن ليدلّ الناس على من يأخذون عنه دينهم، قال (رضي الله عنه): (والذي لا إله غيره، ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه) (١).

وعنه (رضي الله عنه) قال: (كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن) (٢).

وقد اجتمع لابن مسعود (رضي الله عنه) من الصفات العظيمة والخصال الفريدة، ما لا يجتمع إلا في القليل من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وحاز قصب السبق في ميادين عديدة، ومجالات واسعة كبيرة، حتى لقد أخذ من كل بحظ وافر، وجمع في كل علم قدراً لا يصل إليه إلا ذوو الهمم العالية، فكان مما تهباً له: الصحبة الطويلة لرسول الله ﷺ، والتي كانت منبع علومه، وأم معارفه، ومداد تحصيله، لذا وجدناه مبرزاً في قراء الصحابة، مبدعاً في مفسريهم، مكثراً بين محدّثيهم، متفرداً بين معلميهم، نادراً بين فقهاءهم.

وإن الذي اجتمع له القرآن وعلومه، وانضمت له السنة النبوية شارحة الكتاب

= أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير فرات بن محبوب، وهو ثقة، وقال الهيثمي في موضع آخر (٢٨٧/٩) رواه أبو يعلى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير قيس بن مروان وهو ثقة. وانظر «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣٩/٦)، ومسند البزار (٦٦/١)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/١).

(١) رواه مسلم، برقم (٢٤٦٣)، كتاب فضائل الصحابة.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/١).

العزیز، لا بد أن يكون من وراء ذلك فقیهاً كبيراً، وعلماً نحریراً و فقیهاً مسدّد الخطی<sup>(١)</sup>.

ولم یکن ابن مسعود بالذی یجمع القرآن لمجرد الحفظ، ولا یحفظ الحدیث اكتفاءً بالنقل، کیف وهو الذی روى عن رسول الله ﷺ: «فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(٢)</sup>، مما حثّه على أن یكون مبلغاً أوعى من المبلّغین، وسامعاً غیر مكثف بالنقل لغير الحاضرین.

ولقد شهد له بهذا أكابر الصحابة، وسادات التابعین، ومؤرخو الإسلام الكبار، وفی هذا یقول مسروق بن الأجدع: (كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ عمر، وعليّ، وابن مسعود، وزید، وأبى بن كعب، وأبو موسى الأشعری)<sup>(٣)</sup>. وهذا عامر الشعبي یقول: (كان علماء هذه الأمة بعد نبیها ﷺ ستة: عمر، وعبدالله، وزید بن ثابت، فإذا قال عمر قولاً، وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً. وعليّ، وأبى بن كعب، وأبو موسى الأشعری، فإذا قال عليّ قولاً، وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً)<sup>(٤)</sup>.

(١) «عبدالله بن مسعود» مرجع سابق.

(٢) أخرجه عن ابن مسعود ابن حبان فی صحیحته (٢٦٨/١) و (٢٧١/١)، والترمذی (٣٤/٥) وقال هذا حدیث حسن صحیح، والبخاری فی مسنده (٣٨٢/٥)، والشاشی فی مسنده (٣١٠/١)، والطبرانی فی معجمه الأوسط (٧٨/٢)، والبيهقي في «شعب الإیمان» (٢٧٤/٢) وغيرهم.

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٣٢/١)، و «سیر أعلام النبلاء» (٤٣٣/٢)، و «الطبقات الكبرى» (٣٥١/٢).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٣٥١/٢).

وكان (رضي الله عنه) إذا أفتى الناس وحكَّت الفتوى في صدره. يسأل غيره من الصحابة، فيبقى على رأيه إن وافقوه، وينزع عنه إن خالفوه بدليل شرعي كما روى الأسود وعلقمة قالا: (جاء رجل إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) وقال: كان بيني وبين امرأتي بعض ما يكون بين الناس، فقالت: لو أن الذي بيدك من أمري بيدي لعلمت كيف أصنع!! قال: فقلتُ: إن الذي بيدي من أمرك بيدك، قالت: فإني قد طلقتك ثلاثاً! قال عبدالله: أراها واحدة، وأنت أحق بها، وسألني أمير المؤمنين فأسأله عن ذلك: قال: فلقية فسأله، فقصص عليه القصة، فقال عمر: فعل الله بالرجال، يعمدون إلى ما جعل الله بأيديهم فيجعلونه في أيدي النساء!! ففيها التراب، ففيها التراب!! فما قلت؟ قال: قلتُ: أراها واحدة، وهو أحق بها، قال: وأنا أرى ذلك، ولو قلت غير ذلك لرأيت أنك لم تُصب)<sup>(١)</sup>.

اقتداؤه بالنبي ﷺ وطاعته له:

كان ابن مسعود يقفو أثر رسول الله ﷺ في عبادته، ويلتزم بها في سره وجهره، في بيته وأمام الناس.

روى عبدالله بن سخيرة قال: «غدوتُ مع عبدالله بن مسعود من منى إلى عرفات، فكان يلبي، قال: وكان عبدالله رجلاً آدم، له ضفران، عليه مسحة أهل البادية، فاجتمع عليه غوغاء من غوغاء الناس فقالوا: يا أعرابي، إن هذا ليس يوم تلبية، إنما هو يوم تكبير! قال: فعند ذلك التفت إلي فقال: أجهل الناس أم نسوا؟! والذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد خرجت مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٤٧/٧)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥٢٠/٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٢/٩)، وانظر «بداية المجتهد» لابن رشد (٥٤/٢).

رمى جمرة العقبة، إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: «رأيت ابن مسعود رمى الجمرة - جمرة العقبة - من بطن الوادي ثم قال: هذا - والذي لا إله غيره - مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة»<sup>(٢)</sup>.

وقد طمحت نفس عبدالله إلى أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل شيء، حتى في ضحكته، عن أنس عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسعفه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي رب، أدني من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتها سألني غيرها؟! فيقول: لا يا رب، ويعاهده ألا يسأله غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب، أدني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟، لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب

(١) أخرجه أحمد (٤١٧/١) والحاكم في مستدرکه (٦٣٢/١) وصححه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٨/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨/٣)، وانظر «فتح الباري» (٥٣٣/٣) و «شرح الزرقاني» (٤٨٥/٢)، و «المحلى» لابن حزم (١٣٧/٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٤/١) والنسائي في السنن الكبرى (٤٣٩/٢) وأبو يعلى في مسنده (٣٨٦/٨) والطبراني في معجمه الكبير (٢٠٦/١٠).

الجنة هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب، أدني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب، أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك؟! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قدير»<sup>(١)</sup>.

#### من أقواله ووصاياهم:

الحق الذي لا مرية فيه أن كلمات ابن مسعود ﷺ ونصائحه كانت انعكاساً لما يعتمل في قلبه وتنطوي عليه نفسه، وهذه درر من كلماته الجامعات:

يقول عن حملة القرآن: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بلبه إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً عليماً، سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً ولا صخباً، ولا صياحاً ولا حديداً»<sup>(٢)</sup>.

وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال: علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: «تعبد

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٨٧)، وأبو عوانة في «مسنده» (١/١٢٦) و(١/١٤٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/٢٤٥).

(٢) «حلية الأولياء» (١/١٣٠) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٢٣١) وصفة الصفوة (١/٤١٣).

الله ولا تشرك به شيئاً، وتزول مع القرآن أينما زال - أي: تنتقل - ومن جاءك بصدق من صغير أو كبير، وإن كان بعيداً بغيضاً، فاقبله منه، ومن جاءك بكذب وإن كان حبيباً قريباً فاردده عليه»<sup>(١)</sup>.

وكان إذا قعد يقول: «إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع، ولا يسبق بطيء حظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه، العلماء سادة، والفقهاء قادة، مجالستهم زيادة»<sup>(٢)</sup>.

\* ويقول في إثارة الآخرة: «من أراد الدنيا أضرب بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضرب بالدنيا، يا قوم فأضربوا بالفاني للباقي»<sup>(٣)</sup>.

وفاته (رضي الله عنه):

عاش ابن مسعود (رضي الله عنه) إلى زمن خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فلما مرض مرض الموت جاءه عثمان عائداً:

فقال: ما تشتهي؟	قال: ذنوبي!
قال: فما تشتهي؟	قال: رحمة ربي!
قال: ألا أمر لك بطبيب؟	قال: الطبيب أمرضني.

(١) تاريخ دمشق «لابن عساكر» (٣٣/١٧٥، ١٧٦).

(٢) تاريخ دمشق «لابن عساكر» (٣٣/١٧٥، ١٧٦).

(٣) «حلية الأولياء» (١/١٣٨)، و«مستدرک الحاکم» (٤/٥٢٩) و«مصنف ابن أبي شيبة»

(٧/١٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩/١٠٨)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»

(١٠/٢٤٩).

قال: ألا أمر لك بعبء؟ قال: لا حاجة لي فيه.

قال: يكون لبناتك.

قال: أتخشى على بناتي الفقير؟! إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة،

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ الواقعة في ليلة لم تصبه فاقة أبداً»<sup>(١)</sup>.

وقد توفي (رضي الله عنه) سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في المدينة النبوية وعمره

آنذاك كان بضعا وستين سنة<sup>(٢)</sup>.

ويروى عن ابن مسعود أنه لما حضره الموت دعا ابنه فقال: «يا عبدالرحمن بن

عبدالله بن مسعود، إني موصيك بخمس خصال، فاحفظهن عني: أظهر اليأس

للناس، فإن ذلك غني فاضل، ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر

حاضر، ودع ما يعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به، وإن استطعت ألا يأتي عليك

يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل، وإذا صليت فصل صلاة مودع كأنك لا

تصلي صلاة بعدها»<sup>(٣)</sup>.

رحمة الله تعالى على عبدالله بن مسعود، فقد كان عميد حملة القرآن وكبير

فقهاء الإسلام.



(١) «أسد الغابة» (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦)، وحديث فضل سورة الواقعة ضعفه بعض الحفاظ،

وقال الترمذي: حسن غريب، راجع «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٨١، ٤٨٢) حاشية

المحقق، وانظر «مسند الحارث بن أبي أسامة» (٢/ ٧٢٩)، و «شعب الإيمان» للبيهقي

(٢٠/ ٤٩١).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٩٩).

(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣/ ١٨٦).



## سلمان الفارسي

### الباحث عن الحق

إنه ابن الإسلام، كما كان يعرف بذلك<sup>(١)</sup>، أبو عبدالله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه.

في قرية «جبي» كانت ولادته، وعلى مناظر الطبيعة الخلافة فيها فتح عينيه، وفوق سندسها الأخضر الذي يغمر أرضها كانت أولى خطواته.

والده : دهقان<sup>(٢)</sup> قرية جبي. كان خبيراً بشؤون الزراعة، رُزق بسلمان بعد فترة انتظار وترقُّب، فأحبه كل الحب، وآثره على نفسه وماله وهياً له حياة رضية رغدة، ووهبه خادماً للنار (معبودتهم المقدسة) ، والتي كانت تشتعل في كل بيت، ولا تترك تخبو قط، وقام سلمان بواجبه إزاء النار، يقدم لها وقودها، ويتأمل لهيبتها، ويتسمع لزمجرتها.

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/١٨٥).

(٢) الدهقان: رئيس القرية؛ جمعه: دهاقنة، ودهاقين.

وفي أحد الأيام شغل الوالد ببعض شأنه، فلم يمر على ضياعه، ولم يتفقد بساتينه، فطلب من ابنه القيام بتلك المهمة، وأوصاه أن يعود مسرعاً ولا يبطئ، ليطمئن قلبه، ولا ينشغل فؤاده، وكانت هذه المرة هي المرة الأولى التي سمح له فيها بمغادرة البيت بمفرده.

قال سلمان: «كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها جبي. وكان أبي دهقاناً، وكنتُ أحب خلق الله إليه، فلم يزل بي حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تجبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فُشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني! إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعه، وأمرني ببعض ما يريد، فخرجت، ثم قال: لا تحبس عليّ، فإنك إن احتبست عليّ كنت أهم إليّ من ضيعتي، وشغلتنني عن كل شيء من أمري.

فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت إليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبني صلواتهم، ورغبْتُ في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركتُ ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بُني! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قلت: يا أبت! مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني! ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قلت: كلا والله! إنه خير من ديننا. قال:

فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من الشام. قال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضاوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني. قال: ففعلوا: فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها. قلت: مَنْ أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلّم منك، وأصلي معك. قال: فادخل، فدخلتُ معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأته يصنع. ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلتُ لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتم بها، كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين، وأريتهم موضع كنزه سبع قلال مملوءة، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً.

فصلبوه ثم رموه بالحجارة. ثم جاؤوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً - يعني لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضل منه، ولا أزهدي في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً، ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبّه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان! قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط حُبك، فماذا تأمرني وإلى من توصيني؟

قال لي: يا بني، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل، فائته، فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات وغُيِّب، لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله

من الاجتهاد والزهد. فقلت له: إن فلاناً أوصاني أن آتيك وأكون معك.

قال: أقم، أي بني. فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلاناً أوصى بي إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: والله ما أعلم، أي بني إلا رجلاً بنصيين، فلما دفنناه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت، فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية بالروم، فأتيته فوجدته على مثل حالهم، واكتسبت حتى كان لي غنيمة وبقرات.

ثم احتضر، فكلَّمته إلى من يوصي بي؟ قال: أي بُني! والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإنَّ فيه علامات لا تخفى. بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه، أقمتُ حتى مرَّ بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلتُ لهم: تحملوني إلى أرض العرب. وأعطيتكم غنيمتي وبقراتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى ظلموني وباعوني عبداً لرجل يهودي بوادي القرى، فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي.

وما حقَّتْ عندي حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فابتاعني من صاحبي، فخرج بي حتى قدمنا المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفت نعتها، فأقمت في رقي، وبعث الله نبيه ﷺ بمكة لا يذكر لي شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله

إني لفيها إذ جاءه ابنُ عمٍ له. فقال: يا فلان! قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي.

فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء - يقول الرعدة - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ فرفع مولاي يده فلكنني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ ، وأقبل على عمك، فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبراً، فأحببت أن أعلمه.

فلما أمسيتُ وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأنَّ معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحقَّ من هذه البلاد به، فهالك هذا فكل منه. قال: فأمسك، وقال لأصحابه: كلوا. فقلتُ في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي.

ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئاً كان عندي، ثم جئته به فقلتُ: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية. فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتان لي وهو في أصحابه، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف. فلما رأني استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي: «تحول» فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد. ثم قال رسول

الله ﷺ: «كاتب يا سلمان». فكاتب صاحبني على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم». فأعانوني بالنخيل؛ الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، حتى اجتمعت ثلاثمائة ودية. فقال: «اذهب يا سلمان فققرة لها، فإذا فرغت فائتني أكون أن أضعها بيدي»، ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته وأخبرته، فخرج معي إليها نقرب له الودي، ويضعه بيده. فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأديت النخل، وبقي عليّ المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المغازي. فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟»، فدُعيت له، فقال: «خذها فأدبها ما عليك». قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال: «خذها فإن الله سيؤدي بها عنك». فأخذتها فوزنت لهم منها أربعين أوقية، وأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حرّاً، ثم لم يفتني معه مشهد»<sup>(١)</sup>.

وعاش سلمان (رضي الله عنه) مع رسول الله ﷺ منذ التقى به وآمن معه مسلماً حرّاً، ومجاهداً عابداً.

وعاش مع أبي بكر ثم عمر ثم عثمان حتى لقي ربه أثناء خلافته. ويرسل عمر - في أثناء خلافته - إلى سلمان ليتولّى إمارة المدائن، ويرفض سلمان ويتشدد في رفضه، ويتمسك عمر ويصر على طلبه فيمثل سلمان لطلب أمير المؤمنين، فيذهب لمكان الولاية. تحمله دابته إلى هناك وحيداً بلا رفيق، وفريداً بلا صديق.

عن أبي المليح عن هريم قال: رأيت سلمان الفارسي على حمارة «عرة» وعليه

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٥٠٦-٥١١).

قميص قصير ضيق، وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبته.

قال: ورأيت الصبيان يحضرون خلفه فقلت: ألا تنتحون عن الأمير؟ فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم. ورتب عطاء لثمان خمسة آلاف، ومع ذلك كان يوزعها على الرعية، ويأكل من جدل الخوص، وكان عليه عباءة يفترش نصفها ليجلس. فأرادوا أن يقيموا له بيت الإمارة فرفض، ولكن أحد الرجال ممن كان يفهم نفسيته أقنعه بحقيقة البيت الذي يبنى قائلاً له: ألا أبنى لك بيتاً تستظل به من الحر، وتسكن فيه من البرد؟

قال سلمان: نعم.

فلما أدبر صاح سلمان به فسأله: كيف تبنيه؟

فقال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك..

فقال سلمان: نعم<sup>(١)</sup>.

وكان سلمان يقول: أشتري خوصاً بدرهم ثم أعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدق بدرهم. ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت<sup>(٢)</sup>.

وكان يخرج كل يوم في إمارته يختلط بالناس، ويتعرف على مطالبهم، وعليه العباءة التي غيّر الزمن معالمها. وفي الطريق لقيه رجل قادم من الشام ومعه حمل تين وتمر، وكان الحمل يُتعب الشامي، فلم يكذب يبصر أمامه رجلاً يبدو عليه أنه

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/٨٩)، و«حلية الأولياء» (١/٢٠٢)، و«سير أعلام النبلاء»

(١/٥٤٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٥٧).

من عامة الناس وفقرائهم حتى بدا له أن يضع الحمل عن كاهله حتى إذا بلغه وجهته أعطاه شيئاً نظير حملته.

فأشار للرجل فأقبل عليه، وقال له الشامي: احمل هذا عني، فحمله ومضيا معاً. وإذا هما في الطريق بلغا جماعة من الناس، فسلم عليهم، فأجابوا واقفين: وعلى الأمير السلام..؟؟؟ أي أمير يعنون..؟؟ هكذا سأل الشامي نفسه.. ولقد زادت دهشته حين رأى بعض هؤلاء يسارع صوب سلمان ليحمل عنه قائلين: عنك أيها الأمير..! فعلم الشامي أنه أمير المدائن (سلمان الفارسي) فسقط في يده، وهربت كلمات الاعتذار والأسف من بين شفتيه، واقترب ينتزع الحمل، ولكن سلمان هزّ رأسه رافضاً وهو يقول: لا، حتى أبلغك منزلك<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أنفسنا أمام من يرفض المال والثروة والنعيم، ويصرّ على أن يكتفي في يومه بدرهم يكسبه من عمل يده.. فما باله يرفض الإمارة ويهرب منها ويقول: «إن استطعت أن تأكل التراب فكل منه ولا تكوننَّ أميراً على اثنين..» ثم ما باله حين يلي هذه الإمارة المفروضة عليه فرضاً يأبى أن يأخذ عطاءها الحلال..؟؟ ما باله يصنع كل هذا الصنيع، ويزهد كل ذلك الزهد..؟

ها هو الجواب يصدر منه وهو على فراش موته، قد اقترب أجله.. دخل عليه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) فبكى سلمان. فقال له سعد: ما يبكيك؟ تلقى أصحابك، وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ.

فقال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»، وهذه الأساور

(١) «رجال حول الرسول» (ص ٥٦).

حولي، وإنما حوله مطهرة - أو إنجانة<sup>(١)</sup> - فقال له سعد - اعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك. فقال له: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت<sup>(٢)</sup>.

وقد جُمع مال سلمان (رضي الله عنه) فما تجاوز بضعة عشر درهماً. وهكذا آن لجواب الآفاق أن يستريح، وأوشك أن يبلغ الكتاب أجله، وأحس بقرب الفراق، فقال لزوجته هلمّي خبيك الذي استخبأتك، قالت: فجئت بصرة مسك، قال: اتنني بقدر فيه ماء، فنشر المسك فيه ثم أذابه بيده ثم قال: انضحيه حولي، فإنه يحضرنى خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، ثم أغلقت عليّ الباب وانزلي.

قالت: ففعلت، وجلست هنيهة فسمعتُ هسهسة، قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات<sup>(٣)</sup>.

وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بالمدائن. سنة ثلاث وثلاثين أو نحوها<sup>(٤)</sup>.

(١) الإنجانة - بالكسر - : هي الإجانة، وعاء لغسل الثياب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٤)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١/١٩٥-١٩٦)، وأحمد (٥/٤٣٨)، والحاكم (٤/٣١٧) وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٣) «الطبقات الكبرى» (٤/٩٣).

(٤) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٥٥٥): «قال العباس بن يزيد البحراني: يقول أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه».

وقال: «وقد فتشت، فما ظفرت في سنه بشيء سوى قول البحراني، وذلك منقطع لا إسناد له، ومجموع أمره وأحواله، وغزوه، وهيمته، وتصرفه، وسفه للجريد... ينبيء بأنه ليس بمعمر ولا هرم. فقد فارق وطنه وهو حدث، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو =

رضي الله عنك أبا عبدالله، وجزاك ما يجزي به عباده المقربين.



= أقل، فلم ينشب أن سمع بمبعث النبي ﷺ ثم هاجر، فلعله عاش بضعا وسبعين سنة. وما أراه بلغ المائة. فمن كان عنده علم، فليفدنا، وقد نقل طول عمره أبو الفرج بن الجوزي وغيره.. وما علمت في ذلك شيئا يركن إليه». وقال في (١/٥٥٦): «وقد ذكرت في تاريخي الكبير أنه عاش مائتين وخمسين سنة، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك ولا أصححه» انتهى كلامه.



## عبادة بن الصامت

### صحابي كبير وفتح مجاهد

هو رجل يُعد في الرجال بألف رجل.

هكذا قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما أرسله مدداً لعمر بن

العاص في فتح مصر، وكان طويلاً فارغ الطول، جسيماً جميلاً<sup>(١)</sup>.

إنه عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة الأنصاري

الخزرجي<sup>(٢)</sup>.

من السابقين إلى الإسلام، ومن رجال البيعة الأولى، ومن بني عوف بن

الخزرج الأنصاري. من الأنصار الذين نصرُوا وآوُوا وبذلوا أرواحهم وأمواهم

رخيصة في سبيل الله.

(١) «الإصابة» (٣/٦٢٤).

(٢) المرجع السابق.

والده الصامت بن قيس الخزرجي، وأمه قرّة العين بنت عباده<sup>(١)</sup>، وأخوه أوس بن الصامت<sup>(٢)</sup>، وزوجه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

كان أحد أفراد الوفد المكون من اثني عشر رجلاً، والذين بايعوا الرسول ﷺ البيعة الأولى<sup>(٣)</sup>.

وقد عاش عبادة في أفضل عصور الإسلام على الإطلاق، فهو قد عاصر أحداث النبوة برمتها، شهد نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام، وحاز قصب السبق من كل نوع من أنواع الخير، فجمع بين فضيلة الصحبة عموماً، وميزة مشاهير الصحابة خاصة، واصطبغ بصبغة الإسلام النقية، وذاق حلاوته.

وكان ﷺ مثلاً أعلى في الإيمان القوي والعقيدة الراسخة والإخلاص لخالقه وموجده منذ اللحظة الأولى التي آمن فيها، وكان إيمانه منبع البطولات في المعارك التي خاضها، وسر صلابته في الحق، وثباته على السنة والأحكام الإسلامية بعامة<sup>(٤)</sup>.

وقد شهد الله تعالى له ولمن اشترى في بيعة الرضوان بالإيمان، وأسبغ عليهم رضوانه، فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر «الطبقات» لخليفة بن خياط ص ٩٩.

(٣) الإصابة (٣/٦٢٤).

(٤) رجال أنزل إليه فيهم قرآناً.

كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿ [الفتح: ١٨-١٩].

وله (رضي الله عنه) مواقف شهيرة، ومحن تدل على إيمانه العميق، منها موقفه من يهود بني قينقاع، فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حارب بنو قينقاع بسبب ما أمرهم عبدالله بن أبي، وكانوا حلفاءه، فمشى عبادة ابن الصامت، وكان له من الحلف مثل الذي لعبدالله بن أبي، فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، فنزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١] (١).

وإن إيمان عبادة الصادق هو الذي عرفه طريق الجنة، فعمل لله، وجاهد في سبيل الله، ودعا إلى الله، وحدد للناس أصول الإيمان، وفقاً لما حدث به عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله تبارك وتعالى الجنة على ما كان من عمل» (٢). وقد شهد عبادة (رضي الله عنه) المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ووقف معه يناصره ويؤازره ضد اليهود والمنافقين (٣).

وفي حروب الردة كان عبادة فارسها المغوار، والمجاهد في سبيل الله.. الباحث عن الشهادة. وفي خلافة عمر (رضي الله عنه) كتب يزيد بن أبي سفيان إليه: قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأرسل إليه عمر معاذ ابن

(١) «الإصابة» (٣/٦٢٥).

(٢) مسلم في كتب الإيمان (٢٨).

(٣) «الإصابة» (٣/٦٢٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/٢).

جبل، وعبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، فأقام عبادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة ابن الجراح، عندما سار لفتح اللاذقية، ثم صرفه لفتح «طرطوس» ففتحها، وكان أول من ولي قضاء فلسطين، من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

ومن قبل ذلك وفي حياة الرسول ﷺ استعمله عليه الصلاة والسلام على الصدقات، وقال له: «اتق الله لا تأتي يوم القيامة ببعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثؤاج»، قال عبادة: يا رسول الله، إن ذلك كذلك؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، إن ذلك لكذلك، إلا من رحم الله عز وجل» قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبداً<sup>(٢)</sup>، أي لا ألي الحكم على اثنين ولا أتأمر على أحد<sup>(٣)</sup>.

ولقد فكر المسلمون في فتح مصر، واتجه إليها عمرو بن العاص (رضي الله عنه) في جيش كبير.

ولكنه عندما وصل إلى أرض مصر رأى كثرة عدد وعدة من المصريين والروم، فطلب مدداً من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). واستجاب عمر لرأي عمرو، وأمده بأربعة آلاف رجل، وكتب له كتاباً قال فيه: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل كل رجل منهم مقام ألف.

وكان عبادة بن الصامت أحد هؤلاء الأربعة، وانتشرت جواسيس المقوقس ورجاله يتعرفون على قوة المسلمين، ويعجمون عودهم، وعادوا إليه يقولون: «رأينا

(١) المرجع السابق (٣/٦٢٥، ٦٢٦).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/١٥٨)، والشافعي في «الأم» (٢/٥٧) وفي مسنده كذلك (١/٩٩) والحميدي في «مسنده» (٢/٣٩٧) ونقل الحسيني في البيان والتعريف عن الهيثمي أنه قال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) «البيان والتعريف» الحسيني (١/٢١).

قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد. وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم»<sup>(١)</sup>.

فقال المقوقس عند ذلك: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد.

ولئن لم نغنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم»<sup>(٢)</sup>.

وأرسل المقوقس إلى المسلمين أن ابعثوا إلينا رسلاً منكم نتعاون نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم.. فبعث عمرو بن العاص نقرأ من أصحابه على رأسهم عبادة بن الصامت، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وأميرهم.

وعندما دخل القوم على المقوقس يتقدمهم عبادة أخذ يرتعد منه ويخافه ويقول لهم: نحوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني»<sup>(٣)</sup>، فقال له أصحاب عبادة: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، ونرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله، فقال: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم؟

(١) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» للأتابكي (١١/١).

(٢) المرجع السابق (١٢/١).

(٣) المرجع السابق (١٢/١).

قال أصحاب عبادة: إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً، وليس ينكر السواد فينا، ولم يجد المقوقس حيلة لإبعاد عبادة عنه، فقال لعبادة: تقدم يا أسود، وكلمني برفق، فإنني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة.

فتقدم إليه عبادة فقال: «قد سمعت مقاتلك، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي، وأشد سواداً مني، وأفطع منظراً، لو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي.. لأن رغبتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدواً لله لرغبة في الدنيا.. وما يبالي أحدنا أكان له قناطر من ذهب أم كان لا يملك درهماً. لأن غاية أمرنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره، وشملة يلتحفها، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه.

وإن كان لأحدنا قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذي بيده».

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره.. ثم أقبل المقوقس على عبادة قائلاً له: أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقاتلك، وما ذكرت عنك وعن أصحابك، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت عنك وعن أصحابك.

ثم قال: «وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتكم...»<sup>(١)</sup>.

(١) «النجوم الزرقاء» (١/١٣، ١٤).

فقال عبادة: يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه.

وما منا رجل إلا ويدعو به صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا هم فيما خلفه. وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أماننا، وأما قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فانظر الذي تريد فبينه لنا، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيتها شئت، ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين وهو ما عهد به رسول الله ﷺ من قبله إلينا<sup>(١)</sup>.

وبذلك كوّن عبادة (رضي الله عنه) حرباً نفسية شنها على عظيم مصر، فقصى على كل مقاومة عنده، وملاً نفسيته بالرعب والفرع، وإذا ما وصل قائد من قواد الدول والجيوش إلى هذه الحالة من الاضطراب والهول فقد خسر المعركة وسُلمت بلاده، أما ما جاء بعد ذلك، فهي توصلات المقتول إلى قاتل أن يترفق به في ذبحه، ويحد شفرتة، حتى لا يحس بألم القتل<sup>(٢)</sup>.

وتمت سفارة عبادة بن الصامت، وعاد إلى عمرو بن العاص يرف إليه فتح مصر بعد أن خرب نفسية القائد، وفت عضد جنوده، وبينما هم على أهبة الاستعداد لخوض معركة فاصلة مع إحدى حصون الروم، والتي لم تستسلم بعد،

(١) «النجوم الزاهرة» (١/١٥).

(٢) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً»، د. عبد الرحمن عميرة (٢/١٥٩).

وصلت رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وفيها يقول: « أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنين، وما ذلك إلا لما أحدثتم وأجبتكم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق ثباتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل، على ما كنت أعرف، إلا أن يكونوا قد غيّرهم ما غيّرهم.

فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم، ورجبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة، فإنها تنزل الرحمة، ووقت الإجابة، وليعج الناس لله ويسألونه النصر على عدوهم»<sup>(١)</sup>.

وقد شهد (رضي الله عنه) مع معاوية بن أبي سفيان غزوة الصافية حتى بلغ عمورية ثم فتح عسقلان<sup>(٢)</sup>.

مات (رضي الله عنه) بالشام سنة أربع وثلاثين وقبره ببيت المقدس<sup>(٣)</sup>، وهو ابن ثنتين وسبعين سنة<sup>(٤)</sup>.



(١) المرجع السابق.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٤١/٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢).

(٤) تاريخ ابن عساكر (٢٦/٢٠٧).



## عمار بن ياسر

«ويحك يا ابن سميّة، تقتلك الفئة الباغية»

(حديث صحيح)

عمار بن ياسر أحد السابقين الأولين، ومن بايع بيعة الرضوان، وفارس من فرسان معركة بدر الكبرى، وهو من الأسرة التي تحملت الجزء الأكبر من تعذيب قريش للمستضعفين، فوالده ياسر بن عامر أحد المؤمنين الذين صمدوا أمام تعذيب قريش واستشهد تحت التعذيب<sup>(١)</sup>، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام<sup>(٢)</sup>. وأخوه عبد الله مات قتيلًا بيد بني الدبل في الجاهلية.

كان رجلاً آدم، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين، غزير الشعر، كثير الصمت، قليل الكلام، عائداً بالله من فتنه، سمع بدعوة الإسلام مبكراً، إذ كانت أضواء

(١) انظر «الإصابة» (٣/٦٤٨) ط. دار صادر.

(٢) انظر «أسد الغابة» (٧/١٥٣).

القرآن تجذبه إلى محمد ﷺ، وحلاوة الإيثار تدفعه إليه، وحينئذ انطلق إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، قال عمار: لقيت صهيباً، على باب دار الأرقم، وفيها رسول الله ﷺ، فدخلنا، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا، فخرجنا ونحن مستخفون<sup>(١)</sup>.

وأسلم عمار وحسن إسلامه، واتخذ مسجداً في بيته، يصلي فيه مع أهله وذويه بعد أن آمنوا بمحمد ﷺ وتابعوه في كل ما جاء به، وفي مسجده هذا يقرأ آيات القرآن، ويقرئها أهله، وكان حريصاً على خفوت صوته والإسرار بقراءته، وكان في بعض الأحيان يخرج صوته صدق القرآن وحلاوة كلماته عما أخذ نفسه به فيرتفع صوته مدوياً بالقرآن، ومجاهراً به.

وتسمعت قريش إلى صوت القرآن منبعثاً من دار عمار.. وتلصصت عيونهم فشهدوا صلواتهم وخشوعهم، واقتحمت قريش عليهم دارهم، وأخذت تصب عليهم العذاب صباحاً، ولم تكف بذلك، بل كانت تخرج بهم إلى الصحراء، وتجردهم من ملابسهم، وتلقي بهم في الرمضاء، وتثقل بطونهم بالحجارة وتدمي أجسادهم بالسياط، وتضع فوق أطرافهم جهرات النار! ليعودوا إلى عبادة الأصنام ويكفروا بدعوة محمد ﷺ.

ويستمر العذاب رهيباً متصلاً لا تكف قريش ولا تم، ويدخل أبو جهل على سمية - أم عمار - يرفسها ويركلها وتقول: أحد أحد. ويقوم كالثور الهائج، كلما سمع منها هذه الكلمة، يضربها ويدعوها إلى أن ترجع إلى الشرك وتكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولكنها لا تستمع إليه، ولا تجيبه إلى طلبه، فلم يطق صبراً، فتناول

(١) « سير أعلام النبلاء » (٢/١٩).

حربته، وساعده شيطانه وآزره فطعنها في قلبها طعنة قاتلة، فاستسلمت لقضاء الله وقدره، وفارقت روحها جسدها، وسقطت فكانت أول شهيدة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويتألم الرسول ﷺ لما يحدث لأصحابه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، ويطالبهم بالهجرة إلى الحبشة.. وتتابع المؤمنون إلى هناك، ووجدوا في جوار النجاشي الأمن والسكينة والراحة والاطمئنان التي مكنتهم من عبادة ربهم.

ولكن عماراً لم يستطع أن يهاجر، وحالوا بينه وبين ذلك، وبقي في مكة هدفاً لحقدهم وغرضاً لكيدهم، ولكنه استطاع أن يفلت منهم، وهاجر مع المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة. وفي رحاب ملك الحبشة استراح جسمه وهدأت روحه.

وأشاعت قريش أنها تابعت محمداً ﷺ فيما يدعو إليه، حتى يعود إليها هؤلاء الفارون بدينهم، ويعود عمار مع العائدين.. ولم يستمر بمكة طويلاً، فلقد أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وعاش فيها يترقب وصول الرسول ﷺ إليها، وكان يخرج كل يوم إلى مشارف المدينة يسأل الركبان ويرقب الطريق الطويل - طريق مكة - لعله يحظى بوصول ناقة الرسول ﷺ إليها.

وفي يوم ليس كمثلته يوم خرجت المدينة رجالها وشبابها ونساؤها وأطفالها يستقبلون رسول الله ﷺ وصاحبه وهم فرحون مستبشرون. وأحس عمار أن الله تعالى أعطاه أكثر مما يريد، وحقق له كل ما يتمنى.. لقد كان كافراً، فهداه الله إلى الإسلام، وكان لا بيت له، فخط له رسول الله ﷺ بيتاً، وكان وحيداً بلا رفيق، فأخى الرسول ﷺ بينه وبين حذيفة بن اليمان، صاحب سر النبي ﷺ والخبير بالمنافقين رضي الله عنهما.

كان من الأعمال الجليلة التي ندب إليها رسول الله ﷺ أصحابه في المدينة بناء

(١) أنظر «سير أعلام النبلاء» (١/٤٠٩).

المسجد، وكان كل واحد من الصحابة ينقل لبنة لبنة، وعمار ينقل لبنتين لبنتين، قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): فحدثني أصحابي ولم أسمع من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عماراً الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>. وهنا حدد الرسول ﷺ قتلة عمار بأنهم ليسوا هم الكفار والمشركين.. ولكن جماعة من المسلمين ينحرفون عن الجادة، فهم كما وصفهم الرسول الكريم ﷺ: «الفئة الباغية».

ويشهد عمار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ففي غزوة بدر كان فارساً قناصاً<sup>(٣)</sup>. وفي أحد كان حاجزاً صلباً يصد هجمات المشركين أن تصل إلى رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، كان عاملاً في الخندق في غزوة الأحزاب<sup>(٥)</sup>.

وبعد وفاة الرسول ﷺ أخذت الجزيرة العربية تموج بتيارات غريبة وادعاءات عجيبة.. ونهض أبو بكر بهذه الأعباء مجتمعة، وأعد جيشاً للقضاء على الكذابين

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٥)، وأحمد (٥/٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧/٤). قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: روى حديث عمار (تقتل عماراً الفئة الباغية) جماعة من الصحابة، منهم: قتادة بن النعمان، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبدالله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه.. كلها عند الطبراني وغيره وغالب طرقها صحيحة أو حسنة. وفيه عن جماعة آخرين يطول عدّهم. الفتح (٥٤٣/١).

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤٠٦/١).

(٤) انظر «الإصابة» (٥١٢/٢).

(٥) المرجع السابق.

الذين يدعون النبوة.. وكانت معركة اليمامة، إحدى المعارك الضارية التي خاضها المسلمون، وكان عمار هناك فوق الربوة العالية أمام باب الحديقة يجارب ويقاثل، ويشجع وينادي.

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) قال: «رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرُّون؟ أنا عمار بن ياسر، هلموا إليّ وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذب وهو يقاثل أشد القتال»<sup>(١)</sup>. وتم النصر للمسلمين، وعادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى رحاب الإيمان، وقبض الله أبا بكر إليه.

ثم جاء عمر (رضي الله عنه) وأراد أن يرسل هؤلاء الرجال إلى أرض الفرس والروم لنشر دين الله، والدعوة إلى عبادة الواحد الأحد.. واختار من أتباع محمد ﷺ رجالاً لقيادة الجيوش، واختار آخرين ليكونوا قرييين منه يرجع إلى رأيهم، ويستأنس بمشورتهم، ويشركهم معه في معضلات الأمور.

وأرسل نوعاً ثالثاً ولاةً على الأقاليم وجُباة أموال، وصنفاً رابعاً للدعوة إلى دين الله وتفقيه العباد، وكان عمار من أولئك الرجال الذين وقع عليهم اختيار عمر ليكون أميراً على الكوفة.

وكتب كتاباً لأهلها قال لهم فيه:

«أما بعد: فإني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً،

وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، فأطيعوا لهما واقتدوا بهما»<sup>(٢)</sup>.

«وعاش عمار أميراً زاهداً، وحاكماً ورعاً، ووالياً يحب رعيته ويرعاها، ليس

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٤٢٢).

(٢) «الاستيعاب» (٢/٤٨٠-٤٨١).

فيه فظاظة الحكام، ولا إمرة الأمراء، يخدم نفسه ويحمل متاعه»<sup>(١)</sup>.

وفي وقعة صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة كان عمار (رضي الله عنه) لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أدوية صفين إلا وأصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت عماراً يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: «يا لهاشم تقدم، الجنة تحت الأبارقة، اليوم ألقى الأجابة.. محمداً وحزبه. والله لو هزمونا حتى يبلغوا لنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق، وأنهم على الباطل» ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله      فالיום نضربكم على تأويله  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله      ويذهل الخليل عن خليله  
أو يرجع الحق إلى سبيله<sup>(٣)</sup>  
وتقدّم فقاتل حتى قُتل<sup>(٤)</sup>.

(١) «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» (٤٧٢).

(٢) «الاستيعاب» (٤٧٩/٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) روى البخاري في صحيحه قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا عبد العزيز بن مختار، قال: حدثنا

خالد الخذاء عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فأحتبى، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: «كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. البخاري مع الفتح (٥٤١١).

قال الحافظ ابن حجر قوله: «يدعوهم» أعاد الضمير على غير مذكور، والمراد قتله كما ثبت من وجه آخر: «تقتله الفئة الباغية يدعوهم... إلخ»، فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ =

فالجواب أنهم كانوا ظالمين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم . فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام . وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي . وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذلك . وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك . لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم . وقال ابن بطلال تبعاً للمهلب: إنما يصح هذا في الخوارج الذين بعث إليهم علي عماراً يدعوهم إلى الجماعة، ولا يصح في أحد من الصحابة . وتابعه على هذا الكلام جماعة من الشراح وفيه نظر من أوجه:

أحدها: أن الخوارج إنما خرجوا على علي بعد قتل عمار بلا خلاف بين أهل العلم بذلك . فإن ابتداء أمر الخوارج كان عقب التحكيم، وكان التحكيم عقب انتهاء القتال بصفين، وكان قتل عمار قبل ذلك قطعاً، فكيف يبعثه إليهم علي بعد موته .

ثانيها: أن الذين بعث إليهم علي عماراً إنما هم أهل الكوفة، بعثه يستفزهم على قتال عائشة ومن معها قبل وقعة الجمل، وكان فيهم من الصحابة جماعة كمن كان مع معاوية وأفضل . فما فر منه المهلب وقع في مثله مع زيادة إطلاقه عليهم تسمية الخوارج، وحاشاهم من الله .

ثالثاً: أنه شرح على ظاهر ما وقع في هذه الرواية الناقصة، ويمكن حمله على أن المراد بالذين يدعونهم إلى النار كفار قريش كما صرح به بعض الشراح، لكن وقع في رواية ابن السكن وكريمة وغيرهما، وكذا ثبت في نسخة الصغاني التي ذكر أنه قابلها على نسخة الفريري التي بخطه زيادة توضح المراد وتفصح بأن الضمير يعود على قتلته وهم أهل الشام، ولفظه: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية يدعوهم..» الحديث، واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع وقال: إن البخاري لم يذكره أصلاً، وكذا قال أبو مسعود . قال الحميدي، ولعلها لم تقع للبخاري، أو وقعت فحذفها عمداً . قال: وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث .

قلت: ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً، وذلك لنكتة خفية، وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري، وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.. فذكر الحديث في بناء المسجد وحملهم لبنة لبنة، وفيه قال أبو سعيد فحدثني أصحابي ولم أسمع عن رسول الله ﷺ أنه



= قال: «يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية»، وابن سمية هو عمار وسمية اسم أمه، وهذا الإسناد على شرط مسلم، وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة عن أبي سعيد قال: «حدثني من هو خير مني أبو قتادة» فذكره، فاقصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره، وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الأحاديث. وفي هذا الحديث زيادة أيضاً لم تقع في رواية البخاري. وهي عند الإسماعيلي وأبي نعيم في المستخرج من طريق خالد الواسطي، عن خالد الحذاء وهي: «فقال رسول الله ﷺ: يا عمار، ألا تحمل كما يحمل أصحابك»، قال: «إني أريد من الله الأجر». فتح الباري (١/٥٤٢-٥٤٣).



## صهيب بن سنان

### سابق الروم

إنه صهيب بن سنان أبو يحيى النمري، من النمر بن قاسط، ويعرف بالرومي، لأنه أقام في الروم مدة، وهو من أهل الجزيرة، سُبي من قرية بنيوى من أعمال الموصل، وقد كان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى، ثم إنه جلب إلى مكة، فاشتراه عبدالله بن جدعان القرشي التيمي، ويقال: بل هرب، فأتى مكة، وحالف ابن جدعان<sup>(١)</sup>.

أسلم (رضي الله عنه) مبكراً، وكان فاضلاً وافر الحرمة، له عدة أولاد منهم حبيب وزياذ وحمزة<sup>(٢)</sup>. وصفه أبو نعيم فقال: «السابق المهاجر، المطعم المتاجر، لماله بذول، ولنفسه قتول، ولديته عقول، وبربه تعالى يجول ويصول»<sup>(٣)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٢). وانظر «الطبقات الكبرى» (٢٢٦/٣).

(٢) المرجع السابق، و«الإصابة» (٤٥١/٣).

(٣) «حلية الأولياء» (١٥١/١).

كانت له (رضي الله عنه) مكانة كبرى عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن أدلة ذلك أنه لما طعن عمر استنابه على الصلاة بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام<sup>(١)</sup>.

ووصف (رضي الله عنه) بالكرم والساحة، والبذل لهذا الدين ولا أدل على ذلك من تركه ماله كله للمشركين بشرط أن يتركوه وشأنه لينضم إلى النبي ﷺ وأصحابه في المدينة النبوية كما سيأتي إن شاء الله - تعالى - .

روى عنه بنوه: حبيب وحزمة وعثمان وصيفي وسعد وعباد وصالح ومحمد، وكعب الحبر، وعبد الرحمن بن أبي ليلي وآخرون<sup>(٢)</sup>.  
وأما أمه فهي: سلمى بنت قعيد<sup>(٣)</sup>.

وقد قيل في وصفه: أحمر، شديد الحمرة، ليس بالطويل<sup>(٤)</sup> كثير الشعر وكان مع فضله ودينه فيه دعاية وفكاهة وانسراح<sup>(٥)</sup>.

وعندما أخذ الإسلام يعلو ويرتفع، قرّر المشركون محاربة المسلمين، وتعذيب المستضعفين، وكانت صهيب من أولئك المستضعفين، فتحمل نصيبه من أذى قريش مع عشرات من المؤمنين، ولم يزد ذلك إلا إيماناً وتسليماً، روى مجاهد بن جبر قال: «وأخذ الآخرون - سمي منهم صهيباً - فآلبسوهم أدرع الحديد

(١) «انظر «الطبقات الكبرى» (٣/٦١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/١٨).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/٢٢٦).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٢١٩).

(٥) المرجع السابق. وقد ذكر ابن كثير له حادثة طريفة. انظرها في الجزء والصفحة المشار إليها آنفاً.

وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ»<sup>(١)</sup> فكان صهيب (رضي الله عنه) يصبر على ذلك أعظم الصبر حتى فرج الله عنه.

هجرة صهيب إلى المدينة :

وعندما خرج الرسول الكريم ﷺ مهاجراً إلى المدينة كان صهيب قد همَّ بالخروج معه، فصدّه فتيان من قريش، فجعل في ذلك اليوم يقوم ولا يقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه - ولم يكن شاكياً - فناموا، وعندها خرج صهيب خائفاً، وسار على حذر متوجهاً لتلقاء المدينة، وما كاد يتعد قليلاً حتى انتبهوا له، وقالوا له: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فتغير حالك! قال: أرأيتم إن تركتُ مالي، أمخلون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فخلّى لهم ماله. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب! ربح صهيب!»<sup>(٢)</sup>.

ولما أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كان نصيب صهيب من هذه المؤاخاة الحارث بن الصمة<sup>(٣)</sup> (رضي الله عنه).

وشهد صهيب (رضي الله عنه) المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأبلى فيها بلاءً حسناً، إذ كان يجيد رمي النبال والضرب بالسيف<sup>(٤)</sup>.

ويتحدث صهيب عن نفسه فيقول:

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٢١).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/٢٢٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث السير (٢/٢٢): «رجاله ثقات». وانظر الحديث كذلك في «البداية والنهاية» (٣/١٧٣)، و

«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٢/٨٢٨).

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/٥٠٩).

(٤) انظر «الإصابة» (٣/٤٥٠).

«لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنتُ حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنتُ حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنتُ حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنتُ فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنتُ أمامهم ولا وراءهم إلا كنتُ وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وكان (رضي الله عنه) دقيقاً في التحديث عن رسول الله ﷺ ولذلك كان يقول: «هلموا نحدثكم عن مغازينا فأما أن أقول: قال رسول الله ﷺ فلا»<sup>(٢)</sup>. وكانت لصهيب مكانته العظيمة في الإسلام لحرصه على أن تكون صلواته موافقة لصلاة النبي ﷺ فهذا عمر (رضي الله عنه) يقول وهو يخاطب الصحابة: إن حدث بي حدث فليصل بالناس صهيب ثلاثاً، ثم أجمعوا أمركم في اليوم الثالث»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «فإن حدث لي حدث فليصل لكم صهيب ثلاث ليل، ثم أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه»<sup>(٤)</sup>. وكان عمر رضي الله عنه محباً لصهيب أشد الحب. تقديرًا لسابقته وجهاده<sup>(٥)</sup>. وبقي صهيب رضي الله عنه في الجهاد والعمل الصالح، يجاهد بنفسه وماله ابتغاء مرضاة الله إلى أن أربى عمره عن السبعين»<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجعان السابقان.

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٣/٢٢٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/٢٦).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٣/٣٤٤).

(٥) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/٢٦).

(٦) انظر «الإصابة» (٣/٤٥١).

وفي شهر شوال من السنة الثامنة والثلاثين<sup>(١)</sup> من الهجرة النبوية مرض صهيب (رضي الله عنه)، ثم توفي بالمدينة<sup>(٢)</sup> بعد حياة حافلة بالتضحيات، رزق الله - تعالى - شباب المسلمين اقتفاء سيره والسير على منهجه. آمين.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٣١٩/٧).



## عبدالله بن سلام

أنت على الإسلام حتى تموت

(حديث صحيح)

إنه الإمام الخبر، المشهود له بالجنة، عبدالله بن سلام، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

روى قصة إسلامه فقال: «لما سمعت برسول الله ﷺ عرفته وسمته وزمانه الذي كنا نتوكف<sup>(٢)</sup> له، فكانت مسراً لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبره بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت له عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٤١٣).

(٢) أي نترقب ونتوقع.

زدت، قال: فقلت لها: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعث بها بعث به. قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا<sup>(١)</sup>، قال عبدالله: «وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا إسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه وساءلوه، ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه، فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور؟! قال: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أضحى عبدالله جندياً من جنود الإسلام من أول وهلة دخل فيها الإسلام، وكان أول ما سمعه من رسول الله ﷺ ما حدث به هو حيث قال: كان

(١) سيرة ابن هشام (١/٥١٦-٥١٧).

(٢) أي السيرة النبوية (٣/٢٤٩).

أول شيء سمعته من رسول الله ﷺ: «أيها الناس أفسوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(١)</sup>. وكان عبدالله صاحب روح إيمانية عظيمة وقلب مليء بالحب والإكبار لأئمة الإسلام، ولذلك لما توفي عمر بن الخطاب (رض الله عنه) تأثر عبدالله تأثراً عظيماً لوفاته، كما ذكر صاحب الطبقات الكبرى حيث قال: «جاء عبدالله بن سلام وقد صلي على عمر، فقال: والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه، فقام عند سريره فقال: نعم أخو الإسلام كنت يا عمر، جواداً للحق، بخيلاً بالباطل، ترضى حين الرضى، وتغضب حين الغضب، عفيف الطرف، طيب الظرف لم تكن مداحاً ولا مغتاباً ثم جلس»<sup>(٢)</sup>.

ومما تميز به عبدالله من المناقب العظيمة اشتهاه بالعلم الذي كان عاملاً به، ودليل ذلك أن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) لما حضرته الوفاة قيل له: أوصنا أبا عبد الرحمن، قال: أجلسوني فإن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدتهما، يقول ذلك ثلاث مرات فالتمسوا العلم عند أربعة: عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبدالله بن مسعود، وعند عبدالله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وقد شهد عبدالله بن سلام (رضي الله عنه) المعارك الكبرى مع النبي ﷺ، ثم

(١) أخرجه أحمد (٤٥١/٥) والترمذي (٢٤٨٧) والحاكم (١٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/٣٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣٠٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦/٦٢٢)، والترمذي (٥/٦٧١)

والنسائي في السنن الكبرى (٥/٧٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١٣٥)، و«التاريخ

الصغير» (١/٧٣) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١/٤٥).

تابع الجهاد في عهد الخلفاء الراشدين، حيث شهد مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتح بيت المقدس، وشهد فتح نهاوند<sup>(١)</sup>.

وقد بشر رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام بالجنة على ملأ من أصحابه وفيهم سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه). وذلك أن النبي ﷺ أتى بقصعة من ثريد، فأكل، ففضل منه فضلة، فقال: «يدخل من هذا الفخ رجل من أهل الجنة. يأكل هذه الفضلة». قال سعد: وقد كنت تركت أخي عمير بن أبي وقاص يتها لأن يأتي النبي ﷺ فطمعت أن يكون هو، فجاء عبد الله بن سلام، فأكلها<sup>(٢)</sup>.

وعن قيس بن عباد قال: كنت في مسجد المدينة، فجاء رجل بوجهه أثر من خشوع، فقال القوم: هذا من أهل الجنة، فصلى ركعتين، فأوجز فيهما، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله، فدخلت معه، فحدثته، فلما استأنس قلت: إنهم قالوا لما دخلت المسجد: كذا وكذا. قال: سبحان الله! ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك: إني رأيت رؤيا، فقصصتها على النبي ﷺ: رأيت كأنني في روضة خضراء، وسطها عمود حديد، أسفله في الأرض، وأعلى في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: اصعد عليه، فصعدت حتى أخذت بالعروة. فقيل: استمسك بالعروة، فاستيقظت وإنما لفي يدي، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فقصصتها عليه. فقال: «أما الروضة فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت».

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٢٢).

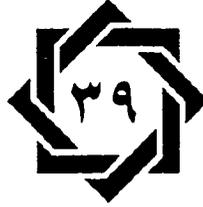
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/١٦٩ و ١٨٣)، والحاكم في مستدرکه (٣/٤١٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

قال: وهو عبدالله بن سلام<sup>(١)</sup>. توفي عبدالله سنة ثلاث وأربعين أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان<sup>(٢)</sup> فرضي الله عنه وأرضاه.



(١) أخرجه البخاري (٩٨/٧)، ومسلم (٢٤٨٤)، وأحمد (٤٥٢/٥).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢).



## أبو موسى الأشعري

الرياني العابد، والفاتح المجاهد

احتفل الأشعريون في بلاد اليمن ببلوغ عدد من غلمانهم مبلغ الشبان، وتجاوزهم فترة المراهقة، وعم الفرح القبيلة بأسرها: رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، وكانت تلك الليلة ليلة مشهودة.

ثم تقدم عدد من شباب هذه القبيلة إلى شيخ قبيلتهم، فلاث على رأس كل واحد منهم عمامة، ثم تكلم في الجمع كلمة عبر فيها عن اعتزازه بهذه الطائفة من أبناء قبيلته التي بلغت مبلغ الشبان، ورجاهم مستقبلاً سعيداً، وحثهم على أن يحفظوا كرامة قبيلتهم، وأن يكونوا شجعاناً في الذود عن شرفها، وطلب إليهم أن ينسجوا على منوال أبيهم الأول: منبت بن أدد، الذي اشتهر بلقب (الأشعر) لأن أمه ولدته وعليه شعر، والذي كان عظيم الشأن، كبير القدر بين الناس<sup>(١)</sup>.

(١) «أبو موسى الأشعري» محمد علي دولة.

وبعد كلمة شيخ القبيلة انصرف الحضور إلى ههنا.. وقضوا شطر ليلهم في ذلك. وكان من بينهم عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب.. بن الأشعر.. ابن يعرب بن قحطان<sup>(١)</sup>. كان شاباً قصيراً، خفيف الجسم<sup>(٢)</sup>. قد اخضر شاربه وسال عذاره، وكان يتيماً يعيش في رعاية أمه وأخوين يكبران، يقال لأحدهما: أبو بردة، وللآخر: أبو رهم<sup>(٣)</sup>، أمه ظبية بن وهب، أسلمت وماتت بالمدينة<sup>(٤)</sup>.

وقد أنكر على قومه تقديسهم للأصنام التي نصبها آبائهم وأجدادهم، وأنكر عليهم تعظيمهم للعزى ذلك الصنم الذي كان في نخلة، والذي عظمه سائر العرب، ورأى في تلك الأصنام حجارة حقيرة لا تستحق شيئاً من الاحترام، وجعل يعيب على قومه معتقداتهم بشجاعة، ولا يابيه لسخرتهم.

و شاء الله عز وجل أن يدخل أبو موسى الأشعري (عبدالله بن قيس) في الإسلام حيث قدم على النبي ﷺ في مكة، فأسلم، وحسن إسلامه، ثم رجع إلى أرضه حتى قدم هو وأناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

وقد أسلم معه عمه أبو عامر الأشعري، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ على جيش أوطاس فلقي دريد بن الصمة وهزم أصحابه، قال أبو موسى: فرمى جبل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته، فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه، فقعدت له، فلحقته، فلما رأني ولى هارباً فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ أأنت عربي؟ ألا

(١) انظر «الإصابة» (٤/٢١١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (٧/٣٦).

(٤) المرجع السابق (٨/٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٣).

تثبت؟ قال: فكف، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر فقلت قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته، فنزل منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يستغفر لي.. ثم مات أبو عامر.

قال أبو موسى: فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ توضحاً ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، فقلت ولي يا رسول الله؟ فقال: اللهم اغفر لعبد الله ابن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً»<sup>(١)</sup>.

### جهاده وصحبته للنبي ﷺ :

لقد لازم أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، وشهد معه كل المشاهد والغزوات بعد خيبر، ولم يفارقه في الحضر ولا في السفر، وجعلته كثرة ملازمته للنبي ﷺ يذكر لعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) هذه الفضيلة، قال: «قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله ابن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ووصف يوماً من أيام ملازمته للنبي ﷺ، فقال بعد أن توضأ في بيته وخرج: «لألزم رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجئت المسجد، فسألت عن النبي ﷺ فقالوا: خرج وجه هاهنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٢٣) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٨).

(٢) «البخاري - مع الفتح» (٣٧٦٣).

أريس، فجلست عند الباب - وبأبها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قُفها<sup>(١)</sup> وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «اأذن له وبشره بالجنة». فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه.

ثم رجعت، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: «اأذن له وبشره بالجنة»، فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله بالجنة، فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر.

ثم رجعت فجلست، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان ابن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اأذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فجئت فقلت: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل، فوجد القف قد ملأ، فجلس وجاهه من الشق الآخر<sup>(٢)</sup>.

وتحمل (رضي الله عنه) شظف العيش وشدة الجهاد مع رسول الله ﷺ، وقال لولده أبي بردة في ذلك: «لو رأيتنا ونحن نخرج مع نبينا ﷺ: إذا أصابتنا السماء

(١) ما بينى حول البئر.

(٢) «البخاري - مع الفتوح» (٧/٢١)، رقم (٣٦٧٤).

لوجدت منا ريح الضآن، من لباسنا الصوف»<sup>(١)</sup>.

وتحدث (رضي الله عنه) عن بعض غزواته مع النبي ﷺ وحراسته له في الليل، فقال: غزونا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فعرس<sup>(٢)</sup> بنا رسول الله ﷺ، فانتبهت بعض الليل إلى مناخ رسول الله ﷺ أطلبه، فلم أجده، فخرجت بارزاً أطلبه، وإذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يطلب ما أطلب، فبينما نحن كذلك إذ اتجه إلينا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، أنت بأرض حرب ولا نأمن عليك، فلولا إذ بدت لك الحاجة قلت لبعض أصحابك فقام معك، فقال رسول الله ﷺ: «إني سمعت هزيراً كهزير الرحي - أو حينياً كحين النحل - وأتاني آت من ربي عز وجل، فخيرني أن يدخل شطر أمتي الجنة وبين شفاعتي لهم، فاخترت شفاعتي لهم، وعلمت أنها أوسع لهم، فخيرني بأن يدخل ثلث أمتي الجنة وبين الشفاعة لهم، فاخترت لهم شفاعتي، وعلمت أنها أوسع لهم»، فقالا: يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك، قال: فدعا لهما.

ثم إنهما نبها أصحاب رسول الله ﷺ وأخبراهم بقول رسول الله ﷺ فجعلوا يأتونه ويقولون: يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك، فيدعو لهم، قال: فلما أضب عليه القوم وكشروا، قال رسول الله ﷺ: «إنها لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره لسورة الأحقاف (٢٦/٢١) وابن حبان (٤:٣٦) والحاكم (٤/٢٠٨) والترمذي (٤/٦٥٠) وقال: هذا حديث صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٤١٩) وغيرهم.

(٢) أي نزل في آخر الليل للراحة.

(٣) رواه أحمد (٤/٤١٥) وهذا لفظه والترمذي في كتاب صفة القيامة (٤٢٤١) وابن حبان (١٦/١٨٥) والحاكم (١/١٣٧) وقال الشيخ الأرئوط كما في تحقيقه للسير ٢/٤٩٠ =

ومن صور معاناته وجهاده مع رسول الله ﷺ ما تحدث عنه في قوله: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن في ستة نفر، بينما بعير نتعقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا».

قال ولده أبو بردة راوي الحديث عنه: «وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كرهه ذلك، قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه»<sup>(١)</sup>. وقد قاد (رضي الله عنه) الفتوح وجيوش المسلمين، لقد افتتح الأهواز سنة سبع عشرة، وأصبهان سنة ثلاث وعشرين<sup>(٢)</sup>.

#### عبادته وورعه:

اشتهر أبو موسى (رضي الله عنه) بكثرة عبادته وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى، فكان صواماً قواماً ربانياً زاهداً عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة ولا اغتر بالدنيا<sup>(٣)</sup>.

وكان كثير التهجد يصرف جزءاً كبيراً من الليل لقراءة القرآن في صلاة الليل، يفعل ذلك في جميع أحواله، في الحضر والسفر، والسلم والحرب، وقد استمع إليه النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن في صلاة الليل، أكثر من مرة. كما روى أبو بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك

= «إسناده صحيح».

(١) «البخاري» - مع الفتح رقم (٤١٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/٣٩١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/٣٩٦).

البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»<sup>(١)</sup>.

وكان (رضي الله عنه) يجمع في قيامه بالليل بين الصلاة وقراءة القرآن والدعاء والمناجاة، فعن مسروق قال: «خرجنا مع أبي موسى في غزاة، فجننا الليل في بستان خرب، فقام أبو موسى يصلي، وقرأ قراءة حسنة، وقال: اللهم أنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت السلام تحب السلام»<sup>(٢)</sup>.

وكان (رضي الله عنه) عظيم المراقبة لله عز وجل، شديد الخشية، وقد أورثه ذلك شدة حياء من ربه جل وعلا؛ ولهذا كان حريصاً على ألا تنكشف عورته أبداً في أثناء الاغتسال، فيغتسل في البيت المظلم حانياً ظهره، روي عنه أنه قال: «إني لأغتسل في البيت المظلم، فأحني ظهري حياء من ربي»<sup>(٣)</sup>.

وكان رقيق القلب غزير الدمع كثير البكاء، يخطب الناس فيذكرهم بالله تعالى ويبكي ويأمرهم بالبكاء.

في سنة أربع وأربعين للهجرة.. توفي عبدالله بن قيس (رضي الله عنه)<sup>(٤)</sup>، بعد حياة حافلة بالجهاد والعبادة والتضحية في سبيل الله، فرضي الله عن أبي موسى الأشعري الفاتح المجاهد والمتعبد الخاشع الحبي الأواب.



(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين برقم (٧٩٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣٩٣/٢).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١١٣-١١٤/٤) و «حلية الأولياء» (٢٦٠/١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤٠١/٢).

(٤) على الصحيح: انظر «سير أعلام النبلاء» (٣٩٨/٢).



## زيد بن ثابت

### كاتب الوحي وجامع القرآن

زيد بن ثابت بن زيد بن لوزان بن عمرو.. الأنصاري الخزرجي، رجل من سر العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم، أصل راسخ، وفرع شامخ، وحسب شادخ<sup>(١)</sup>، كريم الطرفين، شريف الجانبين، يستوفي شرف الأرومة بكرم الأبوة والأمومة، ذو نسب فخم، وشرف ضخم، المجد لسان أوصافه، والشرف نسب أسلافه، إذ هو ينتمي إلى بني النجار من الخزرج، وأنعم بهم من معشر صدق، وقوم صبر<sup>(٢)</sup>، وفيهم يقول النبي ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي منتشر ومتسع، انظر «القاموس المحيط» ص ٣٢٤.

(٢) «زيد بن ثابت» تأليف الأستاذ صفوان داودي.

(٣) البخاري (مع الفتح) (٧/١١٥)، رقم (٣٧٨٩).

فإلى هذا المجد الأصيل والشرف النبيل (بني النجار) يرجع زيد بن ثابت (رضي الله عنه) وأبوه: ثابت بن زيد قُتِلَ يوم بعاث، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بخمس سنين، وكان عُمرُ زيد إذ ذاك ست سنين، وفي ذلك يقول زيد (رضي الله عنه): (كانت وقعة بعاث وأنا ابن ست سنين، وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ بخمس سنين، فقدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة)<sup>(١)</sup>.

ويوم بعاث من الأيام المشهورة في الجاهلية، وكانت به وقعة عظيمة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه حضير، والد أسد بن حضير، وكان رئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي<sup>(٢)</sup>. وأمه هي النوار بنت مالك بن صرمة بن عدي، أدركت الإسلام وأسلمت، وروت عن النبي ﷺ، وقد تزوجها ثابت بن زيد، فلما قُتِلَ يوم بعاث تزوجت عمارة بن حزم، من بني النجار، وهو صحابي جليل من سادات الأنصار<sup>(٣)</sup>. وفي كنف عمارة وتحت رعايته عاش زيد بن ثابت (رضي الله عنه) يتيمًا، فأكرمه عمارة، واعتنى به.

وكان لعماراة من المنزلة الرفيعة والمرتبة المنيفة ما جعله يحمل راية بني مالك ابن النجار يوم فتح مكة، ثم أخذها رسول الله ﷺ فدفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: لا، ولكن القرآن مقدّم<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٤٢١)، وانظر «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٣٢).

(٢) انظر «البدایة والنهاية» (٧/١٠١).

(٣) انظر «الإصابة» (٨/١٤٤)، و «الطبقات الكبرى» (٨/٤١٩).

(٤) كذا ذكره ابن حجر في «الإصابة» (٢/٥٩٣) ولم أقف على درجة الحديث.

وقد استشهد عمارة باليامة سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة، وكانت زوجته أم النوار قد ولدت له ولداً اسمه مالك، ولا عقب له<sup>(١)</sup>.

وعاش زيد بن ثابت مبجلاً محترماً بين الصحابة كما قال الشعبي. ركب زيد ابن ثابت، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال له زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يديك؟ فأخرج يديه، فقبلهما، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا<sup>(٢)</sup>.

### جهاده :

ولما دخل زيد بن ثابت في دين الله، وتمسك به، ما لبث إلا يسيراً حتى خالطت بشاشة هذا الدين قلبه، وغمر النور فؤاده، وشرح الله صدره، فأحبّ أن يبذل كل ما لديه في نصرة هذا الدين الحنيف، فتاقت نفسه المؤمنة إلى الجهاد في سبيل الله، وعزم على المشاركة في جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ وخشي أن يفوته شيء منها فيفوته بذلك أجر عظيم.

وهذا شأن كل مؤمن يحب الله ورسوله، فما كان منه، لما سمع بمسير الناس للتعرض إلى قافلة أبي سفيان، والتي كانت نتيجتها غزوة بدر، إلا أن أعدّ نفسه وهيئاً للمسير مع القوم، وهو صغير لا يجاوز عمره الثانية عشرة، لأنه أراد إثبات رجولته، وأن صغره لا يعارض مقصده، لكن النبي ﷺ أشفق عليه، فردّه لصغر سنه، فرجع الفتى حزيناً على ما فاته من الأجر العظيم، والخير الجزيل، في أول لقاء مباشر بين الحق والباطل، فرجع وهو يتحدث نفسه بالجهاد، ويتمنى محاربة الكفار<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «الطبقات الكبرى» (٤٨٦/٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٣٧١/٨)، و«الإصابة» (٥٩٤/٢).

(٣) انظر «الإصابة» (٥٩٣/٢).

وقد شهد زيد معركة الخندق سنة خمس من الهجرة فأبلى فيها بلاءً حسناً، فسُرَّ به النبي ﷺ، وبقي يعمل بجِد ونشاط حتى رجع من المعركة منتصراً فرحاً بفضل الله ورحمته حيث يسَّر له الذهاب مع رسول الله ﷺ واشترك معه في الجهاد<sup>(١)</sup>.

ومن مشاهدته بعد رسول الله ﷺ وقعة اليرموك في زمن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وهو الذي تولى قسمة الغنائم بين المسلمين في ذلك اليوم العظيم، وكانت غنائم كثيرة جداً<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن زيد بن ثابت شهد وقعة اليمامة، وذلك في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، لما ارتدَّت العرب عن الإسلام، وقد أصيب فيها بسهم، لكنه لم يضره<sup>(٣)</sup>.

### جمعه للقرآن :

وقد قام ﷺ بجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولنستمع إلى حديثه وهو يقول: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتل اليمامة» أي زمان مقتل القراء في اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب» فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل استحرَّ بأهل اليمامة من قراء المسلمين، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن لا يوعى، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لهم: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟! فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله بذلك صدري، فرأيتُ فيه الذي رأى عمر.

(١) انظر «الإصابة» (٢/٥٩٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/٥٥٣).

قال زيد بن ثابت: فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فاتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قال: فقلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. قال: فكنت أتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسْب وصدور الرجال»<sup>(١)</sup>.

ولما أراد عثمان بن عفان كتابة المصحف الإمام قال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأبي الناس أعرب؟ أي أفصح. قالوا: سعيد بن العاص، وكان سعيد بن العاص أشبه لهجة برسول الله ﷺ، قال أمير المؤمنين عثمان: فليعمل سعيد، وليكتب زيد، فكتب مصاحف فرقها في الناس<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: (وقرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتابة المصاحف، رضي الله عنهم أجمعين)<sup>(٣)</sup>.

وفاته:

طوى زيد مراحل الشباب، وأنفق من عمره في الطاعة بغير حساب، فإذا هو

(١) البخاري (مع الفتح) (١٠/٩)، رقم (٤٩٨٦).

(٢) «المرشد الوجيز» لأبي شامة المقدسي (ص ٦٥).

(٣) المرجع السابق (ص ٦٩).

رجل قد تناهت به الأيام تحليماً وتهذيباً، وتناهت به السن تحكياً وتجريباً، وقد بلغ ساحل الحياة، ووقف على ثنية الوداع، وأشرف على دار المقام، ثم انقضت أيامه العامرة بالعبادة والعلم والتعليم، فلما جاء نعيه عزَّ على الأصحاب مسمعه، وأثر في القلوب موقعه، فكان خبراً أخرج الصدر، وأحلَّ البكاء<sup>(١)</sup>.

قال أبو الزناد: (لما مات زيد بن ثابت، وصلى عليه مروان، ونزل نساء العوالي<sup>(٢)</sup>)، وجاء نساء الأنصار، فجعل خارجه يذكرهن بالله: لا تبكين عليه. فقلن: لا نسمع منك، ولنبيكينَّ عليه ثلاثاً، وغلبته<sup>(٣)</sup>. فبكى النساء عليه، وحقَّ ذلك لهن؛ لأنَّ في إسبال العبرة وإطلاق الزفرة تنفيساً من بُرْحاء القلوب، وتخفيفاً من أثقال الكروب.

وعن يحيى بن سعيد قال: لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات حبر الأمة! ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً<sup>(٤)</sup>، وأصح الأقوال في وفاته أنها كانت سنة ٤٥ عن عُمر يقارب ستاً وخمسين سنة، وقيل: توفي سنة ٥٠ هـ والله أعلم.

وفيه (رضي الله عنه) يقول حسان بن ثابت:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه      ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت<sup>(٥)</sup>  
فرحمة الله ورضوانه على زيد بن ثابت، فقد كان عالماً في شخص، وأمة في

(١) «زيد بن ثابت» تأليف الأستاذ صفوان عدنان داودي.

(٢) العوالي: موضع بينه وبين المدينة أربعة أميال، وأبعدها من جهة نجد ثمانية.

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/٤٤٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/٤٣٩).

(٥) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/٤٤٠).

نفس، لقد فاح فتيت المسك من مآثره، كما كان يفوح من مجامره. ورحمة الله ورضوانه على زيد بن ثابت، فقد كان منزله مآلف الأضياف، ومأنس العلماء والأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد، فاستبدل بالأنس أنساً، وبالنضارة عبرة، وبالضياء ضياء<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا به يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه خير مأمول وأكرم مسؤول، لا يرد من دعاه، ولا يُجيب من رجاه.



(١) «زيد بن ثابت» مرجع سابق.



## كعب بن مالك

### شاعر العقيدة الإسلامية

كعب بن مالك شاعر كبير من شعراء الإسلام، وأحد أولئك الأنصار الكرام الذين نصرُوا رسول الله ﷺ وذادوا عن دينهم بالغالي والرخيص.. وفاق غيره بأن كان مجاهداً بسيفه ولسانه، ويده وبيانه، يحضر المعارك، ويبلي فيها البلاء الحسن، ويرسل أشعاره مدوية مزججة، يهدد أعداء الله، وينصر دينه.

والده: مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد، له في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينها قبل الإسلام مواقف وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب ممن شهد بدرًا وهو شاعر أيضاً.

وأمه: ليلي بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبقات الكبرى» (١/١٠٢).

## إسلامه:

أسلم كعب ﷺ مبكراً، فكان من أوائل الأنصار في المدينة، فما إن وصل نور الإسلام إلى يثرب حتى أضاء جوانب نفسه، وانشرح صدره للإيمان، فأمن بالإسلام، وصدق رسوله عليه الصلاة والسلام في الوقت الذي لم يكن في المدينة أكثر من أربعين رجلاً من المسلمين، وصلى الجمعة فيها قبل هجرة الرسول ﷺ إليها.

قال عبدالرحمن بن كعب: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمع، فسمع الأذان بها صلى<sup>(١)</sup> على أبي أمامة سعد بن زرارة قال: فقلت: يا أبت، ما لك إذا سمعت الأذان بالجمعة صليت على أبي أمامة؟ قال: فقال: أي بني، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة، يقال له: نقيع الخضعات، قلت له: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت العقبة الثانية توجه كعب مع اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين. ممن كانوا طلائع الإسلام الأولى في المدينة إلى مكة، حيث وافوا رسول الله ﷺ في العقبة، وبايعوه على الإسلام والإيواء والنصر، وتجمع المصادر على وجوده مع هؤلاء الاثنيين والسبعين ولذلك قيل عنه عقبى<sup>(٣)</sup>.

## جهاده:

كما حارب كعب أعداء الله تعالى بلسانه، وذنب عن الرسول ﷺ بشعره، فقد

(١) صلى عليه: أي دعا له.

(٢) انظر «أخبار مكة» للفاكهاني (٤/٢٣٤)، و«الإصابة» (١/٥٥) و«سير أعلام النبلاء»

(١/٣٠٠) و«معجم البلدان» لياقوت (٥/٤٠٤) و«معجم ما استعجم» للبكري

(٤/١٢٩٦)، وانظر «البداية والنهاية» (٣/٢٢٩).

(٣) انظر «الإصابة» (٥/٦١١) و«السير» (٢/٥٢٣).

جاهد ﷺ بسيفه، واشترك مع النبي ﷺ في جميع المشاهد إلا غزوتي بدر وتبوك، وقيل إنه شهد بدرًا، وهذا وهم ينفيه قول كعب نفسه: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر»<sup>(١)</sup> ولم يكن تخلفه يوم بدر عن قصد أو تهاون، إذ تخلف معه قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، لم يحسبوا أن المسلمين سيحاربون، منهم أسيد بن حضير، وسعد بن عباد، ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة هنا أسيد بنصر الله له، وإظهاره إياه على عدوه، واعتذر عن تخلفه وقال: إنما ظننت أنها العير، ولم أظن أنك تحارب، فصدقه رسول الله ﷺ.

وقال كعب: تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. وفي غزوة أحد لبس كعب لأمة الرسول ﷺ وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمته، فجرح كعب سبعة عشر جرحاً<sup>(٢)</sup>، ولما وقعت الهزيمة بالمسلمين في غزوة أحد، وأخذ شعراء المشركين يفتخرون بذلك قال كعب:

وفينا رسول الله نتبع أمره	إذا قال فينا القول لا نتطلع
وتدلي عليه الروح من عنده	ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا	إذا ما انتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدونا لنا	ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقرباً	إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا	على الله إن الأمر لله أجمع

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة برقم (٢٧٦٩).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٢٤).

إلى أن يقول:

عمدنا إلى أهل اللواء وإن يطر      بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع  
فخانوا وقد أعطوا يداً وتحاذلوا      أبى الله إلا أمره وهو أصنع<sup>(١)</sup>  
ولم تقعد بكعب وقومه هذه الجراح المثخنة عن متابعة الجهاد في سبيل الله، إذ  
بعد أحد التي جرحوا فيها بيوم واحد فقط، طلب رسول الله ﷺ من المسلمين أن  
يخرجوا لقتال العدو في غزوة حمراء الأسد، فوثب المسلمون إلى أسلحتهم، وما  
عرجوا على جراحاتهم، فحققوا بذلك ولاءهم لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة  
والسلام.

#### قصة تخلفه عن غزوة تبوك:

إن قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه وتوبة الله تعالى عليه وعلى صاحبيه اللذين تخلفا معه  
قد اشتهرت في كتب الحديث والتاريخ والسير، لما نزل فيها من قرآن، وامتحن  
فيها كعب وصاحبا امتحاناً عسيراً، خرجوا منه بتوبة الله عليهم وعذرهم.  
وكانت غزوة تبوك في حر شديد، فأصاب المسلمين الجهد حتى سميت غزوة  
العسرة، وصفها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك،  
في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى  
إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى  
إن الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبه».  
وتخلف عن هذه الغزوة بسبب هذا الحر بضعة وثمانون رجلاً من المدينة،  
أغلبهم مغموص عليه في النفاق، أو ضعيف، وها هو كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٩١)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٥٤، ٥٥).

لنا قصة تخلفه عن غزوة تبوك فيقول: «كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي راحلتان قط، حتى جمعتها في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحي من الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة، حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو كي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجهد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم ولتيني فقلت فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك، «ما فعل كعب؟»، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت: والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرنى همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس.

فلما فعل جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجنته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال». فجننت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»، فقلت: «بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه. إني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك». فقامت وقام رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم. رجلان قالوا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين

صالحين قد شهدا بدرأ، فيهما أسوة، فمضيتُ حين ذكروهما.  
 ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه،  
 فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف،  
 فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتها يبكيان،  
 وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين،  
 وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ وأسلم عليه وهو في  
 مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرّك شفّتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي  
 قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفت نحوه  
 أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت  
 جدار أبي قتادة وهو ابن عمي. وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ  
 السلام، فقلتُ: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت،  
 فعدتُ له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، وتوليت، حتى  
 تسورت الجدار.

قال: فيينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا بنبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم  
 بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون  
 له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه:  
 أما بعد: فإنه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا  
 مضیعة، فالحق بنا نواسك.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتميمت بها التنور، فسجرت به حتى  
 إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن  
 رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك.

فقلتُ: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقر بها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقني بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: جاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك». قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع<sup>(١)</sup> بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزعته له ثوبياً، فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، فاستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً

(١) هو جبل في سوق المدينة.

فوجأ، ليهنثوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيدالله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله». وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله. إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال ﷺ: «أمسك مالك، فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير. فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومنا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله ما بقيت.

وأنزل الله على رسوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد. فقال تبارك وتعالى ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنِ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿﴾ [التوبة: ٩٥ - ٩٦].

قال كعب: وكنا نخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الذِّبِّ خُلِفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه فقبل منه<sup>(١)</sup>.

وبقصة كعب المؤثرة يظهر إيمانه العميق، وإسلامه الكامل، وكان أكثر شيء يُحيف كعباً أن يموت قبل أن ينزل الله توبته. قال: «ما من شيء أهم إليّ من أن أموت، فلا يصلي على النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم أو يصلي عليّ»<sup>(٢)</sup>.

وقد بلغ به التأثر والندم ما جعله يخرج من أهله إلى الرقة<sup>(٣)</sup> ويتخذ فسطاطاً

(١) انظر في قصة تخلف كعب عن غزوة تبوك: البخاري (٨/٨٦)، ومسلم (٢٧٦٩)،

ومسند الإمام أحمد (٦/٣٨٧، ٣٩٠)، وسيرة ابن هشام (٢/٥٢٠).

(٢) البخاري (٤/١٧١٨).

(٣) الرقة: كل أرض تكون إلى جانب وادٍ ينسبط عليها الماء أيام المد، ثم ينحسر عنها، انظر «معجم ما استعجم» (٢/٦٦٦).

يأوي إليه بالليل، ويتعبد الله في الشمس بالنهار، ثم رجع إلى سلع، وكان يقيم به النهار صائماً، ويأوي إلى داره بالليل، حتى نزلت توبته، فكان فرحه لا يوصف، وتصويره له في القصة يغني عن كل وصف.

وقصته مليئة بالدروس والعبر لمن تأملها وأنعم النظر فيها، ولعلي أفردتها بكتاب مستقل - إن شاء الله تعالى - .

عاش كعب بن مالك إلى زمن معاوية بن أبي سفيان حيث توفي سنة خمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين<sup>(١)</sup>، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد ذهب بصره في آخر عمره<sup>(٢)</sup>.

رحمه الله تعالى ورضي عنه.



(١) انظر «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (١/٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/٥٢٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٢٤).



## عبدالله بن أنيس

### صاحب المخصرة

نحن الآن مع أحد أصحاب النبي ﷺ، الذي نذر نفسه للذود عن حياض الإسلام، فكان في المعارك فارساً كبيراً، وبطلاً مغواراً، وفقه الله - عز وجل - لقتل اثنين من صناديد الكفر، هما سلام بن أبي الحقيق، وخالد بن نبيح الهذلي كما سيأتي. ذلكم هو عبدالله بن أنيس بن أسعد، الذي ينتهي نسبه إلى قضاة، كان حليفاً لبني سلمة من الأنصار، فيقال له الأنصاري والجهني والقضاعي والسلمي<sup>(١)</sup>، وقد قدم إلى المدينة وتزوج من هزيمة بنت مسعود بن زيد بن سبيع ابن خنساء من بني سلمة، وكانت قد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، له من الأولاد أربعة: عطية، وعمرو، وضمرة، وعبدالله<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «البداية والنهاية» (١٦٧/٣)، و«الإصابة» (١٦/٤).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٤٠٧/٨).

(٣) «الإصابة» (١٦/٤).

أخى الرسول ﷺ بينه وبين أرقم بن أبي الأرقم، اسمه عبد مناف بن أسد بن جندب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسلم قديماً، وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً في داره عند الصفا، وتعرف تلك الدار بالخيزران. هاجر وشهد بدرًا وما بعدها<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه).

وذكر ابن حجر - يرحمه الله - منقبة عظيمة لعبدالله، فقال: «وكان أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار»<sup>(٢)</sup>.

ولما هاجر النبي ﷺ كان عبدالله ضمن مجموعة الأنصار في العقبة الثانية، يوم أخذ عليهم الرسول ﷺ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم، ولهم الجنة إن وقوا، في ذلك اليوم بايع عبدالله بن أنيس النبي على ما يرضي الله ورسوله<sup>(٣)</sup>، وأكد مقاله بفعله لما شهد غزوة بدر<sup>(٤)</sup>.

عبدالله بن أنيس يقتل سلام بن أبي الحقيق :

من فضل الله - تعالى - على عبدالله توفيقه لقتل عدو لدود من أعداء الإسلام، هو اليهودي سلام بن أبي الحقيق وقصة ذلك: لما انقضى شأن الخندق، وهزم الله الأحزاب، ظهرت عداوة بني قريظة، فحكم الرسول ﷺ فيهم سعد بن معاذ ؓ الذي قضى بقتلهم، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ملك خبير ممن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، ومن أشد الناس عداوة للرسول ﷺ والإسلام<sup>(٥)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (٥/٣٤١).

(٢) «الإصابة» (٤/١٦).

(٣) انظر «أخبار مكة» للفاكهي (٤/٢٤٢).

(٤) انظر «البداية والنهاية» (٤/١٣٧).

(٥) المرجع السابق (٤/٩٤).

وفي إحدى المجالس تذاكر الخزرج عداوة سلام بن أبي الحقيق لرسول الله ﷺ وللمسلمين، ورأوا أن من أفضل الأعمال قتله والتخلص منه.

واستطاع نفر من الخزرج أن يحصلوا على موافقة النبي ﷺ في التخلص من سلام بن أبي الحقيق بعدما تبين لهم أنه أشد خطراً على المسلمين من كعب بن الأشرف اليهودي الذي قتل قبل، فاستأذنوا رسول الله ﷺ بالخروج لقتله، فأذن لهم<sup>(١)</sup>، وخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر فيهم عبدالله بن أنيس، وأمر رسول الله ﷺ عبدالله بن عتيك (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup>.

ولما قدموا خيبر كانت الشمس قد غربت وراح الناس بسرهم، قال لهم عبدالله بن عتيك: اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطف للبواب لعليّ أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبدالله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، ودخل عبدالله مع الناس، وكمن قريباً يراقب الحارس، حتى إذا دخل الناس أغلق الباب ووضع مفتاح الحصن في كوة وانصرف، ولما جاء الليل نهض عبدالله ابن عتيك وفتح باب الحصن، وأشار إلى أصحابه فسارعوا إلى الدخول وأتوا دار ابن أبي الحقيق، ولم يدعوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهلها، وكان عدو الله ابن أبي الحقيق في عليّة له فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا، فخرجت إليهم امرأته فقالت: مَنْ أنتم؟

قالوا: أناس من العرب نلتمس الميرة؟

(١) «البداية والنهاية» (١٣٧/٤)، و «تاريخ الأمم والملوك» (٥٦/٢).

(٢) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (٢٠٨/٢).

قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه .

ولما دخلوا عليه أغلقوا الباب على أنفسهم وابتدره الجميع وهو على فراشه بسيوفهم فصرخت امرأته لتنبه أهل الحصن عليهم، فلما صاحت جعل الرجل منهم يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان فيكف يده<sup>(١)</sup>.

يقول عبدالله بن عتيك محدثاً عن سلام بن أبي الحقيق: «فلما ضربناه بأسيا فنا تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني، أي: حسبي حسبي»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الحادثة وقع عبدالله بن عتيك من الدرجة لضعف بصره، فأصببت رجله، وانطلقوا مسرعين حذر اليهود الذين خرجوا يطلبونهم، فلما يئسوا رجعوا إلى حصونهم، وكان المسلمون قد كمنوا بعيداً عن الحصن، وهنا تساءلوا بينهم فقالوا: كيف لنا أن نعلم أن عدو الله قد مات؟

وقام عبدالله بن أنيس وانطلق حتى إذا دخل في الناس سمع امرأة أبي رافع تقول: فاظ وإله يهود، وفرح بذلك فرحاً عظيماً، قال: «فما سمعت كلمة ألد على نفسي منها»، ثم رجع وأخبر أصحابه بمقتل عدو الله، ثم احتملوا صاحبهم وقدموا على رسول الله ﷺ في المدينة، وبشروه بمقتل ابن أبي الحقيق<sup>(٣)</sup>، وفي بعض الروايات: فاختلفنا عنده في قتله، فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيا فكم» فجئناه

(١) انظر «تاريخ الأمم والملوك» (٥٦/٢)، و«الإصابة» (١٦٨/٤) و(٣٤/٦) و(١٠٠/٦).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٣٧/٤)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٥٧/٢).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣٨/٤)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٥٧/٢).

فجئناه بها فنظر إليها، فقال لسيف عبدالله بن أنيس: «هذا قتله»<sup>(١)</sup>.

وهنا قام حسان بن ثابت (رضي الله عنه) يذكر ذلك مبتهجاً مسروراً:

لله در عصابة لاقيتهم  
يسرون بالبيض الخفاف إليكم  
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف  
مرحاً كأسد في عرين مغرف  
حتى أتوكم في محل بلادكم  
فسقوكم حتفاً بيض ذفف  
مستبصرين لنصر دين نبيهم  
مستصغرين لكل أمر مجحف<sup>(٢)</sup>

عبدالله بن أنيس ومقتل أسير بن رزام :

بعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق أجمع اليهود أمرهم وجعلوا أسير بن رزام ملكاً عليهم، فجعل يفكر في طريقة جديدة لغزوة المسلمين.

وبلغ رسول الله ﷺ ما عزم عليه أسير بن رزام، فبعث عبدالله بن رواحة (رضي الله عنه) في ثلاثين راكباً إلى أسير، وكان معه عبدالله بن أنيس.

قال: عبدالله بن أنيس: خرجنا حتى قدمنا خيبر فأرسلنا إلى أسير: إنا آمنون حتى نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له؟

قال: نعم. ولي ذلك منكم؟

قلنا: نعم.

فدخلنا عليه فقلنا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك وشاور اليهود فخالفوه في الخروج وقالوا:

ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل!

فقال: بلى قد مللنا الحرب.

(١) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٧٥ / ١١) ولم أقف على درجته.

(٢) موضع على بعد ستة أميال من خيبر.

فخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين، فسرنا حتى إذا كنا بقرقرة ثبار<sup>(١)</sup> ندم أسير حتى عرفنا الندامة فيه.

قال عبدالله بن أنيس: وأهوى إلى سيفي ففطنت له، فدفعت بعيري فقلت: غدراً أي عدو الله! ثم تناومت فدنوت منه لأنظر ما يصنع، فتناول سيفي فغمزت بعين وقلت: هل من رجل ينزل فيسوق بنا؟ فلم ينزل أحد، فنزلت عن بعيري فسقت بالقوم حتى انفرد أسير فضربته بالسيف فقطعت مؤخرة الرجل وأندرت<sup>(٢)</sup> عامة فخذة وساقه وسقط عن بعيره وفي يده مخرش من شوحط<sup>(٣)</sup>، فضررتني فشجني شجة مأمومة<sup>(٤)</sup>، ولم يُصب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال: «تمشوا بنا إلى الثنية نتحسب من أصحابنا خبراً»، فخرجوا معه، فلما أشرفوا على الثنية فإذا هم بسرعان أصحابنا، فجلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وانتهينا إليه فحدثناه الحديث، فقال: «نجاكم الله من القوم الظالمين»<sup>(٥)</sup>.

قال عبدالله بن أنيس: فدنوت إلى النبي ﷺ فنفت في شجتي فلم تقح بعد ذلك اليوم ولم تؤذني وقد كان العظم فل، ومسح على وجهي ودعاني<sup>(٦)</sup>.

(١) موضع على بعد ستة أميال من خيبر.

(٢) أسقطت.

(٣) هي عصا معوجة الرأس، والشوحط: نوع من شجر الجبال.

(٤) أي بلغت أم الرأس.

(٥) «الطبقات الكبرى» (٢/٩٢).

(٦) انظر «البداية والنهاية» (٥/٢١٩).

عبدالله بن أنيس يقتل ابن نبيح الهذلي :

بلغ رسول الله ﷺ وهو في المدينة أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع الجموع لرسول الله ﷺ، وهو ينزل في مكان يُسمى عُرنة أو نخلة<sup>(١)</sup>. وقد اجتمع حوله عدد كبير من الناس من هزيل وغيرهم ممن جمعهم الطمع والسرقة، وكان هؤلاء مع قوم خالد بن سفيان يعيشون حياة الفسق والفجور.

رأى رسول الله ﷺ أنه إذا قضى على هذا الباغي تبذرت القبائل وانفصت الجموع من حوله، فقال ﷺ: «من لي بخالد بن نبيح»، فقال عبدالله بن أنيس: أنا يا رسول الله، انعته لي، قال: «إذا رأيته هبته»، قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما هبْتُ شيئاً قط، فخرج عبدالله بن أنيس حتى وصل جبال عرنة فلقية قبل أن تغيب الشمس، قال عبدالله: فلقيت رجلاً فرُعبت منه حين رأيته، فعرفت حين قربت منه أنه ما قال رسول الله. فقال لي: مَنْ الرجل؟ فقلتُ: باغي حاجة، هل من مبيت؟ قال: نعم، فالحق، فرحت في أثره، فصليت العصر ركعتين خفيفتين، وأشفقت أن يراني، ثم لحقته فضربته بالسيف، ثم خرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال محمد بن كعب، فأعطاه رسول الله ﷺ مخرصة فقال: «تخصّر بهذه حتى تلقاني يوم القيامة وأقل الناس يوم القيامة المتخصّرون»<sup>(٢) (٣)</sup>.

وقال عبدالله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح فترى كل جيب مُعدِّدٍ

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه الطبراني ورجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٦/٢٠٤)، والمخرصة: العصا، وانظر «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم الشيباني (٤/٧٧)، و«الطبقات الكبرى» (٢/٥٠).

(٣) المتخصّرون: المتكئون على العصا.

تناولته والظعن خلفي وخلفه  
عجوم لهام الدارعين كأنه  
أقول له والسيف يعجم رأسه  
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره  
وقلت له خذها بضربة ماجد  
وكنتُ إذا همَّ النبي بكافر

ولما توفي الرسول ﷺ حزن عبدالله على فراقه حزناً عظيماً، فرثاه بأبيات منها:

تطاول ليلى واعترتني القوارع  
غداة نعى الناعي إلينا محمداً  
فلوردً ميتاً قتل نفسي قتلها  
فأليتُ لا أثنى على هلك هالك  
ولكنني باك عليه ومتبع  
وقد قبض الله النبيين قبله  
فياليت شعري من يقوم بأمرنا  
ثلاثة رهط من قريش همُّ

وقد ذهب عبدالله بن أنيس إلى الشام ومصر يتابع خطوات الجهاد والعمل للإسلام، ومن أعجب أحواله بمصر أن جابر بن عبدالله رضي الله عنه رحل إليه مسيرة شهر لسمع منه حديثاً في القصاص. قال رضي الله عنه: بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر فرحلت إليه مسيرة شهر فذكر عبدالله رضي الله عنه.

(١) «البداية والنهاية» (٤/١٤١).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢/٩٢).

(٣) «الإصابة» (٤/١٦).

وفي سنة أربع وخمسين وفي الشام<sup>(١)</sup> أحس عبدالله بن أنيس بقرب موته، فتحسَّس العصا التي أعطاه إياها رسول الله ﷺ، ودعا أهله، وأوصاهم أن يدفنوا معه تلك العصا، قال ابن كثير: «فلم تنزل حتى إذا مات أمر بها فُضِّمَتْ في كفنه ثم دُفِنَا جَمِيعاً»<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر المرجع السابق.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/١٤٠)، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/٢٠٨)، و«حلية الأولياء»

(٥/٢).



## أبو هريرة

### كبير حافظ الحديث

أبو هريرة واسمه عبدالرحمن بن صخر الدوسي<sup>(١)</sup>، صحابي جليل مشهور، أسلم سنة سبع<sup>(٢)</sup>.

كان أشهر من سكن الصُفَّة واستوطنها طول عمر النبي ﷺ، ولم ينتقل عنها، وكان عريف من سكن الصفة من القاطنين، ومن نزلها من الطارقين<sup>(٣)</sup>. وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين في زمن النبي ﷺ، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الإكثار من تحصيل العلم من رسول الله ﷺ.

قال ﷺ متحدثاً عن شدة الجوع الذي كان يلقاه فيصبر عليه: «لقد رأيتني

(١) انظر «حلية الأولياء» (١/١٣٧٦) و«معرفه القراء الكبار» للذهبي (١/٤٣).

(٢) «معرفه القراء الكبار» (١/٤٤).

(٣) «حلية الأولياء» (١/٣٧٦).

أخّرَ فيما بين المنبر والحجر من الجوع فيمر المار فيقول: به جنون، وما بي إلا الجوع، والله الذي لا إله إلا هو، لقد كنت أعتد بكبدي على الأرض من الجوع، وأشدّ الحجر على بطني، ولقد أستقرىء أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه وما بي إلا أن يستبعني إلى منزله فيطعمني شيئاً<sup>(١)</sup>.

كُنِّيَ أبا هريرة لسبب ذكره هو بنفسه قال: كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها فكنوني أبا هريرة<sup>(٢)</sup>.

وذكر في وصفه أنه كان آدم، بعيد ما بين المنكبين ذا ضفيرتين، أفرق الشيتين<sup>(٣)</sup>. وقد أسعد أبا هريرة ما لقيه من عطف النبي ﷺ، وأسعده أن نال أمنيته العظمى وهي عيشه إلى جوار النبي ﷺ، وتعلمه منه.

لكن أمراً واحداً كان يحزنه حزناً شديداً، ويعكر عليه صفو سعادته، ذلك الأمر هو بقاء أمه على الشرك، ورفضها أن تؤمن بالله ورسوله، فقد دعاها إلى الإسلام مراراً، فكانت ترفض الاستجابة.

ولم يكف أبو هريرة عن دعائها إلى الله، ولم ييأس منها، فأخذ يناشدها كل يوم أن تؤمن بالله ورسوله، واغتاضت منه في يوم من الأيام، فأسمعتة كلاماً في النبي عليه الصلاة والسلام، وحزن أبو هريرة للذي بدر من أمه أشد الحزن، وحمل من ذلك همماً عظيماً، وخشي على والدته أن يصيبها بأس من الله، وخشي على نفسه أن يكون سبباً فيما نال النبي ﷺ من أذى والدته، وفكر في أمره فلم يجد

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي وحسن ابن حجر إسناده كما في الإصابة (٧/ ٤٢٦).

(٣) انظر «الإصابة» (٧/ ٤٣٤).

- بعد الله - سوى رسول الله ﷺ مسعفاً في هذا الأمر العسير.  
أسرع أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ، ودخل عليه مسجده ودموعه تبلل وجهه ولحيته، وسلّم وجلس، وبادره النبي ﷺ: «ما لك أبا هريرة؟»، فأجاب: (يا رسول الله، إني دعوت أمي إلى الإسلام فكانت تأبى عليّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة).

وأجابه رسول الله ﷺ لطلبه، فرفع يديه وقال: «اللهم اهدِ أم أبي هريرة»<sup>(١)</sup>.  
وفرّح أبو هريرة بدعوة النبي ﷺ، واستبشر بها خيراً، وخرج بعد وقت قصير من عند النبي ﷺ يريد أن يبشّر أمه بتلك الدعوة المباركة.. وسرعان ما لبى الله تعالى دعوة نبيه ﷺ، وسرعان ما أكرم الله عبده الصالح أبا هريرة في أمه، تقول إحدى الروايات: «فخرجت عدواً فإذا الباب مجاف وسمعت حصى الماء، ثم فتحت الباب، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فرجعت وأنا أبكي من الفرح»<sup>(٢)</sup>

وشعر أبو هريرة بعد إسلام أمه أنهما عظيماً قد انجاب عن فؤاده، وأدرك أنه لم يبق أمامه شيء يعوقه عن تفرغ قلبه وسمعه وبصره لرسول الله ﷺ ليفهم الإسلام فهماً تاماً، وليدرك ما فاتته من العلم.

وقد لزم أبو هريرة صحبة النبي ﷺ، فكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً، اتفق الشيخان على ثلاثمائة وستة وعشرين، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثاً، ومسلم بثمانية وتسعين حديثاً<sup>(٣)</sup>،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٩٣)، وهو في «صحيح مسلم» (١٦/٥٢) بشرح النووي.

(٢) «الإصابة» (٧/٤٣٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/٦٣٢).

وكان الشافعي يقول: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره<sup>(١)</sup>.

عاش أبو هريرة بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنة، كان شغله الشاغل فيها تعليم الناس، وتفقيهم في دينهم، وتحديثهم بما حفظه عن رسول الله ﷺ خلال سني الصُّحبة، وبما حفظه عن باقي الأصحاب في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته. لم يكن يؤثر على هذا العمل عملاً آخر، فكان بحق (الصحابي المعلم) ولقد علم جبلاً عظيماً من الناس، فكان من تلاميذه أعلام التابعين وأئمة الإسلام في النصف الثاني من القرن الأول.

ولم يكن حرص أبي هريرة على التعلُّم بأقل من حرصه على التعليم، فقد لزم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة، فأخذ عنهم فقههم، وأخذ القرآن، من أبي بن كعب كما تقدم.

**عبادته وتقواه:**

لئن كان العلم هو الميزة الكبرى لهذا الصحابي الجليل، فهناك ميزة أخرى له لا تقل أبداً عن سابقتها، تلك الميزة هي تقوى الله عز وجل والاجتهاد في الطاعة، والتخلُّق بالأخلاق الحسنة، والتجمل بالسيرة الحميدة.

كان كثير العبادة، كثير التهجد، طويل الركوع والسجود، كثير الاستغفار والتسبيح، عريض الدعاء، أوأباً أوأهاً.. وكان يخرج هو وابن عمر إلى السوق أيام العشر الأولى من ذي الحجة يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

وثبت بسند صحيح عن أبي عثمان الهذلي قال: تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثلاثاً<sup>(٢)</sup>.

(١) «الإصابة» (٧/٤٣٣).

(٢) «الإصابة» (٧/٤٤٢).

وثبت عنه كذلك بسند صحيح أنه كان يُسَبِّحُ كل يوم اثنتي عشرة ألف تسيحة، يقول: أَسْبَحُ بِقَدْرِ ذَنْبِي<sup>(١)</sup>.

وكان يجتهد في الإتيان بركعتي سنّة الفجر، ويوصي أصحابه بهما ويقول: (لا تدع ركعتي الفجر ولو طرقتك الخيل)<sup>(٢)</sup>.

وحين أقبلت الدنيا على أبي هريرة (رضي الله عنه) وكثر المال بين يديه، ولبس الخنز، وتحسنت أحواله، لم تفتنه الدنيا، ولم ينصرف إليها، بل كان زاهداً بها متطوعاً إلى الآخرة، ينهج نهج رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين.

عاش ﷺ يرنو إلى الآخرة، غير متطلع إلى الدنيا، يستخف بشهواتها وزينتها، ويذكر دائماً أنه سيُسأل في قبره، وسيقف بين يدي ربه، وسيحاسبه على عمله<sup>(٣)</sup>.

#### من مناقب أبي هريرة:

اجتمعت لأبي هريرة خصائص ومناقب وفضائل انفرد بها من بين أصحاب محمد ﷺ، فمنها: ما رواه البخاري ومسلم أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في حديث تحدّثه يوماً: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أفضي جميع مقالتي، ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول».

فبسطت نمرّة عليّ، حتى إذا قضى مقالته، جمعها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩/٢).

(٣) أبو هريرة تلميذ النبوة النجيب: محمد علي دولة.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع برقم (٤٧٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة برقم

(٢٤٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٣٨/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨١/١).

وعن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة من الحديث. ووالله لولا آيتان في كتاب الله عز وجل ما حدثت حديثاً، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] حتى يبلع: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، ثم يقول على أثرهما: إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وكان أبو هريرة يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شبع بطنه، فيسمع ما لا يسمعون، ويحفظ ما لا يحفظون»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو هريرة: «قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين، فأقمت معه حتى مات، وأدور معه في بيوت نساته، وأخدمه، وأغزو معه، وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد - والله - سبقني قوم بصحبته، فكانوا يعرفون لزومي له، فيسألونني عن حديثه، منهم: عمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، ولا والله لا يخفى عليّ كل حديث كان بالمدينة»<sup>(٢)</sup>.

وفاة أبي هريرة (رضي الله عنه):

مرض أبو هريرة وشعر بدنو أجله، وجعل يدعو الله تعالى أن يقبضه إليه قبل سن الستين، وساءت صحته، وأيقن أنه مرض الموت، وأنه سيفارق الدنيا. وشاع في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أن كبير علماء الإسلام في ذلك الزمان وحافظ الصحابة - أبا هريرة - قد مرض وأشرف على الموت، وأقبل الناس على منزله يعودونه، وتقاطروا عليه من كل مكان، ودخلت عليه طائفة من أهل المدينة،

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٠٤)، و«الإصابة» (٧/ ٤٣٣)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٧٩).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٨/ ١٠٨)، و«الإصابة» (٧/ ٤٤١).

فنظر في وجوههم، ثم أجهش البكاء، ورقت لبكائه نفوسهم، وقال له أحدهم: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ فأجابته: «ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صعود، ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدري أيتهما يؤمر بي»<sup>(١)</sup>.

وجاء صباح اليوم الأخير، ودخل مروان بن الحكم على أبي هريرة يعوده، وأقبل عليه يقول له: «شفاك الله يا أبا هريرة»، فقال: «اللهم إني أحب لقاءك، فأحب لِقائِي»<sup>(٢)</sup>، فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات أبو هريرة<sup>(٣)</sup>، فُرفعت الروح المطمئنة إلى بارئها الكريم، وودّع أبو هريرة هذه الحياة الفانية ليستقبل حياة خالدة هائلة بإذن الله.

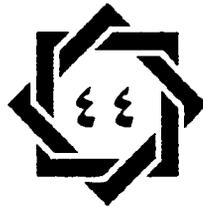
وهكذا سجّل التاريخ بخط عريض حدثاً كان من أبرز أحداث عام تسعة وخمسين للهجرة، حيث مات صاحب رسول الله ﷺ وتلميذه النجيب، أبو هريرة الدوسي اليماني، بعد حياة حافلة بالعلم والعبادة وصالح الأعمال، وبكاه الناس جميعاً. وحزنوا عليه حزناً كبيراً.  
رضي الله عنه وأرضاه.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٦٢٥)، و «حلية الأولياء» (١/٣٨٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/٦٢٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٤/٣٣٩).



## أسامة بن زيد

### حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ حَبِّهِ

أسامة بن زيد أحد الأبطال والعلماء المبرزين من صحب نبي الله ﷺ الذين سَطَّروا بجهادهم وحكمتهم أنصر صفحات تاريخ الإسلام. فضائله كثيرة، ومناقبه متعددة، ومزاياه فريدة، فهو الرائد الأول أو القدوة العالية في مهاجمة دولة الرومان العظمى بجيش صغير لا يتجاوز الثلاثة آلاف، فيهم ألف فرس، وهم نخبة من المهاجرين والأنصار.

فهو بحق رجل في أمة قدَّر الله لها أن تبني أمجاداً سامقة، وعزَّة عالية، على أساس الفضيلة والتقوى والاستقامة في السيرة والسلوك، وفي أثناء الحرب والسلام، لا لشيء إلا لأمر واحد، هو تصحيح عقيدة الناس، وإعلاء كلمة الله، وإبراز خصائص الإسلام ومحاسنه، وتجسيد معنى عبودية الله تعالى فيما يفعلون وفيما يستهدفون، وإلى غاية حتمية لا بد واردة لها، ماثلون في محكمتها أمام الحاكم العادل القهار لإنصاف المظلومين ومكافأة الأبرار الصالحين<sup>(١)</sup>.

(١) «أسامة بن زيد حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» د. وهبة الزحيلي.

وُلد أسامة بن زيد في السنة التاسعة قبل الهجرة. أبوه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وغلّامه، وأمه هي بركة الحبشية<sup>(١)</sup>. وكان أبوه (زيد) من أول الناس إسلاماً، عاش مع النبي ﷺ على أنه ابنه بالتبني، ووُلد له أسامة بمكة.

ترعرع في بيت النبي ﷺ فأمن بالإسلام منذ صغره، ولم يعرف إلا الإسلام ديناً خالصاً لله تعالى، ولم يَدن بغير الإسلام عقيدة وعملاً وسلوكاً، وتربى على أنه جندي للإسلام، يضحى بكل شيء في سبيل عقيدته التي آمن بها، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وتقلّب في أجواء الوحي والتنزيل القرآني، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً، وكان عنده كععض أهله<sup>(٢)</sup>.

استشهد والده زيد بن حارثة رضي الله عنهما بمؤتة من أرض الشام سنة ثمانٍ من الهجرة، وهو ابن خمس وخمسين، وهو أمير جيش تلك الغزوة ضد الروم، والمكوّن من ثلاثة آلاف مقاتل، وقال رسول الله ﷺ: «أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبداً بن رواحة»<sup>(٣)</sup>.

وعقد لهم رسول الله ﷺ لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، ثم بعد استشهاد القادة الثلاثة الشجعان، اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، ففتح الله عليهم. وقال خالد: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وما بقي في يدي إلا صفحة يمانية<sup>(٤)</sup>.

(١) «الإصابة» (٧/٥٣١).

(٢) «تهذيب تاريخ ابن عساکر» (٢/٣٩٢).

(٣) رواه البخاري.

(٤) «البدایة والنهائة» (٤/٢٤٩)، و «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٢/٨١٦).

قال ابن كثير: «وهذا دليل على أنهم أئخنوا فيهم قتلاً»<sup>(١)</sup>. وهكذا أحدث خالد انقلاباً في تنظيم صفوف المسلمين، فخيَّل للروم أن مدداً كبيراً قد جاء من عند النبي ﷺ فتقاعسوا عن مهاجمة خالد، فأمر جنده بالتراجع مع حماية ظهورهم، وترقَّب العدو، حتى تمَّ الانسحاب. وهكذا نسج الحب المتبادل والتقدير العميق بين النبي ﷺ وزيد نسيجاً لا تنفصم عُراه، ولا تبلى للأبد لحمته وسُداه، فقد حظي زيد بحب النبي ﷺ وسرى هذا الحب في دمه ولحمه، وامتدَّ بكل قواه إلى ولده وفلذة كبده: أسامة، وأصبح زيد وابنه الحُبُّ وابن الحب مثلين رائعين، ورمزين خالدين للحب الخالد، والعاطفة المخلصة الصافية.

فهل من المستغرب بعدئذٍ أن يبيع الوالد أو الولد نفسه رخيصة في سبيل الله، فيستشهد الأب، ويتصدَّر الابن - كما سيأتي - لقيادة جيش يأتمر بأمره عمر وكبار الصحابة؟ إنه الإسلام جعل الموت في سبيل الله هو غاية المؤمن، سواء أكان هذا المؤمن كبيراً في ظل قيادة صغير، أو صغيراً يرأس جيشاً لا مجال للشيطان في ملء قلب صاحبه بالهوى، والوسواس، والعجب، والكبر، وحب التسلُّط والسيطرة<sup>(٢)</sup>.

ولقد تميَّز أسامة بمقامات شخصية فريدة، وانفرد من بين الصحب الكرام بحب زائد من الرسول ﷺ، وحظي بقرب لصيق بقلب النبي ﷺ لأنه كان يتمتع على حداثة سنَّه بالنباهة والفطنة والذكاء والحكمة والأدب الجم والحياء الكثير، مما بوَّاه أن يكون مكرماً عند النبي ﷺ، ينشأ في بيته، ويتدبر في ظلّه، ويعيش في

(١) المرجع السابق.

(٢) «أسامة بن زيد» د. وهبه الزحيلي.

رعايته، ويتربى في كنفه، فصار ذا منزلة عالية عند النبي ﷺ، ومستشاراً له في بعض الأمور، وشفيعاً في بعض القضايا إذا لم تمس الشفاعة مبدأً من مبادئ الإسلام الكبرى.

وقد كان من حبّ النبي ﷺ لأسامة أنه كان يردفه وراءه مرات عديدة في أثناء السفر. قال أسامة: إن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة، وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر، ودخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ورديفه أسامة، فأناخ في ظل الكعبة، ودخلها مع بلال وأسامة، وأفاض النبي ﷺ من عرفات وأسامة رديفه<sup>(١)</sup>.

ومن فضائل أسامة بن زيد (رضي الله عنه) كونه من السابقين الأولين إلى الإسلام، عقيدة وهجرة، كأبيه زيد الذي كان أول الناس إسلاماً، وهذا دليل واضح على سلامة الفطرة، وإصابة التفكير، ورجاحة العقل.

قال بعض أهل العلم: إن أباه زيداً كان أول الناس إسلاماً، وولد له أسامة بمكة، ونشأ حتى أدرك، لم يعرف إلا الإسلام لله، ولم يدن بغيره.

وكان (رضي الله عنه) في التقوى والطاعة والعبادة والزهد مثلاً يقتدى به، عرف طريق الجنة بالعبادة فسلكه، وأحس بعظم ثواب الصوم والتهجد في الليل فصام، وهجر لذة المنام، فصلى في جوف الليل وقام، كما أحس بأن نعيم الحياة موقوت، ونعيم الآخرة دائم خالد، فعزف عن الأول، وعكف على الثاني، وعلم أن الدنيا مهما طالَّت فهي إلى زوال وفناء فلم يأبه بزخارف اللباس والزينة، وخاف عذاب ربه وخشي عقابه، وأدرك مزايا الصالحين، فالتزم طريقهم، وأيقن

(١) «البخاري - مع الفتح» (٨ / ٨١)، و «مسند أحمد» (٥ / ٢٠٧).

عظمة الجهاد في سبيل الله، فجاهد وقاتل راجياً الموت في سبيل الله. فكان من أنصح ثمار تربية أسامة في بيت النبوة إعدادة الحربي، وتوثبه للجهاد في سبيل الله، وتطلعه للقاء العدو صغيراً وكبيراً دون مهابة، وفكره الثاقب في التخطيط للنصر الحربي المؤزر، وإحراز أفضل المكاسب بأقل جهد ممكن، وأدخال الطاقات المعنوية والمادية لما ينتظر من ردود الفعل المعاكس من العدو الماكر، الذي لا يعرف غير القسوة والعنف أو الوحشية والهمجية سبيلاً، كما لا يستهدف من حروبه غير الغنيمة المادية، أو قهر المسلمين الذين ينادون باحترام القيم الإسلامية، والمبادئ العالية<sup>(١)</sup>.

#### أسامة بن زيد يقود جيش الإسلام لقتال الروم:

كان الروم قد تابعوا اعتداءاتهم على المسلمين وحدود الإسلام بعد غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، والتي قُتل فيها والد أسامة (زيد بن حارثة) رضي الله عنهما. فبعد حجة الوداع التي حجها النبي ﷺ في مائة ألف أو يزيدون في السنة العاشرة، وبعد المحرم وصفر من السنة الحادية عشر، جهَّز عليه الصلاة والسلام جيشاً إلى الشام، وجعل قائده أسامة بن زيد، وكان عمره دون العشرين، قيل: وهو ابن تسع عشرة سنة، وقيل: وهو ابن ثمان عشرة سنة<sup>(٢)</sup>.

وبينما كان الجيش يتجهز، ويتأهب الناس لغزو الشام، اشتكى رسول الله ﷺ واشتدَّ عليه الصداع والمرض في يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، فتوقف سير الجيش، انتظاراً لمعرفة حال رسول الله ﷺ.

(١) «أسامة بن زيد» د. وهبة الزحيلي.

(٢) «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٢٠٨/١).

وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع أسامة، يودّعون رسول الله ﷺ وفيهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ورسول الله ﷺ يقول: «أنفذوا بعث أسامة» ويؤكد النبي ﷺ مقالته كلما حدّثه متحدث في شأن بعث أسامة<sup>(١)</sup>.

ثم عاد الناس إلى المعسكر ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور، وهو اليوم الذي لدّوه فيه<sup>(٢)</sup>، ودخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان، وعنده العباس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة، فقبله - ورسول الله ﷺ لا يتكلم - فجعل يرفع يديه إلى السماء - ويصّبهما على أسامة.

قال أسامة (رضي الله عنه): فأعرف أنه كان يدعو لي.. ورجع أسامة إلى معسكره. فلما أصبح يوم الاثنين غدا على معسكره، وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً. فجاءه أسامة فقال: «اغد على بركة الله» فودّعه أسامة، ورسول الله ﷺ مفيق، وجعل نساؤه يتماشطن سروراً براحته<sup>(٣)</sup>. وركب أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه باللحوق إلى المعسكر، فانتهى إلى معسكره، ونزل، وأمر الناس بالرحيل وقد تعالى النهار.

وبينا أسامة يريد أن يركب من الجرف أتاه من يخبره أن رسول الله ﷺ يموت، فأقبل أسامة إلى المدينة، ومعه عمر وأبو عبيدة، فانتهاوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت، فتوفي عليه الصلاة والسلام حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة.

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب

(١) وهذا البعث ليس غزوة مؤتة. «أسد الغابة» (١ / ٨١).

(٢) لدّوه فيه: أي سقوه في حال المرض من الأدوية في أحد شقي الفم.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥ / ٢٠١).

(رضي الله عنه) بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزته؛ أي ركزه<sup>(١)</sup>.

ولما تمت البيعة لأبي بكر بعد اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، أمر أبو بكر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، ولا يحلّه أبداً حتى يغزو بهم أسامة. لكن أبا بكر اصطدم فور الوفاة بأعظم فتنة في الإسلام بعد الرسول ﷺ وهي ردّة العرب، وامتناع آخرين من أداء الزكاة إليه، وعدم بقاء مقام لصلاة الجمعة في بلد سوى مكة والمدينة والطائف وجوانا في البحرين.

ولما فرغ الناس من البيعة واطمأنوا، أمر أبو بكر بإنفاذ بعث أسامة إلى الشام قائلاً له: امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله ﷺ، فخرج أسامة من الجرف في غرة ربيع الآخر سنة إحدى عشرة للهجرة.

ولما تحرّك الجيش نحو مهمته السامية إلى الشام بقيادة أسامة، قام أبو بكر نفسه بتشجيع الجيش مشجعاً لهم، وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر. فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ، لتركبنّ أو لأنزلنّ. فقال أبو بكر: والله لا تنزل، والله لا أركب، وما عليّ أن أغبرّ قدمي ساعة في سبيل الله، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتب له، وسبعمائة درجة تُرفع له، ويُمحى عنه سبعمائة خطيئة.

ثم قال لأسامة: أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، وأوصيك بإنفاذ ما أمرك به رسول الله ﷺ، امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به،

(١) «حياة الصحابة» للكاتب د. هادي حيدر.

ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت، ولكن إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب، فإنه ذو رأي ومناصح للإسلام، فافعل. فأذن له بالبقاء<sup>(١)</sup>.

ولقد حقق هذا الجيش الصغير بقيادة أسامة نجاحاً باهراً، حيث سار أسامة بجيشه ونفذ ما أمر به رسول الله ﷺ فأوطأ خيل المسلمين «تخوم البلقاء» و«قلعة الداروم» في فلسطين، وشن الغارة على (أبني) وقال لأصحابه قبل الهجوم: اجعلوها غارة، ولا تمنعوا في الطلب، ولا تفرقوا، واجتمعوا، وأخفوا الصوت، واذكروا اسم الله في أنفسكم، وجرّدوا سيوفكم، وضعوها فيمن أشهروا عليكم السلاح.

ثم رفع عليهم الغارة، فما نبج كلب، ولا تحرك أحد، ولا شعروا إلا بالقوم قد شنّوا عليهم الغارة، ينادون بشعارهم: يا منصورُ أمت. وكان أسامة قد خرج على فرس أبيه التي قُتل عليها أبوه يوم مؤتة، وكانت تُدعى (سبحة). وقتل قاتل أبيه في الغارة، كما أخبره به بعض أهل (أبني).

ثم عاد أسامة بجيشه إلى المدينة سالماً غانماً بعد غياب خمسة وثلاثين يوماً، سار عشرين في بدّته، وخمس عشرة في رجعتة، وكان أسامة قد أرسل بشيره من وادي القرى بسلامة المسلمين، وأنهم أغاروا على العدو، فأصابوهم، فلما سمع المسلمون بقدمهم خرج أبو بكر مع المهاجرين، وخرج أهل المدينة، وسروا بسلامة أسامة ومن معه من المسلمين، ودخل يومئذ على فرسه (سبحة) كأنها خرج من ذي خشب<sup>(٢)</sup> عليه الدرع، واللواء أمامه يحمله بريدة، حتى انتهى به إلى المسجد النبوي، فدخل، فصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، ومعه اللواء، فما زال

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/٦٧).

(٢) موضع.

معقوداً في بيته حتى تُوفي<sup>(١)</sup>.

وبذلك حقق أسامة (رضي الله عنه) مجداً سامقاً، إذ هاجم الإمبراطورية الرومانية في عقر دارها، وجرّأ المسلمين على مهاجمتها، ونزع هيبة الروم من قلوب المسلمين، ومهد الطريق أمامهم لفتح بلاد الشام ومصر. وظلّ أسامة بن زيد- ما امتدت به الحياة- موضع إجلال المسلمين وحبهم، وفاءً لرسول الله ﷺ وإجلالاً لشخصه<sup>(٢)</sup>. فهنيئاً لمن طفح قلبه بحب النبي ﷺ، وهنيئاً لأسامة بن زيد تلك الصحبة المباركة، والقيادة المظفرة.. ورضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجمعنا به والصحب الكرام في جنات النعيم.. إنه سبحانه على كل شيء قدير.



(١) «تهذيب ابن عساکر» (١/١٢٥).

(٢) كانت وفاة أسامة في آخر خلافة معاوية، رضي الله عنها.



## عبدالله بن عباس

### حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانُ الْقُرْآنِ

عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) رباني هذه الأمة، وأعلمها بكتاب الله، وأفقهها بتأويله، وأقدرها على النفوذ إلى أغواره وإدراك مراميهِ وأسراره. ولقد ولد قبل الهجرة بخمس سنين، ولما توفي رسول الله ﷺ كان له ثلاث عشرة سنة فقط<sup>(١)</sup>.

والده هو العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، ولد قبل الرسول ﷺ بستين وكان إليه في الجاهلية السقاية وأقره عليها الإسلام. وأمّه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وشقيقته.

(١) انظر «الإصابة» (٢/ ٣٣٠) ط. دار صادر.

هجرته:

مع تقدم إسلام ابن عباس (رضي الله عنهما) فإنه لم يتح له أن يهاجر إلا قبيل فتح مكة، وذلك بعد أن أسلم أبوه فهاجرا معاً. فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجحفة، وهو ذاهب لفتح مكة، فرجعا وشهدا معه فتح مكة، وكان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، صبيحة يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يكون انتقال ابن عباس إلى دار الهجرة سنة الفتح، ولقد بايعه الرسول ﷺ بعد أن هاجر وهو بعد صغير لم يبلغ الحلم، وفي هذا ما فيه من أخذ العهد على الصغار أن يلتزموا أوامر ربهم، ويدافعوا عن عقيدتهم، كما يؤخذ ذلك على الكبار من نساء ورجال سواء بسواء.

عبادته :

عاش ابن عباس حياته الأولى في كنف رسول الله ﷺ واطلع على عبادته وخشيته من الله تعالى. فكان يتلقى دروساً عملية في عبادة الله والإخلاص له، ولقد صحب الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين التقي المتعبد الورع، فلا عجب بعد ذلك أن ينشأ محباً لعبادة الله، مقبلاً عليها، خائفاً منه سبحانه، تاركاً للشبهات، وقافاً عند حدود الله.

قال عبدالله بن أبي مليكة: «صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، يرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من التسبيح والتحبيب»<sup>(٢)</sup>.

(١) «نور اليقين» للخضري (ص ٢٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٣٦).

وجاء عنه أنه قال: «ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي خمسة وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل»<sup>(١)</sup>.

ولم تكن العبادة في نظر ابن عباس صلاة وصياماً وحجاً وزكاة فحسب، بل العبادة في نظره هي العمل الذي يكون فيه أقرب لخالقه، فقد تكون عيادة مريض، أو سعيًا في حاجة مسلم، أو كلمة طيبة يهديها لمسلم.

#### جهاده :

إن ابن عباس الذي نشأ في مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ وترعرع فيها لم يكن يقعد عن الجهاد في سبيل الله تعالى مع كثرة مشاغله في حقل العلم والتعليم، حيث حضر مشاهد قتالية عديدة، وناله بذلك الخير والأجر العظيم، فبالإضافة إلى المشاهد التي شهدتها مع الرسول عليه الصلاة والسلام بدءاً من فتح مكة فقد شارك في غزو أفريقية والقسطنطينية، فعن أبي سعيد بن يونس قال: غزا ابن عباس أفريقية مع ابن أبي سرح، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً<sup>(٢)</sup>. وكانت هذه الغزوة سنة سبع وعشرين.

وفي عهد معاوية غزا يزيد ابنه القسطنطينية، وكان في جيشه جماعات من سادات الصحابة الكرام رضي الله عنهم، منهم ابن عباس، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٦٠)، وانظر «أخبار مكة» (١/ ٣٩٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٣٦).

(٣) رواه البخاري.

فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها إلا بعد أن بلغ منهم الجهد<sup>(١)</sup>.

صبره:

فقد ابن عباس رضي الله عنهما في أخريات عمره بصره، وأصبح لا يبصر ما لديه، ولقد يكون وقع فقد البصر أمراً عظيماً لا يطيقه الإنسان، إلا أن ابن عباس استطاع أن يحول بآيانه وصبره ما هو مصيبة إلى ما هو نعمة، حيث عوض عليه بما هو أسمى من نور البصر، ولنستمع إليه وهو يقول:

إن يأخذ الله من عيني نورهما فسقى لساني وقلبي منها نُور  
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَلٍ وفي فمي صارم كالسيف مأثور<sup>(٢)</sup>  
علمه:

برع ابن عباس في ميادين شتى من العلم والمعرفة، فقد كان بارعاً في الفقه، مجلياً في التأويل والتفسير، محلّقاً في الأدب والشعر واللغة، حتى كان مرجع الناس في ذلك كله، وموئل العلماء فيما يحتاجون إليه من هذه العلوم، قال أبو صالح: «لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها الفخر. لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب.

قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال:

(١) «البداية والنهاية» (٨ / ٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٣٥٧).

فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة. فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم عنه، وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم، وزادهم مثل ما سألوا أو أكثر، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقہ فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيتُ هذا لأحد من الناس»<sup>(١)</sup>.

وهذا العلم العظيم الذي ناله ابن عباس (رضي الله عنه) إنما هو «والله أعلم» من بركة دعاء الرسول ﷺ عندما قال: «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين»<sup>(٢)</sup>.

من أقوال الصحابة والتابعين في الثناء عليه:

لقد تعددت أقوال الصحابة والتابعين في الثناء على ابن عباس، وإليك بعضاً منها.

(١) «البداية والنهاية» (٨/٣٠٥).

(٢) «مسند أحمد» (١/٢٦٦)، و«المستدرک» للحاكم (٣/٥٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

\* قال عمر (رضي الله عنه): نِعَمَ ترجمان القرآن ابن عباس. وقال له يوماً: لقد علمت علماً ما علمناه، وقال أيضاً: إنك لأصبح فتياناً وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفقههم في كتاب الله<sup>(١)</sup>.

وقال (رضي الله عنه): «لا يلومني أحد على حب ابن عباس»<sup>(٢)</sup>.

\* وقال طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه): لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً، ما كنتُ أرى عمر يقدم عليه أحداً<sup>(٣)</sup>.

\* ولما سُئِلَ ابن عمر عن شيء قال للسائل: سل ابن عباس، فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد ﷺ. ولما سأل رجل ابن عمر عن قوله تعالى: ﴿كَانَ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرني، فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال: «كانت السماوات رتقاء لا تمطر، والأرض رتقا، لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات». فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال: لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً. هكذا، لقد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علماً<sup>(٤)</sup>.

\* وقال حسان بن ثابت (رضي الله عنه): كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة، فطلبناها إليه بجماعة من الصحابة منهم ابن عباس، وكانت حاجة صعبة شديدة، فاعتل علينا، فراجعوه إلى أن عذروه، وقاموا إلا ابن عباس فلم

(١) «البداية والنهاية» (٨/٣٠٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٧).

(٤) «الإصابة» (٢/٣٣٢، ٣٣٣).

يزال يراجعه بكلام جامع حتى سدّ عليه كل حاجة، فلم يرَ بُدأً من أن يقضي حاجتنا، فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين عذروا وضعفوا فقلت: كان عبدالله أولاًكم بهم، قال: أجل. فقلت أمدحه:

إذا ما ابن عباس بدالك وجهه	رأيت له في كل أقواله فضلاً
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل	بمنتظمات لا ترى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في الصدور ولم يدع	لذي غربة في القول جداً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة	قتلت ذراها لا دنياً ولا وعلاً
خلقت حليفاً للمروءة والنسدى	بليجاً ولم تخلف كهاماً ولا خبلاً <sup>(١)</sup>

وقال مجاهد بن جبر (من التابعين): ما سمعنا فتياً أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل: قال رسول الله<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: ما رأيت أحداً قط مثل ابن عباس. لقد مات يوم مات، وإنه لخبر هذه الأمة<sup>(٣)</sup>.

وقال طاووس: أدركت نحواً من خمسمائة من الصحابة إذا ذكروا ابن عباس، فخالفوه، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله<sup>(٤)</sup>.

وقال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس. فإذا نطق قلت: أفصح الناس. فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) «الإصابة» (٢/٣٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/٣٥٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٥٠-٣٥١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق (٣/٣٥١).

وعن أبي وائل قال: خطبنا ابن عباس وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ، ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت<sup>(١)</sup>.

### وفاته :

في يوم من أيام سنة ثمان وستين للهجرة خبا ضوء هذا الكوكب الساطع الذي كان يشيع في الأمة الإسلامية العلم والمعرفة قرابة ستين سنة من وفاة رسول الله ﷺ إلى أن توفي، وكانت وفاته بالطائف<sup>(٢)</sup>.

مات ابن عباس وغابت شمس علمه عن دنيا الناس - والموت سبيل كل حي - وانثلم في صرح البناء الإسلامي ثلثة ما كان ليسدها إلا نظير له في علمه وفقهه وفضله وأدبه وكهال عقله.

وصلى عليه ابن عمه محمد بن الحنفية، ولما غيب جسده في باطن الأرض قال محمد: اليوم مات رباني هذه الأمة<sup>(٣)</sup>.

وأخذ الناس يتبارون في تأيينه والثناء عليه، فقال رافع بن خديج، مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

وقال معاوية: مات والله أفقه من مات ومن عاش.

رضي الله تعالى عن ابن عباس، فقد كان حبر الأمة وترجمان القرآن.



(١) «حلية الأولياء» (١/٣٢٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١/١٧٤).

(٣) المرجع السابق، وانظر: الإصابة (٤/١٥١)، و«الطبقات الكبرى» (٢/٣٦٨).



## عبدالله بن عمر بن الخطاب

المؤتسي برسول الله ﷺ

عبدالله بن عمر بن الخطاب، سيّد من سادات الصحابة الكرام، وعلم من أعلام المسلمين على مر السنين.

أبوه عمر بن الخطاب.. ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لُقّب بأمر المؤمنين، وأمه زينب بنت مظعون الجمحية، أخت عثمان بن مظعون، من المهاجرات<sup>(١)</sup>.  
وُلد ابن عمر في السنة الثانية من المبعث، في مكة، وعاش في ربوعها طفولته الأولى، وعندما بدأ يحسّ ما حوله ويعقل ما يرى؛ اعتنق مع أبيه عمر الإسلام، وشارك أهله ما أصابهم من أذى المشركين، حتى أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، فهاجر مع أبويه، وعمره عشر سنين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ١٣٩)، و «تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٥٦٤)، و«الإصابة» (٧/ ٦٨٠).

(٢) المرجع السابق.

إسلامه:

أسلم عبدالله مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم<sup>(١)</sup>، ولما أسلم أبوه عمر رضي الله عنهما أصبح داعية للإسلام، وأول ما يدعو الإنسان أهله وأسرته، وكان «عبدالله» أحد أفراد هذه الأسرة السعيدة التي استجابت للدين الحق، وأيقن - وهو غلام صغير - أن ما حدث لأبيه إنما هو أمر جليل، فخرج معه في طرقات مكة ينظر ما يصيبه من أذى المشركين، وها هو يحدثنا حديث المشاهد لما يقع فيقول: «لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج عمر وخرجت وراءه، وأنا غُلِّيمٌ أعقل كل ما رأيت. حتى أتاه، فقال: يا جميل، أشعرت أني قد أسلمت؟ فوالله ما راجعه الكلام حتى قام بجر رداءه، وخرج عمر يتبعه، وأنا معه، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ: يا معشر قريش، إنَّ عمر قد صبأ. قال: كذبت. ولكني أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم.

قال: وطلح<sup>(٢)</sup> فقعد وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا<sup>(٣)</sup>، قال: فبينما هو على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلَّة حبرة وقميص مُوشَّى، حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، فقال: فَمَهْ! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/١٣٩)، و «تاريخ بغداد» (١/١٧٢).

(٢) طلح: أعبى.

(٣) يريد: مكة المكرمة.

عن الرجل: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك - أي بني - العاص بن وائل السهمي<sup>(١)</sup>.

وأما ما رُوي من أن ابن عمر أسلم قبل أبيه فبعيد جداً. والمهم أن ابن عمر بلغ مبلغ الرجال وهو متمكن من إسلامه وإيمانه، وقد بقيت حياته نظيفة من عبادة غير الله تعالى.

علمه:

عُرف ابن عمر (رضي الله عنهما) بالعلم والفقهِ وطول ملازمته للرسول ﷺ، وحفظ القرآن، وفهم آياته وأحكامه، وعاش طويلاً، فاستفاد الناس من علمه وفقهه.

ولئن فاز غيره بالرياسة والملك فقد فاز هو بمكانة العالم التقي الثقة، يتبادر الناس إلى سؤاله، ويتطلعون إلى أعماله، ويحفظون كلماته لا خوفاً ولا طمعاً، وإنما محبة خالصة لله، وهي منزلة أرفع وأسلم في الدنيا والآخرة وعند الله والناس. وكان ابن عمر يعرف محبة الناس له ويتحدث عنها. قال مجاهد: «كنتُ مع ابن عمر فجعل الناس يسلمون عليه حتى انتهى إلى دابته، فقال له ابن عمر: يا مجاهد، إنَّ الناس يحبونني حباً لو كنتُ أعطيتهم الذهب والورق ما زدت»<sup>(٢)</sup>.

جهاده:

استجاب ابن عمر رضي الله عنهما لأمر الله، وعرف عظم أجر المجاهدين، فأوتي القوة في الجهاد. وحق لمن كان أبوه بطلاً من أبطال الإسلام، وأستاذه قائد

(١) «السيرة النبوية» (١/٣٤٩).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/١٦٩).

الأبطال، أن يتقدم راغباً في الجهاد وهو لا يزال غض الشباب، لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، وقد رده الرسول ﷺ مرتين في بدر وأُحد رحمة به وإشفاقاً عليه<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أتم ابن عمر الخامسة عشرة شهد الخندق<sup>(٢)</sup> وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد اليرموك والقادسية وشهد فتح مصر، وغزو فارس<sup>(٣)</sup>.

وقدم الشام والعراق والبصرة غازياً<sup>(٤)</sup>، وروى نافع مولاه صوراً من البطولة والمشاق التي وقعت له في عزوه في تلك البلاد فقال: «إن ابن عمر بارز رجلاً في قتال أهل العراق، فقتله وأخذ سلبه»<sup>(٥)</sup>.

ولما غزا ابن عمر نهاوند أخذه ربه فجعل ينظم الثوم في الخيط ثم يجعله في حسوة فيطبخه، فإذا أخذ طعم الثوم طرحه ثم حساه<sup>(٦)</sup>.

وكان ابن عمر في جهاده يدرك أن النصر في الجهاد مرتبط بإصلاح النفوس ولذلك لما قال له رجل: أريد أن أبيع نفسي من الله، فأجاهد حتى أقتل، فقال:

ويحك، وأين الشروط؟ أين قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ  
الْمَنَّانُونَ الزَّكَاةُ الْمُنَادِيُونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَاتَّبَعُوا أَمْرًا غَيْرَ الْمُنْكَرِ وَالْحَنِيفُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر «السيرة النبوية» (٦٦/٣).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٧٢/١).

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٩).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢٠٨/٣).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢١٨/٣).

(٦) «الطبقات الكبرى» (١٥٦/٤).

(٧) «جامع الأصول» لابن الأثير (٥٨١-٥٨٠/٢).

## عبادته :

إذا كانت مهمة الإنسان الأولى في هذه الحياة هي عبادة الله تعالى وحده، فإن عبد الله بن عمر كان يقوم بهذه المهمة حتى آخر أيام حياته على أكمل وجه، يحرص على قيام الليل، يحج في كل عام، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكثر من الدعاء، حتى عرفه الناس العابد التقي والمثابر الأواب.

والذي يستوقف النظر ويستدعي الإعجاب والإكبار في نوافل ابن عمر هو قيامه الليل وتهجده، فقد كان أخا الليل، يقومه مصلياً، وصديق السحر يقطعه داعياً ومستغفراً<sup>(١)</sup>.

عن نافع مولى ابن عمر أن ابن عمر كان يجيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم، فيتعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح<sup>(٢)</sup>.

وقيل لنافع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ثبت عنه بسند جيد أنه ما قرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلا بكى حتى يغلبه البكاء»<sup>(٤)</sup>.

وفي كتاب الزهد للبيهقي بسند صحيح: «كان ابن عمر ما ذكر النبي ﷺ إلا

(١) «عبد الله بن عمر المؤتسي برسول الله ﷺ» تأليف محيي الدين، مستو.

(٢) «حلية الأولياء» (١/٣٠٤)، و «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٣٥).

(٣) «الإصابة» (٢/٣٤٩)، ط، دار إحياء التراث العربي.

(٤) «الإصابة» (٢/٣٤٩)، ط، دار إحياء التراث العربي.

بكى، ولا مرّ على ربّهم إلا غمض عينيه<sup>(١)</sup>، أي إذا مر بحجر النبي ﷺ لا يستطيع أن ينظر إليها حزناً.

## فضائله:

شهد الصحابة الكرام بفضائل عبدالله بن عمر، الذي لم يتبدّل ولم يتغيّر بعد وقوع الفتن المظلمة والحوادث المفجعة.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «لقد رأيتنا ونحن متوافرون وما فينا شاب أملك لنفسه من ابن عمر»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن: «مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه»<sup>(٣)</sup>، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً أُلزم للأمر الأول من ابن عمر»<sup>(٤)</sup>.

وسجّلت الطبقة العليا من علماء التابعين في مكة والمدينة إعجابها الكبير بشيخها ومحدثها العالم الزاهد في بطون الكتب وعلى صفحات القلوب، وتناقلت حلقات العلم فضائل ابن عمر ومآثره العظيمة، فهذا سيد التابعين سعيد ابن المسيب رحمه الله - يقول: «لولا شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر»<sup>(٥)</sup>، وقال: «كان ابن عمر يوم مات خير من بقي»<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق، والتصحيح من ابن حجر، وانظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي ص ١٤٨ و «أخبار مكة» للفاكهي (٣/٣٣٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢١١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢١١).

(٤) المرجع السابق (٣/٢١١).

(٥، ٦) المرجع السابق (٣/٢١٢).

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «سمعت المشايخ يقولون: من أخذ بقول ابن عمر لم يدع من الاستقصاء شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وقال: «كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبدالله بن عمر، مكث ستين سنة يفتي الناس»<sup>(٢)</sup>.

وقال موسى بن طلحة: «يرحم الله عبدالله بن عمر - إماماً سماه وإماماً كناه - والله إني لأحسبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهد إليه لم يفتن بعده ولم يتغير، والله ما استغرته قريش من فتنها الأولى».

ومن الطريف أن أم ولد لعبد الملك بن مروان بعثت إلى وكيلها تستهديه غلاماً، وقالت: يكون عالماً بالسنة، قارئاً لكتاب الله، فصيحاً عفيفاً، كثير الحياء، قليل المراء، فكتب إليها: «قد طلبت هذا الغلام فلم أجد غلاماً بهذه الصفة إلا عبدالله بن عمر، وقد ساومت به أهله فأبوا أن يبيعوه»<sup>(٣)</sup>.

وفاته رضي الله عنه:

حجَّ ابن عمر - عام قتل عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) - مع الحجاج بن يوسف؛ وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج ألا يخالف عبدالله في الحج، فأثاه ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة، ومعه ابنه سالم، وصاح به عند سرادقة: «الروح» فخرج عليه الحجاج في معصرة، فقال: هذه الساعة؟، قال: نعم، قال: فأمهلني أصب علي ماء، قال: فدخل ثم خرج. قال سالم: فسار بيني وبين أبي، فقلت له: إن كنت تحب أن تصيب السنة، فعجل الصلاة، وأوجز الخطبة، فنظر

(١) «الإصابة» (٢/٣٤٩) ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٢١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٢٢).

إلى عبدالله لسمع ذلك منه، فقال عبدالله: «صدق»، ثم انطلق فوثب في موقفه الذي كان يقف فيه، فكان ذلك الموضع بين يدي الحجاج، فأمر الحجاج من نخس به حتى نفرت ناقته، فسكنها ابن عمر، ثم ردها إلى الموضع الذي كان يقف فيه، فأمر الحجاج أيضاً بناقته فنخست، فنفرت بابن عمر، فسكنها حتى سكنت، ثم ردها إلى ذلك الموقف، فثقل على الحجاج أمره، فأمر رجلاً معه حرباً - يقال إنها كانت مسمومة - فلما دفع الناس من عرفة، لصق به ذلك الرجل، فأمر الحربة على رجله، وهي في غرز رحله، فمرض منها أياماً، فمات بمكة، ودُفن بها، وصلى عليه الحجاج بن يوسف.<sup>(١)</sup>

وعندما دخل الحجاج يعود ابن عمر قال: كيف تجددك يا أبا عبد الرحمن؟ أما إنا لو نعلم من أصابك عاقبناه، فهل تدري من أصابك؟ قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في الحرم، ولا يحل فيه حمله.<sup>(٢)</sup>

وقال ابن عمر عند الموت لابنه سالم: يا بني، إن أنا مت فادفني خارجاً من الحرم، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت مهاجراً، قال: يا أبت إن قدرنا على ذلك؟ قال: تسمعي أقول لك وتقول: إن قدرنا على ذلك؟ قال: أقول: الحجاج يغلبنا فيصلّي عليك. قال: فسكت ابن عمر.<sup>(٣)</sup>

كانت وفاة ابن عمر رضي الله عنهما سنة ٧٣ على الأرحم.<sup>(٤)</sup> وهكذا أراد الله

(١) «نسب قريش» لمصعب الزبيري (ص ٣٥١). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٩، ٢٣٩).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٨٦).

(٣) المرجع السابق (٤/ ١٨٧).

(٤) انظر «تاريخ بغداد» (١/ ١٧٣).

تعالى لهذه النفس أن ينتهي مقامها في هذه الدنيا، بعد أن أمضى حياته الطويلة في العبادة والجهاد والدعوة، فأكرم بهذه الحياة، وأكرم بتلك الروح الإيمانية التي ما عرفت إلا الطهر والنقاء والجهاد والعطاء.





## جابر بن عبد الله

### الحافظ الفقيه

جابر بن عبد الله واحد من أولئك الشباب السعيد الذين صُنِعُوا عَلَى عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَرَبَّوْا فِي مَدْرَسَتِهِ، وَأَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِصَحْبَتِهِ، ثُمَّ عَاشُوا مِنْ بَعْدِهِ زَمَانًا وَهُمْ مَحَافِظُونَ عَلَى الْعَهْدِ، مَاضُونَ عَلَى الدَّرَبِ، يَتَطَّلَعُونَ إِلَى أَنْ يَلْقُوا رَسُولَهُمْ ﷺ مِنْ جَدِيدِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

والده هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أسلم قبل بيعة العقبة، وكان أحد من حضر تلك البيعة، واختاره قومه نقيباً عليهم فيها. شهد بدرًا وأُحُدًا وفيها استشهد. قال الذهبي: «وكان والده من النقباء البدرين، استشهد يوم أُحُد، وأحياه الله تعالى، وكلمه كفاحًا، وقد انكشف عنه قبره إذ أجرى معاوية عينًا عند قبور شهداء أُحُد، فبادر جابر إلى أبيه بعد دهر فوجده طرياً لم يَبَلْ»<sup>(١)</sup>.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٩٠).

وأمة أنيسة بنت غنمة بن عدي، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وخرجت إلى أحد، ولما قُتل زوجها وأخوها في أحد جاءت وقد عرضتها على ناقة تريد العودة بهما إلى ديارهما، فنادى منادي رسول الله ﷺ أن ادفنوا القتلى في مصارعهم فرداً<sup>(١)</sup>.

أسلم جابر (رضي الله عنه) قبل هجرة الرسول ﷺ، بل قبل بيعة العقبة الثانية بعام، وخرج إلى بيعة العقبة الثانية مع أبيه وخالد الجد بن قيس، وكان أصغر من حضر تلك البيعة حيث كان غلاماً يافعاً. وقال (رضي الله عنه): كنا مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأخرجني خالي وأنا لا أستطيع أن أرمي بحجر<sup>(٢)</sup>.

#### زواجه:

خلف والد جابر جابراً، لم يخلف ذكراً غيره، وخلف معه سبعاً أو تسعاً من البنات، فلما تزوج ﷺ أول مرة تزوج ثيباً كي تقوم بترية أخواته ومساعدتهن. وما كانت حدائثه عهده بالزواج لتصدده عن الجهاد مع رسول الله ﷺ حيث خرج معه إلى غزوة ذات الرقاع، فلما دنا الجيش الإسلامي المنصور من المدينة المنورة أراد أن يسبق إخوانه في قدومه على أهله، فأجرى ركوبه يوضع ويسرع، فلما رآه ﷺ يسبق إخوانه سار خلفه حتى أدركه، فكان ما رواه ﷺ عنه قوله: «قلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة فتعجلت على بعير لي قطوف - بطيء - فلحقني راكب، فنخس بعيري بعنزة كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبي ﷺ فقال: «ما يعجلك؟»، قلت: كنت حديث عهد بعرس، قال:

(١) «الإصابة» (٤/٢٤٦).

(٢) أنظر «الإصابة» (١/٤٦٨).

«بكرأ أم ثيبأ؟»، قلت: ثيبأ، قال: «فهلا بكرأ تلاعبها وتلاعبك؟»، قال: فلما أن ذهبنا لندخل المدينة قال: «أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً<sup>(١)</sup>»: لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة»<sup>(٢)</sup>.

وأجاب جابر رسول الله ﷺ حين حُبب إليه نكاح البكر بقوله: «قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن، قال: أصبت إن شاء الله تعالى...»<sup>(٣)</sup>.

#### جهاده:

لقد أقبل جابر (رضي الله عنه) على الجهاد من أول فرصة وافته للجهاد، لقد منعه أبوه (رضي الله عنه) من الخروج إلى بدر وأحد حيث خرج إليهما والده وتركه لأخواته السبع، حتى إذا استشهد أبوه في أحد بادر جابر إلى الخروج للجهاد لا تفوته غزوة مع رسول الله ﷺ، ولا تكاد تفوته سرية، نصره لدين الله تعالى، وإعلاءً لكلمته.

قال (رضي الله عنه): «غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة، غزوت معه تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدرأ ولا أحدأ، منعني أبي، حتى إذا قُتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن غزوة غزاها»<sup>(٤)</sup>.

وقد أحصى محمد بن إسحاق غزوات رسول الله ﷺ فبلغت سبعاً وعشرين غزوة، قال: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة سبعاً وعشرين

(١) أي أول العشاء.

(٢) رواه البخاري.

(٣) قال ابن كثير في تاريخه: رواه ابن إسحاق، وقد أخرجه صاحب الصحيح (٣/٨٦).

(٤) رواه مسلم.

غزوة: غزوة ودّان وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى<sup>(١)</sup>، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى لطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر العظمى التي قُتل فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الكدرة<sup>(٢)</sup>، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة نجران معدن الحجاز، ثم غزوة أحد، ثم حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالاً قصده المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

وقد خرج الرسول ﷺ في ثمانٍ بنفسه: يوم بدر في رمضان سنة اثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، قاتل يوم الخندق، وبني قريظة في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين، وحاضر أهل الطائف في شوال سنة ثمان<sup>(٣)</sup>.

وما تخلف رسول الله ﷺ وراء سرية قط إلا رحمة بالذين لا يجد ما يحملهم عليه ولا يجدون ما يخرجون به، ويخزنهم تخلفهم عن رسول الله ﷺ.

(١) جبل رضوى قرب ينبع البحر.

(٢) جمع أكدر: ماء لبني سليم.

(٣) «البدية والنهاية» (٣/٢٤١).

هذا ولم ينقطع جابر (رضي الله عنه) عن الجهاد بعد رسول الله ﷺ، حيث اشترك في فتوحات الإسلام الكبرى، وحضر المعارك الحاسمة، وأبلى فيها بلاءً حسناً.

قال جابر: كنت في جيش خالد بن الوليد حين أمدَّ به أبو بكر أبا عبيدة بن الجراح وهو محاصر دمشق، فلما أتاه قال له أبو عبيدة: صلِّ بالناس، أنت أحقُّ بها - أي الإمامة - لأنك أتيتني. فقال خالد: ما كنت لأصلي، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»<sup>(١)</sup>.

وقد أعجبته (رضي الله عنه) أمانة المجاهدين وزهادتهم في وقعة القادسية، فامتدحهم قائلاً: «والله الذي لا إله إلا هو، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة. ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأيت كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح»<sup>(٢)</sup>.

وكان أحياناً يدع الركوب على دابته ويمشي على الأرض يقودها يريد أن تغبر قدماه في سبيل الله، فعن أبي المصباح المقراني قال: بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبدالله الخثعمي، إذ مرَّ مالك بجابر بن عبدالله وهو يقود بغلاً له، فقال له مالك؟ أي أبا عبدالله، اركب فقد حملك الله، فقال جابر: أصلح دابتي<sup>(٣)</sup>، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أغبرت قدماه في سبيل الله، حرَّمه الله على النار».

(١) سبق تخريجه عند ذكر سيرة أبي عبيدة (ص ٤٤٩).

(٢) «حياة الصحابة» (٤/٦٢٦).

(٣) أي أريح دابتي.

فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته: يا أبا عبد الله، اركب فقد حملك الله.

فعرف جابر الذي يريد فقال: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله، حرّمه الله على النار»، فتواثب الناس عن دوابهم فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه<sup>(١)</sup>.

وقد كان لجابر (رضي الله عنه) منزلة عند النبي ﷺ فهو يحبه، ويزوره، ويعينه على قضاء حوائجه، ويدعو له، ويتحفه بالاستغفار له. وكان من خيار تلامذته، فنهل من مدرسة النبوة علماً جماً، وحفظ عن النبي ﷺ عدداً كبيراً من الأحاديث.

وقد خرج (رضي الله عنه) يطلب العلم هنا وهناك، ذهب إلى مكة في سماع أحاديث، وسافر إلى مصر والشام في طلب حديث ممن سمعه من رسول الله ﷺ.

قال (رضي الله عنه): بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ، فاشترت بغيراً، ثم شددت رحلي، فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبوّاب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ فقلت: نعم. فخرج عبد الله بن أنيس فاعتنقني، فقلت: بلغني أنك سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرّاً لِبُهْمًا»، قلنا: ما بهما؟ فقال: «ليس معهم شيء، فيناديهم الله بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة»<sup>(١)</sup>، قلت: وكيف؟ وإنما أتى الله تعالى عُرَاةً بِهِمْ؟ قال: «بالحسنات والسيئات»<sup>(٢)</sup>.

وقال عبدالله بن مقسم: جاء جابر (رضي الله عنه) في آخر عمره إلى مكة المكرمة في أحاديث سمعها ثم انصرف إلى المدينة راجعاً.<sup>(٣)</sup>  
وكما حرص جابر (رضي الله عنه) على طلب العلم فقد حرص أيضاً على نشر العلم الذي تعلمه، فكان إذا سُئِلَ عن شيء أجاب وأسند جوابه إلى قول رسول الله ﷺ أو فعله غالباً.

قال أبو الزبير: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذا بايعت فقال: اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد. وقال جابر: إن رسول الله ﷺ قال: «سَيَصِدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو الزبير أيضاً: سألت جابراً عن الفأرة تموت في الطعام أو الشراب، أطعمه؟ قال: لا. زجر رسول الله ﷺ من فعل ذلك، وكنا نضع السمن في الجرار فقال: «إذا ماتت الفأرة فيها فلا تطعموها»<sup>(٥)</sup>.

وقال هشام بن عروة بن الزبير: رأيت لجابر (رضي الله عنه) حلقة في المسجد - مسجد النبي ﷺ - يؤخذ عنه العلم.<sup>(٦)</sup>

(١) يعني: لا يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إلا بعد تصفية الحساب.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» باب المعانقة، الحديث رقم (٩٧٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٩١).

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أحمد.

(٦) «الإصابة» (١/٤٣٤).

كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أحد المعمرين، عاش أربعاً وتسعين سنة، منها ثمانون سنة في الإسلام، اشتهر بين رواة الحديث باسمه فقط، فحيث ذُكر جابر في الحديث أُريد به هو (رضي الله عنه)، وإذا أُريد غيره قيل: جابر بن سمرة مثلاً<sup>(١)</sup>.

توفي بالمدينة المنورة، ودُفن بها سنة سبع وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين<sup>(٢)</sup>، وهو ابن أربع وتسعين سنة كما سبق، وكان قد ذهب بصره<sup>(٣)</sup>.  
رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وأكرمنا بالتأسي به وسلوك منهجه، إنه على كل شيء قدير.



(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٤٢).

(٢) «العبر في خبر من غبر». للذهبي (١/٦٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٩٢).

## فهرس المراجع

### أ

- \* أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
- \* أبو موسى الأشعري الرباني العابد والفتاح المجاهد، محمد علي دولة، دار القلم - دمشق، الثالث ١٤١٢هـ.
- \* أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، عبد الحميد محمود طههاز، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١١هـ.
- \* الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي.
- \* أبو هريرة تلميذ النبوة النجيب، محمد علي دولة، دار القلم - دمشق: الثالثة ١٤١٢هـ.
- \* أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه، د. وهبه الزحيلي، دار القلم - دمشق، الثانية ١٤١٠هـ.
- \* أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- \* الاستيعاب في معرفة الأصحاب «بهامش الإصابة»، ابن عبد البر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الأولى ١٣٢٨هـ.
- \* إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية - بيروت ١٤٠٧هـ.

## ب

\* البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، دار الريان للتراث، الأولى، ١٤٠٨هـ.

## ت

\* تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني ١٤٠٥هـ.

\* التاريخ الصغير، البخاري، دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ.

\* التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، دار الدعوة، الكويت.

\* تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المكتبة التجارية ١٣٧٣هـ.

\* تهذيب الأسماء واللغات، النووي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٠هـ.

\* تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، عبد القادر بدران، دار المسيرة - بيروت، الثانية ١٣٩٩هـ.

\* تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الثانية ١٣٢٥هـ.

## ج

\* جابر بن عبدالله صحابي إمام وحافظ فقيه، وهبي سليمان غاوجي، دار القلم - دمشق، الثانية ١٤٠٨هـ.

\* جامع الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن الأثير الجزري، المكتبة التجارية، الثانية ١٤٠٣هـ.

\* الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

## ح

- \* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ.
- \* حياة الصحابة، محمد بن يوسف الكاندهلوي، دار القلم - دمشق، الثانية ١٤٠٣هـ.

## ر

- \* ربعة بن كعب شاب كان همه الآخرة، محمد علي دولة، دار القلم - دمشق، الثالثة ١٤١٢هـ.
- \* رجال أنزل الله فيهم قرآناً، د. عبد الرحمن عميرة، دار اللواء - الرياض، الثانية ١٣٩٨هـ.
- \* «رجال مبشرون بالجنة» تأليف أحمد خليل جمعة، دار ابن كثير.
- \* رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، الثامنة ١٤١١هـ.
- \* الروض الأنف في تفسير السنة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ.
- \* الرياض المستطابة في جملة ما روي في الصحيحين من الصحابة، يحيى بن أبي بكر اليماني، مكتبة المعارف - بيروت.

## ز

- \* زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١١هـ.

س

- \* سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، دار الحديث، القاهرة.
- \* سنن ابن داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط محمد علي السيد، حمص الأولى ١٣٩١هـ.
- \* سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، دار الحديث، القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ.
- \* سنن الدارمي، محمد بن عبدالله الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- \* السنن الكبرى، البيهقي، دار الفكر.
- \* سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- \* السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ.
- \* السيرة النبوية، ابن هشام، دار الكنوز الأدبية.

ش

- \* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الفكر- بيروت ١٤٠٩هـ.

ص

- \* صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية ١٤٠٠هـ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- \* صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الثانية ١٣٩٢هـ.
- \* صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الوعي، حلب.

## ط

\* الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الفكر.

## ع

- \* عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد، د. وهبة الزحيلي، دار القلم - دمشق، الثالثة ١٤٠٨هـ.
- \* عبدالله بن رواحة أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب، جميل سلطان، دار القلم - دمشق، الثالثة ١٤٠٧هـ.
- \* عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، د. مصطفى سعيد الحن، دار القلم - دمشق، الثالثة ١٤٠٨هـ.
- \* عبدالله بن عمر الصحابي المؤتسي برسول الله ﷺ، محي الدين مستو، دار القلم - دمشق، الخامسة ١٤١٢هـ.
- \* عبدالله بن مسعود عميد حملة القرآن وكبير فقهاء الإسلام، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق، الثانية، ١٤١٠هـ.
- \* العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية.
- \* عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
- \* علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.
- \* عمر بن الخطاب الفاروق العادل، عبد الستار الشيخ، دار القلم - دمشق، الأولى ١٤١٢هـ.

ف

- \* فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- \* فرسان من مدرسة النبوة، د. عبدالرحمن عميرة، مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠١هـ.

ك

- \* الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، الرابعة ١٤٠٣هـ.
- \* كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية، د. سامي مكي العاني، دار القلم - دمشق، الثانية، ١٤١٠هـ.
- \* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ.

م

- \* صحيح الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، ١٤٠٨هـ، وكذلك ط. دار الفكر ١٤١٤هـ.
- \* مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة ١٤٠٥هـ.
- \* مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، دار الفكر، الأولى ١٤٠٩هـ.
- \* المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي، دار صادر - بيروت ١٣٩٥هـ.

- \* المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي.
- \* المسند، الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي - ودار الفكر، ١٤١١ هـ.
- \* المسند، عبد الله بن الزبير الحميدي، دار الكتب العلمية.
- \* مصعب بن عمير الداعية المجاهد، محمد حسن بريغش، دار القلم - دمشق،  
الخامسة ١٤١٠ هـ.
- \* المصنف، عبد الرزاق همام الصنعاني، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي،  
المجلس العلمي، الأولى ١٣٩٢ هـ.
- \* معاذ بن جبل إمام العلماء، ومعلم الناس الخير، عبد الحميد محمود طهماز، دار  
القلم - دمشق، الثانية ١٤٠٨ هـ.
- \* المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي،  
الدار العربية.
- \* موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك، دار النفائس، الأولى ١٤١٣ هـ.



- \* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين الأتابكي، المؤسسة  
المصرية العامة.
- \* نسب قريش، المصعب بن عبد الله الزبير، دار المعارف، الثالثة.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الخامسة .....	٥
مقدمة الطبعة السادسة .....	٧
المقدمة .....	٩
١- أبو بكر الصديق .....	١٣
٢- عمر بن الخطاب .....	٢٣
٣- عثمان بن عفان .....	٣٤
٤- علي بن أبي طالب .....	٤٣
٥- سعد بن أبي وقاص .....	٥١
٦- الزبير بن العوام .....	٦١
٧- طلحة بن عبدالله .....	٧٠
٨- أبو عبيدة بن الجراح .....	٧٦
٩- حمزة بن عبد المطلب .....	٨٣
١٠- سعد بن الربيع .....	٨٧
١١- عبدالله بن جحش .....	٩٠
١٢- عمرو بن الجموح .....	٩٥
١٣- مالك بن سنان .....	١٠٢
١٤- مصعب بن عمير .....	١٠٧

- ١١٤ ..... ١٥- عبدالله بن عمرو بن صرام
- ١١٩ ..... ١٦- سعد بن معاذ
- ١٢٧ ..... ١٧- جعفر بن أبي طالب
- ١٣٥ ..... ١٨- زيد بن حارثة
- ١٤١ ..... ١٩- عبدالله بن رواحة
- ١٥٠ ..... ٢٠- عكاشة بن محصن
- ١٥٨ ..... ٢١- ثابت بن قيس
- ١٦٢ ..... ٢٢- الطفيل بن عمرو الدوسي
- ١٦٨ ..... ٢٣- أبو العاص بن الربيع
- ١٧٣ ..... ٢٤- ابن أم مكتوم
- ١٧٩ ..... ٢٥- معاذ بن جبل
- ١٨٨ ..... ٢٦- أسيد بن حضير
- ١٩٥ ..... ٢٧- بلال بن رباح
- ٢٠١ ..... ٢٨- أبو سفیان بن الحارث
- ٢٠٣ ..... ٢٩- خالد بن الوليد
- ٢١٠ ..... ٣٠- أبي بن كعب
- ٢١٨ ..... ٣١- حاطب بن أبي بلتعة
- ٢٢٤ ..... ٣٢- العباس بن عبد المطلب
- ٢٣١ ..... ٣٣- عبدالله بن مسعود
- ٢٣٩ ..... ٣٤- سلمان الفارسي
- ٢٤٩ ..... ٣٥- عبادة بن الصامت

- ٢٥٧ ..... ٣٦- عمار بن ياسر
- ٢٦٧ ..... ٣٧- صهيب بن سنان
- ٢٧٢ ..... ٣٨- عبدالله بن سلام
- ٢٧٧ ..... ٣٩- أبو موسى الأشعري
- ٢٨٢ ..... ٤٠- زيد بن ثابت
- ٢٨٩ ..... ٤١- كعب بن مالك
- ٣٠٢ ..... ٤٢- عبدالله بن أنيس
- ٣١١ ..... ٤٣- أبو هريرة
- ٣١٨ ..... ٤٤- أسامة بن زيد
- ٣٢٥ ..... ٤٥- عبدالله بن عباس
- ٣٣٥ ..... ٤٦- عبدالله بن عمر بن الخطاب
- ٣٤٤ ..... ٤٧- جابر بن عبدالله
- ٣٥٢ ..... فهرس المراجع